الشيخ
إبراهيم عزت
شاعر الملحمة

حياته ودراسات حول شعره
مع النص الكامل لديوانه (الله أكبر)
وقصائد لم يسبق نشرها

جمع مادته وقدم له وأشرف على مراجعته
د. أكرم رضا

دار النشر للجامعات

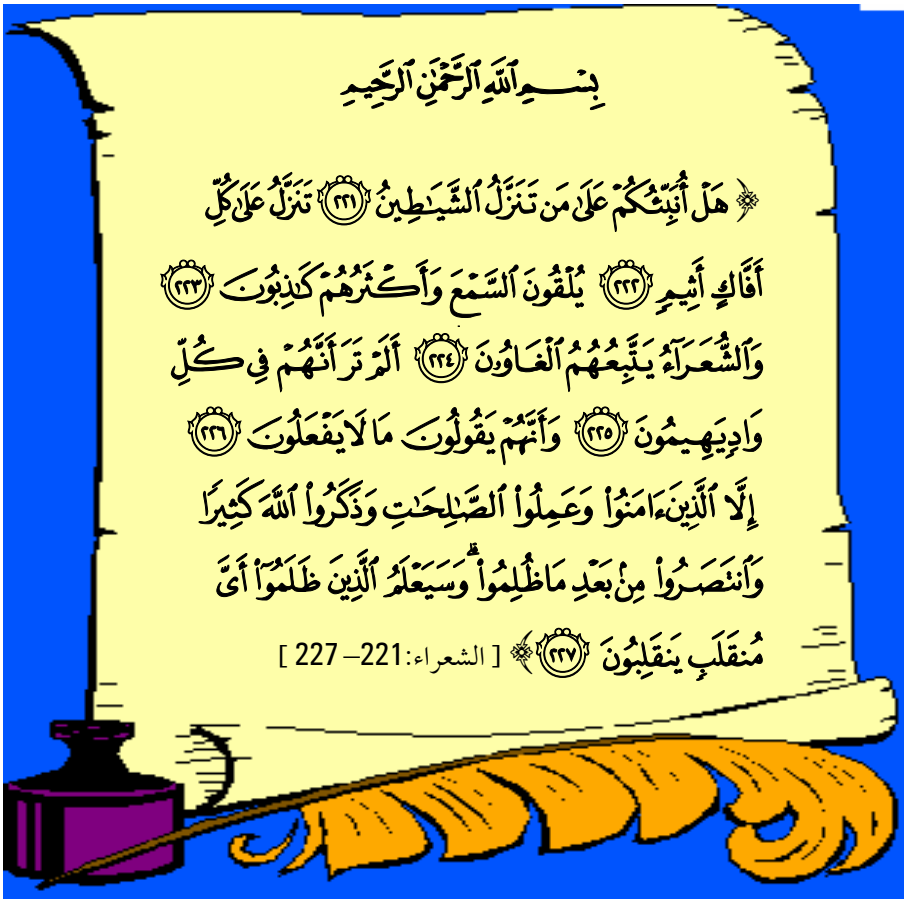
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ
أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ
وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ
مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء:221– 227]

الشـــيخ

إبراهيم عزت

شـــاعر الملحمـــة

حياته ودراسات حول شعره

مع النص الكامل لديوانه (الله أكبر)

وقصائد لم يسبق نشرها

تأمل الديوان وعلق عليه

الشيخ عبد السلام البسيوني

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

جمع مادته وقدم له وأشرف على مراجعته

د. أكـــرم رضـا

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الشيخ إبراهيم عزت شاعر الملحمة/ جمع مادته وقدم له د.أكرم رضا- ط1 – القاهرة – دار النشر للجامعات، 2009.

208ص، 24سم.

تدمك 5 291 316 977

1- الشعراء العرب – مصر 2- الشعر الصوفي

3- عزت، إبراهيم

أ- البسيوني، عبد السلام (معلق)

ب- رضا، أكرم (مراجع) 928.162

تاريخ الإصدار: 1430هـ - 2009م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

رقم الإيداع: 24045/ 2008

الترقيم الدولي: ISBN: 977-316-291-5

الكود: 228/ 2

تحذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل (المعروفة منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلاً) سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن كتابي من الناشر.

دار النشر للجامعات

ص.ب (130 محمد فريد) القاهرة 11518

ت: 26347976 – 26321753 ف: 26440094

E-mail: darannshr@link.net

الإهداء

إلى شيخنا إبراهيم عزت، عليه رحمات الله ورضوانه:

إنسانًا وداعية وشاعرًا

وفاءً ببعض الحق، وإحياءً للذكرى، وتعريفًا للأجيال، وزيادة في الأعمال.

فريق العمل

تقديم
نسـمة وفـاء

حَبِيبَتِي بِلادِي
نَسِيتِ فِي مَوَائِدِ الثَّنَاء
سَيِّدًا تَعَشَّقَ الفِدَاءْ
المُوتُ عِنْدَهُ حَيَاة
أَحَبَّ دَائِمًا أَنْ تُرْفَعَ الجِبَاهْ
وَكِفَّةُ الكَلامِ عِنْدَهُ
نِصْفُ كِفَّةِ العَمَلْ
أَحَبَّ أَنْ يَرَاكِ مَسْجِدًا مُقَدَّسًا ثَرَاهْ
لا يُنَالُ تُرْبُهُ
نَسِيتِهِ مُقَيَّدًا
شُغِلْتِ عَنْهُ بِالْبَرِيقْ
مَنْ سَيُطْفِئُ الحَرِيقَ غَيْرُهُ؟
وَمَنْ سَيَمْسَحُ الجِرَاحَ إِنْ جَهِلْتِ سِرَّهُ؟

كنت أقرأ هذه الأبيات من قصيدة **حبيبتي بلادي** للشيخ **إبراهيم عزت** فاستشعر أنني كاتبها، وأقصد بها، حقًّا لقد نسيت بلادنا الكثير والكثير من العظماء، الذين سجلوا على صفحات التاريخ، لا أقول حروفاً؛ بل سبلاً ومسالك يستهدي بها من سيأتي بعدهم..

وأعجب عندما أجد الشعراء يُذْكَرون ولا يُذْكر فيهم **إبراهيم عزت!**

والخطباء يُذكَرون ولا يذكر فيهم **إبراهيم عزت!**

والمربِّين يُذكَرون ولا يذكر فيهم **إبراهيم عزت!!**

والدعاة يُذكَرون ولا يذكر فيهم **إبراهيم!!**

وعزائي الوحيد أنه كان يحب ذلك؛ ومن أجل هذا أحببناه..

أحببناه لبساطته، وزهده، لرقته ولطفه، للينه ووعيه، لفقهه وفهمه..

***

هل تَذْكُر صاحبي تلك الساعات الجميلة التي كنا نقضيها يوم الخميس وليلة الجمعة، بين يدي الشيخ، في مسجد أنس بن مالك يحدثنا طويلاً ؟

هل تذكر شرحه لسورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾؟

هل تذكر يوم الجمعة وقد امتلأ المسجد من ليلتها، وصوت الشيخ إمام يحث المصلين المتوافدين - قبل رفع الأذان وصعود الشيخ المنبر- على الصعود إلى تلك المباني التي بنيت حول المسجد؛ لاستيعاب أعدادهم المتزايدة، ويقول: [مسجد فوق المسجد]؟

هل تذكر تلك العشرات من آلات التسجيل التي كان الناس يحملونها ويضبطونها؛ لتسجل للشيخ **إبراهيم عزت** خطبته، حرصًا منهم واهتمامًا؟

هل تذكر الشيخ عندما كان يصعد المنبر، يحمل عصاه، وقد التف بشاله الأصفر الزاهي، وبياض جلبابه وعمامته يبدوان من تحتها، فيلف الصمت الجمع المهيب، وتتجول عينا الشيخ إلى الحضور للحظة، ثم ينطلق صوته المملوء حناناً وشوقاً؟!

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة] .

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ .

[الأنعام]

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.. بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل دينه، حتى أتاه اليقين.

فاللهم اجزه عنا وعن والدينا، وعن الإسلام والمسلمين، خير ما جزيت به نبيًّا عن أمته، ورسولاً عن قومه.

اللهم أحينا على سنته، وتوفنا على ملته، وأوردنا حوضه، واسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة، لا نظمأ بعدها أبدًا.

واجمع بيننا وبينه؛ كما آمنا به ولم نره، ولا تفرق بيننا وبينه، حتى تدخلنا مدخله».

هل تذكر يا صاحبي ذلك كله.. وقد تهيأت القلوب للسماع، وتوهجت الأنفس شوقًا، فإذا به ينطلق مفسرًا لآيات من القرآن الكريم، في حديث يأخذ بالألباب؟

أتذكر يا صاحبي يوم انفعل أحد الحاضرين، والشيخ يبدأ مقدمته، فإذا بالرجل عندما وصل الشيخ إلى « وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله » يصرخ في هستيريا: « صلى الله عليه.. صلى الله عليه » ويكررها في عصبية شديدة؟! فيسكت الشيخ تمامًا حتى هدأ الرجل وانخفض صوته، ثم عاد صوت الشيخ من جديد - في هدوء - يعلو تدريجيًّا:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد].

«سمع رسول الله ﷺ قومًا يذكرون الله بصوت عالٍ، فقال: « **أيها الناس: أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمًا، ولا غائبًا؛ وإنما تدعون سميعًا مجيبًا** ».

وعند هذه الكلمة كان صوته قد وصل إلى نفس المستوى الذي سكت عنده. فعاد إلى آخر كلمة سكت عندها: [**وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**] وأكمل الخطبة كأن شيئًالم يكن [1].

(1) كان هذا في خطبة (سورة الشمس).

أتذكر يا صاحبي يوم انقطعت الكهرباء - والمكبِّر معها - وهو يلقي **بيانًا**[1] بعد العشاء، وقد تعلقت الأسماع والقلوب بشفتيه، فإذا بصوته يعلو ليصل إلى آخر الموجودين في الحشد الكبير المجتمع في المسجد، ولكن ليس بكلام إنما بتلاوة آيات من القرآن:

أتذكر الآيات التي كان يقرؤها رحمه الله؟ إنها آيات سورة النور: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)** ﴾.

[النور]

ألا تذكر معي يومها؟ لقد أضاء كلامه نورًا! فإن لم يصدق أحد أنه نور حقيقي أضاء المكان، فيكفي أن نقول: إن الآيات المنطلقة من القلب المليء صدقًا قد أضاءت كل كياننا.

أتذكر.. وتذكر.. وتذكر.....؟!

ثم مات إبراهيم عزت رحمه الله.

ولأمرٍ ما - أعجب من العجب - تعمَّد الكثيرون إخفاء ذكره؛ فلا شرائط له توزع وقد انتشر سوق الكاسيت! ولا كتب عنه تكتب وقد نضحت سوق الكتب بما لا يُقرأ! ومن لا يستشهد بكلماته التي كان يحفظها الكثيرون رغم كونها جليلة جميلة!

أين إبراهيم عزت الذي كان الآلاف يحضرون خطبته؟

أين هؤلاء الذين كانوا يسمعونه من عشرات الدول في الاجتماع الحافل يوم الخميس وليلة الجمعة، في مسجد أنس بن مالك؟

أين هؤلاء الذين كانوا يسعون لمرافقته في الجولات والخروج بالأيام والشهور، داخل مصر وخارجها؟!

---

(1) مصطلح من مصطلحات جماعة التبليغ ، يطلق على الكلمة التي تقال بعد الجولة على الناس، وتجميعهم في المسجد.

لقد حكى بعضهم لي أن الشيخ رحمه الله زار أكثر من نصف قرى مصر ونجوعها، ولكن - للأسف - كأن هناك اتفاقًا ضمنيًّا على نسيان **إبراهيم عزت**؛ ضمن الكثير من الخير الذي ينسى في بلادنا العجيبة.

وَأَيْــنَ يَــا حَبِيبَتِــي غِنَــاءُ شَــاعِرِك؟!
قَــدْ سَــالَ بَحْــرُهُ مُــنَغَّمًا مِــنْ بَــسْمَتِكْ
وَأَيْــنَ يَــا حَبِيبَتِــي يَمِــينُ عَاشِــقٍ؟!
أَتَــاكِ يَــسْبِقُ الرِّيَــاحَ.. كَــيْ يُــرَى بِجَانِبِــك

***

واستمر حب **إبراهيم عزت** ينمو في قلبي، فكنت أجمع كل ما يتعلق به: خطب الجمعة / بيانات الخروج / دروس الفجر (ألقاها بعد انقطاعه عن الخطابة)؛ فقد كنت ممتلئًا حبًّا للرجل؛ حتى إنني كنت أقلده في خطابتي على المنابر، بل غالبًا ما أبدأ أي درس أو خطبة أو محاضرة - إلى اليوم - بتلك المقدمة الثابتة التي كان يبدأ بها خطبه.

كتاب خطب الشيخ إبراهيم عزت :

وفي أوائل التسعينيات برقت في ذهني فكرة أن أفرغ شرائط الخطب، وأضعها في كتاب يستفيد منه الخطباء، فبدأت العمل، وشرعت في إعداد مقدمة حول الرجل وسيرته، وبدأت أبحث عن وسيلة للاتصال بأسرته، حتى يسر لي الله أحد أفراد عائلتي « يرحمه الله » حكى لي أن أخا الشيخ إبراهيم « المهندس **محمد إسماعيل** » زميل له في العمل، فذهبت لزيارته في بيته في المهندسين، وجلست بين يدي الرجل البسيط المهذب، وعرضت عليه فكرتي، فرحب وأبدى كل العون، ثم ابتسم وقال لي: هل تعلم أن هناك كتابًا مؤلفًا حول الشيخ؟ وأراني كتاب « **الشيخ إبراهيم عزت: حياته وشعره** » للدكتور **حسن عبد السلام**. [1]

(1) والكتاب لا يحمل أي بيانات نشر فيبدو أنه طبعة المؤلف.

وتوالت المفاجآت لأعلم أن كثيراً من ذلك الشعر الذي كان إبراهيم عزت يـزين به خطبه هو من نظمه وتأليفه:

اللهُ أَكْـــبَرُ.. بِـــسْمِ اللهِ مَجْرَاهَـــا
اللهُ أَكْـــبَرُ.. بِـــالتَّقْوَى سَنُرْسِـــيهَا
اللهِ أكـــبر.. قُولُوهَـــا بِـــلا وَجَـــلٍ
وحققـــوا القَلْـــبَ مِـــنْ مَغْـــزَى مَعَانِيهَـــا

بِهَـــا سَـــتَعْلُو عَـــلَى أُفُـــقِ الزَّمَـــانِ لَنَـــا
رَايَـــاتُ عِـــزٍّ.. نَـــسِينَا كَيـــفَ نَفْـــدِيهَا
بِهَـــا سَـــتُبْعَثُ أَمْجَـــادٌ مُبَعْثَـــرَةٌ
فِي التِّيـــهِ.. حَتَّـــى يَـــرُدَّ الرَّكْـــبَ حَادِيهَـــا
اللهُ أَكْـــبَرُ مَـــا أَحْـــلَى النِّـــدَاءُ بِهَـــا
كَأَنَّـــــهُ الـــــرِّيُّ.. فِي الأَرْوَاحِ يحيِيهـــــا

وعندما كان يرتفع صوته يحرك النخوة في عروق الرجال:

مَـــاذَا نَقُـــولُ لِـــرَبِّي حِـــينَ يَـــسْأَلُنَا
عَـــنِ الـــشَّرِيعَةِ لَمْ (نَحْمِـــي) مَعَالِيهَـــا؟!
وَمَـــنْ يُجِيـــبُ، إِذَا قَـــالَ الْحَبِيـــبُ لَنَـــا
أَذْهَبْـــــتُمُ سُـــــنَّتِي، وَاللهُ مُحْيِيهَـــــا؟
إِنْ لَمْ نردْهـــــا لِـــــدِيْنِ اللهِ عَاصْـــــفَةَ
سَـــيَذْهَبُ العِـــرضُ بَعْـــدَ الْأَرْضِ نُعْطِيهَـــا!

ثم كانت كبرى المفاجآت.. إن قصيدة ملحمة الدعوة، التـي كـان يغنيهـا منـشد الصحوة المتألق **أبو مازن** من تأليف شيخنا **إبراهيم عزت**، بل إن تـسعة مـن القـصائد التي غناها أبو مازن من تأليفه [1].

(1) سجلت قصة اللقاء بين إبراهيم عزت الشاعر وأبي مازن المنشد في كتابنا (أبو مـازن: صـوت الـصحوة) ونقلت الحوار في هذا الكتاب.

وأخيرًا علمت أن لإبراهيم عزت ديوان شعر اسمه « **الله أكبر** » مطبوعًا في حياته « يرحمه الله »، و لم يكن للأسف عند (المهندس إسماعيل) نسخة من الديوان!

حملت غنيمتي الغالية، وانطلقت إلى بيتي أقرأ في كتاب **الدكتور حسن**، وكأني أقرأ خطابات حبيب إلى حبيبه [1].

ومرت الأيام، وانشغلت عن فكرة طباعة خطب الشيخ في كتب. وكان اللقاء مع أبي مازن.. وكانت الحوارات التي سجلتها في الكتاب الذي كتبته عنه. وبحجم ما أسعدتني هذه اللقاءات وبهرتني.. كانت هناك مفاجأة بل مكافأة أكبر من ذلك كله، هي أنني وجدت **أبا مازن** يحتفظ بنسخة من ديوان الشيخ! طبعها بعض الشباب طباعة تصويرية، عن الديوان المطبوع في بيروت، وغيروا اسم الديوان من « **الله أكبر** » إلى « **حبيبتي بلادي** ».

وصف الديوان:

يقع الديوان في مائة وسبع وعشرين ورقة من القطع الصغير، ويحتوي على ثمانٍ وعشرين قصيدة.. وهو للأسف يمتلئ بالأخطاء المطبعية، وواضح أن الشاعر طبعه على نفقته الخاصة، حيث كان مكتوبًا على غلافه: « حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ».

***

عملي في الديوان:

نعم أحب الشعر، ولي محاولات قليلة فيه، وأتذوقه، ولكن لست عالمًا في عروضه وموازينه، وعندما أصدرت كتاب « **أبي مازن** » وعدت فيه بإخراج ديوان الشيخ **إبراهيم عزت** للنور.. وعندما حان وفاء الوعد اكتشفت أن المهمة أصعب من أن

(1) لخصت دراسة الدكتور حسن حول شعر إبراهيم عزت في هذا الكتاب.

أحملها وحدي، فقررت أن أكون عضوًا في فريق عمل، يقوم على إخراجه، والحمد لله الذي وفقني في اختيار أعضاء هذا الفريق، وأحب أن أقدمهم في كلمتي هذه ؛ لأقدم الشكر الجزيل لتعاونهم، وأظن أن القارئ سيسعد بهم كما سعدت أنا بهم.

د. حسن عبد السلام:

مؤلف كتاب « **الشيخ إبراهيم عزت: حياته وشعره**»[1] لم أشرف بلقائه – وأتمنى ذلك – ولكنني التقيت به على صفحات الكتاب الذي بدأه بترجمة وافية عن الرجل، أخذها كلها من أفواه أسرته، فلقد كان له فضل سبق البدء؛ حيث لم يكتب عن الشيخ غيره إلا حوالي عشرة سطور في موسوعة سفير للشباب [2]. ثم عقد فصلاً طويلاً حول سمات شعر الشيخ إبراهيم عزت في خمس فقرات، لخصناها في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

نقد وتقديم:

ويهمنا هنا أن نلخص ما قاله الدكتور **حسن عبد السلام** تحت هذا العنوان:

مع تقديرنا للتجربة التي أخلص لها الشاعر « **إبراهيم عزت** » ووقف عليها شعره[3] ، فإننا كنا نود انطلاقاً أوسع مدى، وإبداعًا أرحب أفقًا، وتنويعًا في مجالات

---

(1) لا يوجد على كتابه أي بيانات مرجعية أو وسيلة اتصال به.

(2) ولم يترجم للشيخ ابراهيم مؤلف كتاب (**نشيد الكتائب**) ونوه إلى عدم معرفته بمؤلف القصائد التي غناها أبو مازن له، وكذلك لم يذكر في موسوعة شعراء الدعوة المعاصرين لأحمد الجدع وحسني جرار، ولا في موسوعة أناشيد الدعوة لهما.

وقد اتصل بي الأخ الأستاذ / يحيى بن صديق يحيى حكمي من السعودية شاكرًا على كتاب أبي مازن وأخبرني أنه كتب مقالاً بعنوان: (دراسة فنية في قصيدة: ملحمة الدعوة) وأرسلها لي فوجدته نقل القصيدة من كتاب (نشيد الكتائب) وأيضاً بَيَّن عدم معرفته لقائلها، وهي دراسة جيدة قد أضيفها للطبعة التالية من أي من الكتابين – وهي منشورة في مجلة المجتمع – الكويت – العدد 1404.

(3) بَيَّنَ الدكتور حسن عبد السلام أن إبراهيم عزت لم يكتب إلا في غرض واحد لم يتعده إلا قليلاً، وهو علاقته وحبه لله ورسوله (انظر تلخيص كتابه في الفصل الثاني من بحثنا هذا)، وهذا النقد غير جارح=

القول، يتناسب مع الموهبة الكبرى التي أنعم الله بها عليه، ويتناسب أيضًا مع رحابة التصور الإسلامي وشموله للكون كله والحياة جميعها، والمجالات التي يمكن للشاعر الإسلامي أن ينطلق فيها ليست محصورة في حقائق الدين وعقائده وأحداثه، بل إن الوجود كله هو مجاله.

يقول الأستاذ محمد قطب:

« قد يتحدث لنا الفنان عن البرعم النابض الذي ينبثق من ضمير الحياة، قد يتحدث عن الجبل الشامخ الأشم، قد يتحدث عن نبتة وحيدة في الصحراء، قد يتحدث عن الليلة المقمرة، قد يتحدث عن طفلة شريدة، قد يتحدث عن مواجع البشرية، قد يتحدث عن ضربة من ضربات القدر، قد يتحدث عن صراع الناس في الأرض، قد يتحدث عن بطل أسطوري.

قد يتحدث عن ذلك كله فيكون فنه إسلاميًّا، إذا تلقاه في حسه بتصور الإسلام الصحيح، وعبر عنه بروح ذلك التصور » [1].

وأكثر هذه المفردات لم يحظ بنصيب في شعر « عزت » بل إن الطبيعة الجميلة، بمناظرها الساحرة والآسرة، ومظاهرها العجيبة والرهيبة، لم تستثر شاعريته. وعلى الرغم من طوافه ببلاد الدنيا، واطلاعه على بيئات مختلفة وتضاريس متنوعة، وأجواء متباينة، فإننا لا نرى في شعره وصفاً لغابة، ولا حديقة، ولا جبل، ولا نراه يتوقف عند مشهد للمطر، أو الرعد أو الليل، أو الفجر مثلاً.

ومع أن شاعريته اهتزت لزيارة الرسول الكريم ﷺ أكثر من مرة، فكتب في مديحه عدة قصائد من وحي هذه الزيارات، فإننا لا نجد مشهد الحجيج، أو جلال الكعبة، أو جمال زمزم، يستثير هذه الشاعرية.

= فيما أحسب ؛ فإن عددًا من الشعراء القدامى والمعاصرين اشتهروا بتركيزهم في غرض واحد كنزار المتخصص في المرأة، وأحمد مطر المتخصص في الهجاء السياسي. البسيوني.

(1) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص119، دار الشروق، القاهرة، 1981.

ولا تظفر في شعره كذلك بشيء عن حياته الخاصة في محيط أسرته بعد زواجه وإنجابه، ويبدو أن هذه الشاعرية استنفدت طاقتها في التجربة المريرة التي ألمت بالشاعر في أول شبابه، وأنها بعد ذلك انطفأت أو خبت؛ لَمَّا شغل الرجل نفسه بهموم الدعوة، والعمل لها، فلم يبق عنده وقت للشعر [1].

كما يبدو أن انشغاله بهذه الهموم لم يدع له فرصة لمراجعة ديوانه، وتصويب الأخطاء اللغوية والموسيقية، والتي يرجع أكثرها إلى عدم تخصصه في دراسة اللغة «نحوًا وصرفًا وعروضًا».

ومن هذه الأخطاء [2]:

1- عدم جزم الفعل المضارع بعد لم في قوله:

ماذا نقول لربي حين يسألنا عن الشريعة لم (نحمي) معاليها

ويبدو أنه ضحى بالقاعدة النحوية لتسلم له موسيقى البيت؛ لأنه لو حذف الياء من « نحمي » لانكسر، وكان يمكن أن يصح البيت هكذا:

ماذا نقول لربي حين يسألنا عن الشريعة لم نحفظ معاليها

ـ قوله:

والغيث تصنعه يد قدسية والحب ذو عصف وذو ريحان

أخطأ بإضافة «ذو» إلى «ريحان» لأن المعنى على هذا الوضع يكون وصفًا للحب بأنه ذو عصف وذو ريحان، ويبدو أنه حقق للبيت سلامة الوزن في غفلة عن صحة المعنى، ولم يتذكر أن الآية القرآنية التي اقتبس منها هذا التعبير، لم تفد أن الحب ذا

---

(1) وأنا أوافق على هذا الرأي؛ إذ لم تنطفئ شاعريته وإنما وجد ما يشغله عنها.

(2) قمنا بتصحيح معظم هذه الأخطاء في الديوان على رأي د. حسن عبد السلام وغيره من فريق العمل مع اعتقادنا أن أكثرها من أخطاء الطباعة، وغياب المراجعة الدقيقة للديوان، لذا أهملنا إيرادها هنا لوضوح كونها من التساهل في الطباعة والتصحيح.

ريحان، فلفظ « الريحان » في الآية الكريمة ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن]، جاء مرفوعاً، ولم يأت مجروراً.

ربيع أول – قوله:

فلنجتني حصادنا بكبرياء

أثبت حرف العلة « الياء » في الفعل المجزوم بلام الأمر، والصحيح « فلنجتن ».

ربيع ثان – قوله:

زد في السؤال يزيد ربك في العطا فمليكنا يعطي على قدر الرجا

أثبت عين المضارع « يزيد » وهي الياء، والفعل مجزوم لأنه واقع في جواب الأمر « زد » والصواب حذف عينه حتى لا يلتقي ساكنان، ويصح البيت هكذا:

زد في السؤال يزدك ربك في العطا فمليكنا يعطي على قدر الرجا

جمادى أول – قوله:

ولتهتكوا حرمات أشرف النساء ولتضحكوا مما يغار له الحياء

مكسور، وتصحيحه مع المحافظة على لفظه ومعناه:

ولتهتكوا الحرمات في خير النساء ولتضحكوا مما يغار له الحياء[1]

وهذه أخطاء هينة لا تذهب بشيء من قيمة شعر « إبراهيم عزت » التي تتمثل في أنه **شعر راقٍ في معانيه وصوره وأساليبه، وأنه يحمل هموم داعية أخلص في دعوته، وأنه متنوع الأطر الموسيقية، غني في إيقاعه ونغمه، في شكليه التقليدي والجديد، وأنه لم يتورط في عيوب الجمود التقليدي، ولا عيوب الانفلات التجديدي، فبرئ من الغرابة والغموض، والركاكة والضعف، وسلم من التورط فيما تورط فيه كثير من معاصريه**

(1) لعلها كانت (ولتهتكوا حرمات أشراف النساء) وهي مضبوطة وزنًا، وإن كان وصف النساء بالمذكر غير قياسي لغة – البسيوني.

الذين ارتموا في أحضان الحداثة دون وعي، كما تتمثل قيمة هذا الشعر في جمعه الموفق بين حقيقة الدين وروعة الفن من غير أن تضعف إحداهما الأخرى [1].

هكذا كان نقد د. **حسن عبد السلام** المنصف الذي لم يأخذه انبهاره وإعجابه بالرجل أن يكشف هذه الهنات في شعره.

وعندما قرأت هذا الكلام ثم وقع في يدي الديوان اكتشفت حقيقة الأمر، **وأن الطباعة الرديئة، وعدم مراجعة الديوان بعد طباعته – حيث لم يخرج في طبعة ثانية – أديا إلى وجود كثير من الأخطاء التي استدركها د. حسن، بل أضعافها؛ إذ لا تخلو صفحة من الديوان من عدد من الأخطاء اللغوية والمطبعية والعروضية** [2].

لقد حدث ما جعل الشيخ يعرض عن الشعر، بل عن تصحيح ديوانه، وكأنه يستحضر نفسه عندما يقول:

والآن يا حبيبتي / لن أكمل الحديث / وإن بدا مشوِّقًا / فليس ما أريده إثارة الطرب / أو أن تحركي الشفاه من دلائلِ العجب / ولن أتمَّ يا حبيبتي النغم/ فقد رأيتُ ما يحرِّمُ النشيد / ألف عام / فصرت كلما بدأتُ في الغناء / أجهشتُ بالبكاء.

لن أُمسك القلم / فالرعشة التي سرت في قلبيَ المنهوك / أصابت المواقع الخضراء بالعقّم / فلم تعد تجيد غير نبضة الألم.

لَنْ أُكْمِلَ الْحَدِيثَ يَا حَبِيبَتِي / فَشَمْعَتِي فِي لَيْلَةِ الْجُفَاءِ أُطْفِئَتْ

(1) الشيخ إبراهيم عزت: حياته وشعره، حسن عبد السلام، ص87 – 91 .

(2) تعاملت مع الديوان كأنه مخطوط يحتاج إلى تصحيحه وتهذيبه ليخرج للقارئ، وكنت أود تصوير صفحات منه قبل التصحيح وبعده، ليقف القارئ على الجهد الذي بذله فريق العمل لإخراجه.

وَأَكْذَبُ الأَصْوَاتِ فِي هَوَاكِ قَدْ عَلَتْ

وَقِصَّةُ الكَلامِ كُلُّهَا قَدِ انْتَهَتْ

قَدِ انْتَهَتْ يَا بِلادِي ...

أو إنه رأى أن وقت الكلام قد انتهى وبدأ وقت العمل؛ فانطلق يعزف أنشودة أخرى فوق المنابر وبين الناس يدعوهم إلى الله.

نعم.. فلم يَعُدْ إبراهيم عزت إلى ديوانه مصححًا أو مراجعًا؛ فلم يكن لي بد من المراجعة!

وعندما استشرت بعض المتخصصين رأى فريق أنه من الأمانة أن يطبع الديوان كما تركه الشاعر؛ حتى يخضع للبحث العلمي والنقد الأدبي، ورأى آخرون أنه نوع من التحقيق، وليس مجرد نشر ديوان شعر، فيجب أن تعمل فيه يد التصحيح تحت مسؤولية المحقق والمخرج.. وبذلك أصبح هذا الكتاب مسؤوليتي الشخصية التي أتحملها راضيًا، وأعفي حتى فريق العمل من أي تقصير.

وأردت أن آخذ بأوسط الآراء، فاجتهدت أن أثبت الكثير من أسباب التغيير في هوامش الكتاب وإن كنت تجاهلت ما لا يصيب المعنى.

فريق العمل:

وكان أفضل ما تم هو عرض الديوان على أكثر من محب للشيخ ليبدي الكل رأيه، فكانت مناقشة علمية جيدة، وكأنها ندوة حول الشاعر والديوان، وهكذا فقد انضم إلى فريق العمل شاعران فاضلان، وصديقان عزيزان.

عبد الله رمضان

أبو ريم كما يكني نفسه، حاصل على الماجستير في اللغة العربية من دار العلوم في جامعة القاهرة، ومتخصص في عروض الشعر. وهو فوق ذلك كله شاعر، أهداني ديوانه المخطوط « **رسالة إلى العيون الجريحة** » والذي نشر الكثير من قصائده في

المجلات الأدبية والإسلامية مثل المجتمع والرسالة، ولعل من المناسب هنا أن أذكر لكم شيئًا من شعره:

يقول في قصيدته « **الكل باطل** »:

الليل راحل / والصبح داخل / بدم الشهيد يسيل ما بين المداخل / وبقلبه المحروق في اللهب والقنابل / وبصدره المخروق من رشاش سافل / الليل زائل / بدم الثكالى والأرامل / من حفنة الأحجار تقذفها الأنامل..

يا قدس يا تاج الأوائل / هذا صلاح الدين من بوابة الأسباط داخل / وأبو عبيدة خلفه الآلاف في نابُلْسَ نازل / هذا هو القسام تسبقه الزلازل / تتجسد الآمال في طفل مقاتل / تتعانق الأحلام في بنتٍ تنازل / تتداخل الأيام في حجرٍ مناضل / شدي يديك على الزناد / فلم يعد في القوم فاعل / فالكل باطل / والكل قاتل.

وفي قصيدته « **تَصْمُتِيْنَ** » يقول:

كان يا ما كان: نهر وشجر / وطيور ونسيم وزهر / كان زيتون وليمون / على مدخل القرية / شاخص البصر / في وداع الذاهبين / وانتظار العائدين / كان يا ما كان بنت عربية / منذ بدْء الخلق ما زالت صبية / ترتدي تاج إباء خالد / ومن الأماسح حمرًا مرمرية / عاشت العمر نقية / ليس ترضى بالدنية.

ثم يذكرها بعد أن أصابتها المأساة فيقول:

كم رأيناها وكم آهٍ / وما تنفع الآه إذا السهم ارتمى / ركضت حول حماها عصبة / بنت شيطان ترى في العمى / راح منها طهرها / وتعرى ظهرها / صرخت في كل وادٍ ربما / هب للنجدة من يحمي الحمى / قاومت واستأسدت في ضرها / عادت الصرخة تشكو الصمما / وتلاشت في السكون / ومتاهات

السنين / تصمتين الآن بأسًا / تصمتين / بعد ما صدع واديك الأنين / تصمتين!! [1].

هذا شعر **أبي ريم**.. أما فعله في الديوان فلا أملك إلا أن أقول له جزاك الله خيراً، فقد أعطيته صورة من الديوان المصور عن الأصل، فصحح الكثير من الأخطاء المطبعية، وبَيَّنَ الكثير من التجاوزات النحوية التي يتسامح فيها المصحح بسبب الضرورة الشعرية، وأعاد توزيع أبيات القصائد التي كتبها الشاعر على نظام التفعيلة، وقال في ذلك: « هذا التوزيع الجديد للأسطر والتفاعيل، يجعلها موزونة، أما في شكلها الأول فقد كانت مكسورة أحيانًا، ومتداخلة الأبحر أحيانًا أخرى ».

وقد اعتمدت الكثير مما أثبته الشاعر **عبد الله رمضان**، كما اعتمدت معظم ما صححه د. **حسن عبد السلام**.

ومن تعديلاته التي أثبتها لوجاهتها، وليقيني أنها أخطاء مطبعية:

1- تغيير كلمة « أحياناً » إلى « أحياءً » في قول الشاعر:

جدوا لأقدارها فالهزل مقبرة
بها سندفن أحياناً ونبكيها [2]

2- تغيير كلمة « يدفئه » إلى « يدفعه » في قول الشاعر:

فالقلب يدفئه إلى الله انتماء
منه تذكو جذوة الإيمان

3- تغيير كلمة « أحمد » إلى « قد أطبقت » حيث ينضبط الوزن ويختفي الغموض من البيت في قول الشاعر:

لبيك فاكشف كربة أحمد
فالشيب يعلو هامة الولدان

---

(1) يقصد القدس في قصيدته الرائعة الطويلة.

(2) رأى الشيخ عبد السلام أنها صحيحة ولكن بلا تنوين (أحيانا) جمع (حي وأرى أنها أوضح للمعنى.

4- تغيير كلمة «الجناز» إلى « الجنان » في قول الشاعر في قصيدة « أبي »:

معزوفـــــــــة الجنـــــــــاز في حـــــــدائق الجنـــــــون

حيث يستقيم المعنى.. فهل الجناز هي الجنائز وما صحتها لغويًّا؟ [1]

وقد استشارني رمضان في كتابة مقال أو أكثر حـول الـشاعر، ينـشرها في الجرائـد المتخصصة أو على شبكة المعلومات « الإنترنـت » فأعطيتـه كتـاب د. حـسن وديـوان الشاعر، فكتب مقالين جيدين، أظن أن مكانهما الطبيعي هذا الكتـاب الجـامع، حـول شعر إبراهيم عزت، فنشرتهما فيه بعد استئذانه.

محمد عبد المعطي

وهو صديقي العزيز الذي يلازمني في كل أعمالي، والمراجـع اللغـوي ذو اللمـسات الفنية الراقية.. وقد قام بجهد ضخم في مراجعة الكتاب كله.. وكان جهـده الأكـبر في ضبط القصائد، حيث مشكلة الأخطاء المطبعية، فكـان يقابـل القـصائد عـلى شرائـط **أبي مازن**، وكتاب « **نشيد الكتائب** » وكتاب الـدكتور **حـسن عبـد الـسلام** والـديوان الأصلي.

الشيخ البسيوني

ثم جاء دور **عبد السلام البسيوني**، وما أدراك من عبد السلام البسيوني.. ويكفـي تعريفًا به قراءة ذلك المقال الرائع الـذي كتبـه حـول الـديوان.. إنـه صـاحب الكتـب

---

(1) وقد بَيَّنَ الأستاذ عبد السلام البسيوني أن « الجِنّان » هي الجن، وهي فصيحة لغويًّا، ويستدل عليها بقول أبي العملس الطائي:

فلو أبصرتني بلوى بطانٍ أصفق بالبنان على البنان

فأقلب تارة خـوفًا ردائي و أصرخ تارة بأبي فلان

لقلتَ أبو العملس قد دهاه من الجنان خالعةُ العنان

الكثيرة المطبوعة والنافدة من السوق.. والذي توقف عن النشر بعد أن أصابته غضبة مؤلف من الناشرين، فاكتفى بالصحف والإنترنت؛ إلا أن تحت يديه روائع من أنواع الكتابة التي تفتقدها المكتبة العربية، وهي الكتابة الساخرة الناقدة؛ فهو من القلائل الذين يجعلوننا نضحك من شدة الحزن، وإذا أردت اكتشافًا فاقرأ له « **وأدرك عبسلام**[1] **الصباح** » و« **مقامات بديع الزمان البسيوني** » و« **بسيولوجي** » واقرأ له «**تجفيف منابع الأنوثة**» و «**قال نسوة** » إضافة إلى كتاباته الجادة الأخرى مثل: **ماذا يريدون من المرأة؟ والعقلانية، وفقه الواقع، والألوهية، وحرية المرأة، والغيرة، وتفكيك الأسرة، واليسار الإسلامي**، إلى آخر ما كتبه من الكتب الرائعة، التي أسأل الله أن أجدها منتشرة بين يدي القارئ العربي، الذي أثقله الحزن.

وهو الشاعر الرائع صاحب القصائد المغناة، والمسرحيات الشعرية، والدواوين الكثيرة: أرسلت إليه منذ شهور رسالة إلكترونية، أطلب سيرة ذاتية، له ليحل ضيفاً على موقعي الإليكتروني[2]، فأرسل إليّ هذه السطور:

«آني اسمي عبسلام، 52 سنة، من زفتى، ومتجوز اتنين، والتالتة الله يرحمها، والرابعة في السكة إن شاء الله، ومقاس شبشبي 47 بوز عريض! ككل شخص سمين باحب المحشي والمكرونة، وأعاني من الضغط والسكر وخشونة الركبة، ومرشح لجايزة نوفل، وأجيد عدة لغات منها الإنجليزية والزفتاوية ولهجة أبناء الخليج، إضافة للعربية الفصحى والمصرية العامية اللتين أكتب بهما الشعر والمسرحيات العسل. أزعم للناس عادة أن لي نحو خمسين كتابًا، منها 15 نفدت من الأسواق بعد نزولها بشهرين تلاتة، ولن أنشر الباقي لأني تعقدت من الناشرين ولاد الـ..... عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وخبير بمجمع فقهاء الشريعة، ورئيس أمناء مدارس الدحيل المستقلة، وموجه شرعي لمركز قطر للتعريف بالإسلام أو كما يسمى اختصارًا

(1) هكذا يكتبها هو.

(2) عنوان الموقع: www.akramreda.com .

(QCPI) وخطاط ورسام، وباحث ومفكر، وأجيد شراء الخضار من السوق، وقضاء الحوائج اللي دائمًا حماتي تلومني على شرائها، وتقول لي إني عمري ما هاتعلم، معد برامج بتلفزيون قطر، وكاتب بالإذاعة، ولي بابان أسبوعيان بالراية: ملفات ملغومة، وحقك وفوقه بوسة.

مراتي الأسترالية في أجازة في جولد كوست، والست الزفتاوية بعافية شوية، وأصغر بناتي حنين في رابعة ابتدائي، والواد ابن صفاء بنتي كان راقد في الطوارئ امبارح طول الليل، وتصبح على خير ».

أرسلت إليه هذا الكتاب حيث مهجره في قطر.. فطار به فرحًا، وقرأه وتأمله.. لقد فرح فرحًا شديدًا جعلني - وأنا الفرحان جدًّا بالشيخ وشعره - أعجب من شدة فرحه، وراجع المقال الذي كتبه لتجد صدق ما أقول.

وبالمناسبة هو لم يهددني بكوندا ولا غيرها.. فأنا الذي كنت شديد الحرص أن أكتب حول الديوان، فنحن لا نخاف بعد أن لم يعد فينا مكان للخوف؛ إذ امتلأنا حتى الحلوق خوفًا!

ورأى الأستاذ عبد السلام أو الشيخ عبد السلام كما يناديه مريدوه في قطر بعض اللمحات التي فاتت الأستاذ رمضان؛ فعدلها، وبينها لي، وترك لي الاختيار؛ وذلك من أدبه، وحرصه على الأمانة العلمية.

فاعتمدت الكثير من ملاحظاته، وتركت بعضها كما أوردها الشيخ إبراهيم يرحمه الله، رغم منطقية الكثير منها، وذلك **لشدة التصرف**.

1- مثال ذلك قصيدة « **أمي** » يقول:

يا من بها فرحي غداً أنشودة ولها أجدد بسمة وأغان

عدلها إلى « **ولها تُجَدَّد بسمةٌ وأغان** » خروجًا من الخطأ النحوي الظاهر.

صفر- وقوله:

وبذكر من يهب السلامة فاحتمي وامضي إلى الحصن الذي آواني

عدلها إلى:

وبذكر من يهب السلامة أحتمي أمضي إلى الحصن الذي آواني

ربيع أول- وقوله:

وغداً نجلجل بالحياة بمرفئي... عدلها إلى « بعزة ».

ربيع ثان- وفي قصيدة **أبي:**

رأى الأستاذ عبد السلام أن قول الشاعر « **لم أقمت يا أبي بدارهم** » مكسورة الوزن.. وغيرها إلى « **لم استفأت يا أبي بظلهم** » ولكني أبقيتها كما هي.

جمادى الأولى- في قصيدة « **فلنطلق ابتسامنا** »:

حذف سطر « لا..ألفان » بعد قول الشاعر واحد ثلاثة وألف، وغير سطراً يقول فيه « **فالغيب قد يحمل بالتأويل** » إلى « **فالغيب يحمل في أحشائه المعاني** »؛ ذلك لركاكة بعض الألفاظ وكسر الوزن كما كتب لي.

جمادى الثانية- وفي قصيدة « **وكان ملحدًا.. ومات** »:

غير سطر: **ويطلق الكلام تأثرًا عن نصرة العمال والفلاح** إلى:

ثائرًا / عن نصرة العمال / عن عزة الفلاح.

وكرر كلمة يرتل في نهاية القصيدة.. يرتل القرآن.. يرتل القرآن وكانت: يرتل القرآن... القرآن.

رجب- في قصيدة **دعاء...** قال الشاعر:

والأمر أمرك إن أردت رحمتنا وإذا أردت فقد عدلت بقهرنا

فغيرها إلى: **وإذا قهرت فقد عدلت بقهرنا**

شَعْبَان– في قصيدة **يوم الحبيب صلى الله عليه وسلم**: أضاف « إذ » لقوله:

« **من أبدع الكون ذكراه تذكينا** » فأصبحت « **من أبدع الكون إذ ذكراه تذكينا** ».

ثم كتب الأستاذ عبد السلام البسيوني مقالاً رائعًا تأمل فيه الديوان بوعي للشعر، والشاعر، وزمن كتابته، والبيئة الشعرية والأدبية وقتها، وقد وضعت له عنوان «**إبراهيم عزت الذي لم أعرفه** » فهو يعبر بشدة عن الحالة البسيونية عند قراءة الديوان[1].

وقد أراده مقدمة للكتاب، ولكني جعلته من الدراسات حول الديوان؛ لأنه يناسب ذلك، ومن أجل أن أكتب أنا المقدمة، وإلا لم أكن قد فعلت شيئًا أستحق به وضع اسمي على هذا الكتاب، الذي أعتبره تحية وذكرى يتنهد بها القلب، لحبيب غاب عن أعيننا، ولكن لا يزال صوته هادراً في قلوبنا.

ولا نزال نستمع إلى دعائه في آخر كل خطبة له:

اللهم هيئ لأمة حبيبك محمد أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر..

اللهم من أرادنا والإسلام والمسلمين بخير فوفقه لكل خير..

اللهم من أرادنا والإسلام والمسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره، واشغله بنفسه، وأهلكه كما أهلكت عاداً وثمود..

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:40 – 41]. وأقم الصلاة....

رحمك الله شيخنا وأستاذنا وشاعرنا وجمعنا بك في مستقر رحمته.. آمين

أكرم رضا

(1) ثم اتصل بي الشيخ «عبد السلام» ليزف إليّ نبأ تأليفه لقصيدة مستوحاة من حياة الشيخ «إبراهيم» وشعره فأرسلتها بسرعة إلى المطبعة والكتاب مائل للطبع ستجدها في قسم الملاحق.

الفصل الأول
الشيخ إبراهيم عزت
سيرة حياته وملامح شخصيته

ولد **إبراهيم عزت محمد سليمان** عام 1939م في مدينة سوهاج بصعيد مصر، وكان ثاني ولد لأبيه محمد سليمان.. بعد أخ له اسمه أحمد وقد مات في المهد.

كان الأب يعمل مفتشاً في التعليم الصناعي بوزارة التربية والتعليم، وكانت أمه على علم وخلق ودين، وبين هذين الوالدين نما إبراهيم عزت واشتد عوده.

ولظروف العمل اضطر الأب أن ينتقل بأسرته إلى طنطا، وهناك التحق إبراهيم بإحدى مدارسها الابتدائية. وانتظم بالدراسة، إلى أن اضطر الأب ثانية أن ينتقل إلى القاهرة، فسكن بحي الزيتون، بينما التحق إبراهيم بالمدرسة الثانوية بعين شمس، ليدخل بعد ذلك كلية التجارة بجامعة عين شمس إلى أن تخرج منها.

تم تجنيده ليخدم في الجيش، وفي تلك الأثناء تقدم لوظيفة مذيع في الإذاعة المصرية، ونجح في اجتياز الاختبارات التي أجريت له، وتم تعيينه، وقدم العديد من البرامج الدينية والثقافية مثل: « بيوت الله » و « دنيا الأدب » ثم عين في الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، ورغم انشغاله بالدعوة إلى الله حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة الأزهر.

الحياة الدينية في مصر

انتهى الصراع بين ضباط الثورة والإخوان المسلمين بتلك المأساة التي حدثت عام 1954 والتي راح ضحيتها العشرات من أعضاء الجماعة، ما بين محكوم عليه بالإعدام، ومن مات من آثار التعذيب، وحكم على الباقين بالسجن ما بين خمس سنوات والمؤبد، ولكن لم يؤثر كل هذا التنكيل في شرارة الدعوة الإسلامية التي أطلقتها الجماعة، سواء في مصر، أم على مستوى العالم الإسلامي، أو على مستوى العالم. فقد كانت الشعوب في شوق دائم لمن يُذَكِّرُها بإسلامها.

جماعة التبليغ

وفي الهند كان الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي قد طلع بفكرة جيدة، استهدفت توحيد المسلمين الهنود، بعد أن فرقتهم مكائد الاستعمار البريطاني، فأسس - يرحمه الله - « جماعة التبليغ ».

والكاندهلوي (1303 - 1346هـ/ 1882 - 1943م) كان يعد أحد علماء الهند الأفذاذ، تلقى تعليمه على كبار علماء بلاده في مدرسة «ديوبند» إحدى كبريات مدارس الأحناف في شبه القارة الهندية، وخلفه في قيادة الجماعة ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، مؤلف كتاب « حياة الصحابة » ثم خلفهما الشيخ إنعام الحسن، بعد وفاة الشيخ يوسف عام 1965م.

وتقوم جماعة التبليغ على دعوة المسلمين إلى العودة للالتزام بالإسلام، وقد وضع لها مؤسسها نظامًا يفرغ من خلاله أفرادها أوقاتًا للخروج لدعوة المسلمين، فينزلون في المساجد، وينفقون من أموالهم على دعوتهم، ويبتعدون كل البعد عن مواطن الخلاف.. معتبرين أن للخروج فائدة أساسية غير الدعوة؛ وهي تربية المسلم التربية العملية على الالتزام بالإسلام، ويعتقدون أنه بصلاح الأفراد يزول المنكر من المجتمع، ويعود الإسلام يظلل الحياة؛ ولذلك تراهم يبتعدون عن الحديث في شؤون المسلمين الاجتماعية والسياسية، أو الرد على الأفكار المعادية للإسلام.

وللتبليغيين تأثير جيد في جذب المسلمين إلى المساجد في أكثر بقاع الأرض بعد أن بدأت في الهند، وذلك بفضل جهود أهلها واجتهادهم [1].

وكانت الجماعة تتحين فرصة موسم الحج للتعرف على المسلمين، وتصدير فكرتها

---

(1) راجع: (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة) الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض. و(الطريق إلى جماعة المسلمين) لحسين بن محمد علي بن جابر، و(مشكلات الدعوة والداعية) لفتحي يكن.

إلى البلاد الإسلامية، وهناك التقوا بوفد من المسلمين المصريين الذين اقتنع بعضهم بالفكرة وعلى رأسهم الشيخ **فريد العراقي** [1].

نقل الشيخ العراقي فكرة التبليغ إلى مصر. ورغم أجواء الصدام بين الإخوان والثورة استطاعت الفكرة أن تتجسد واقعًا على الساحة الإسلامية المصرية، حيث إن من مبادئها عدم التدخل في السياسة – ليس بمفهوم إنكار أن الاسلام منهج حياة، بل كنوع من أنواع الأولويات في العمل الإسلامي – وإن كان بعض أفرادها قد غفل عن هذا المعنى، فاعتبر أنه لا علاقة للسياسة بالدين [2] حرصًا على هذا المبدأ، وخوفاً على منع العمل من قبل الحكومات.

واستمرت الجماعة تعمل في الدعوة إلى الله في المجتمع المصري بجوار الجمعيات الأخرى مثل « الشبان المسلمين » و « الجمعية الشرعية » وبعض الجمعيات الحكومية، التي لا تتعرض من قريب أو بعيد لسياسة الحكومات.

إبراهيم عزت والتبليغ

كان إبراهيم عزت قد عبر أعوامه العشرين، وبدأ الشاب المتدين بفطرته وتربيته البحث عن سبيل ينقل به تدينه هذا من مجرد تدين فردي إلى عمل إصلاحي كما تعلم من ثوابت دينه: ﴿ **وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣** ﴾[العصر:1 – 3] فأخذ يتنقل بين الجمعيات والجماعات العاملة في ذلك الوقت، فتعرف على الجمعية الشرعية، ثم الشبان المسلمين، ثم بعض طرق التصوف، غير أنه لم يجد غايته في أي منها، فهو يريد إيمانًا متحركًا يتعدى إلى غيره، لا إيمان من يقول شعاره (**دع الخلق للخالق**).

لم تكن جماعة الإخوان المسلمين تستطيع أن تعلن عن نفسها، فقادتها داخل السجون.. يلاقون أشد أنواع التنكيل، وقد أصبحت العلاقات بين أفرادها مراقبة..

---

(1) تجاوز الشيخ فريد العراقي الثمانين من العمر، ويقيم في بلدته بمحافظة الشرقية، ولم ينقطع جهده عن الدعوة، أطال الله عمره ومتعه بالعافية.

(2) راجع كتاب (الطريق إلى جماعة المسلمين).

في وطن موضوع كله تحت المراقبة، فلم يستطع الفتى المشتاق أن يتصل بها اتصالاً يجعله ضمن أفرادها.

قام الشاب المؤمن **إبراهيم عزت** بدوره الدعوي في الإعلام المتاح وقتها، فكان أول من سخر الإعلام في الدعوة إلى الله؛ حيث وفقه الله تعالى إلى العمل مذيعًا في الإذاعة المصرية، لتكون برامجه التي يقدمها في « بيوت الله ».

ولكن الله كان يريد له ولجماعة التبليغ أمرًا آخر، حيث التقى بها، وتعرف على فكرها، فوجدها أقرب الجماعات إلى تحقيق مراده، في تحويل التدين الشخصي إلى تدين فاعل متحرك، يؤثر في الآخرين. وكان شعاره: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾** ﴾ [فصلت:33]، فانضم عزت إلى جماعة التبليغ عام 1963م.

مبادئ التبليغ

واستمر الفتى الشاب في دعوته، ينتقل بين المساجد، يحمل فرشه على كتفه، وزاده في يده، ينادي في الناس نداء رسول الله ﷺ: [**يَاأَيُّهَا النَّاسُ: قُولُوا لا إِلَهَ إِلا الله، تُفْلِحُوا**].

كانت مبادئ الجماعة الستة دستوراً جيداً للعمل الدعوي استوعبه إبراهيم عزت، وكان بيانه الدعوي الذي يلقيه على الناس الذين يجمعهم في المسجد عقب الجولة، يدور حول هذه المبادئ التالية:

1- الكلمة الطيبة « لا إله إلا الله محمد رسول الله ».

2- الصلاة ذات الخضوع والخشوع.

3- العلم والذكر.

4- إكرام المسلمين.

5- الإخلاص.

6- الخروج في سبيل الله « للدعوة ».

وألزم عزت نفسه بثلاثة أمور تلتزم بها جماعة التبليغ ، وهي:

1- لا حديث في أمراض الأمة ومنكراتها.

2- لا حديث في الخلاف بين المسلمين، وخاصة الجماعات.

3- لا حديث ولا مشاركة في السياسة، وخاصة السياسة الداخلية للبلد، الذي يمارسون فيه الدعوة.

وكان هذا المنهج نوعاً من أنواع تفادي المواجهة، وإيجاد مناخ تستطيع فيه الدعوة أن تجد طريقها، في ظل حكومات أقلها لا ترضى بالإسلام حاكمًا. خاصة وأن الدعوة نشأت في بلاد الهند الوثنية حيث كان المسلمون أقلية، ولأن الدعوة إلى الإسلام لا تصلح أن تكون سِرِّيَّة. فالسِّرِّيَّة تخالف طبيعة الدين الحنيف؛ ولأن المساجد هي مقار التبليغ، فكان لابد ألا تغلق أبوابها في وجوه أعضاء الجماعة.

قدر المحنة

ويمر عامان ينصهر فيهما الفتى الشاب داخل دعوته، ويبذل أكبر جهده لزرع الدعوة في قرى وأرجاء مصر، يتجول من مسجد إلى مسجد في نظام بديع، وضعه الشيخ المجاهد محمد إلياس، يدعو الناس إلى الخير، ويذكرهم بدينهم، ومعالمه الاجتماعية الراقية.

ولكن تعود المحنة لتطل برأسها، حيث أعلن رأس النظام المصري من موسكو عام 1965 أنه أصدر قراره بالقبض على ستة آلاف من الإخوان المسلمين، وعلت عقيرته وهو يصرخ: هذه المرة لن أرحم.. وتتحرك الكلاب المسعورة تقبض على كل من له صلة ليس بالإخوان ولكن بالإسلام؛ فتقبض على المصلين عند خروجهم من صلاة الفجر!! وتقبض على العلماء الذين يقودون الجمعيات التي تعمل بتصريح حكومي مثل الجمعية الشرعية!! وتقبض على جماعات التبليغ المنتشرة في المساجد تدعو الناس إلى مبادئ الخير.

وفي أحد مساجد حلوان – إحدى ضواحي القاهرة – حيث كان عزت الذي تجاوز الخامسة والعشرين عامًا معتكفًا، استعدادًا للخروج في جولات لدعوة الناس

إلى بيت الله – إذا بالعسكر ينقضون عليه، ليساق هو ومن معه إلى المعتقل، ليسجن ثلاث سنين بلا محاكمة.

والتقى بالإخوان المسلمين

وكان المعتقل بالنسبة لعزت نقطة تحول في أمرين:

الأمر الأول فإنه هناك التقى بالإخوان المسلمين، حيث مدرسة الدعوة الشاملة، التي تأسست بعد سقوط الخلافة؛ لتكون محضنًا لها لتقوم من جديد، فاستمع الشيخ إلى معاني الشمولية، ومراتب العمل، وخطوات التنفيذ، وقدر المحنة. واستوعب أصول الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة.

وعاين بعين اليقين تنفيذ سلفية الدعوة، وسنية الطريق، وحقيقة الصوفية، وشورى السياسة، وقوة البدن ، وارتقاء العلم والثقافة، وشمول الإسلام اقتصاديًا واجتماعيًا، ورأى كيف يؤدي الفرد واجبه حتى في أحلك الأوقات.

ساق القدر **عزت** إلى ما كان يبحث عنه، واستشعر إضاءات على الطريق الذي أحب أن يسير فيه، وتوطدت العلاقة بينه وبين الإخوان وخاصة شيوخهم؛ حتى إنه كان يزورهم في بيوتهم بعد خروجه وخروجهم من السجون أواخر السبعينيات، كما حكى لي الأستاذ **سيد ستيت** – يرحمه الله – خلال زيارة له في بيته بحدائق القبة بالقاهرة.

ومن طرائف هذه الزيارات أنه عندما رزق الله – الأستاذ ستيت – بابنته الأولى وجد **إبراهيم عزت** يطرق بابه بملابسه البيضاء الجميلة، وعمامته الزاهية، وفي يده أكبر بطيخة رآها ستيت في حياته كما أخبرني، وجلس الضيف في حجرة الاستقبال مهنئًا بالمولودة الكريمة، وسأله: ما اسمها يا أستاذي؟ فلما أخبره أخرج من جيبه قلمًا وورقة، وكتب قصيدة جميلة، وعنونها باسم المولودة.. غير أن الأستاذ سيد أخبرني أنه فقدها للأسف!

ومن الحكايات التي حكيت عنه في معتقله حول شدة تمسكه بالسنة، وعدم تنازله عنها: مما كان يسبب بعض العنت في ظروف المعتقل [1]، ما حكاه لي الدكتور **رشاد البيومي** أستاذ الجيولوجيا بكلية العلوم - جامعة القاهرة- وعضو مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان المسلمين حاليًّا، أن الشيخ **إبراهيم عزت** ومجموعة التبليغ التي قبض عليها مع من قبض عليهم من المساجد كان عندهم رأي فقهي بعدم التجفيف عقب الوضوء، وكان الجو باردًا جدًّا؛ مما جعلهم يصابون جميعاً بنزلة برد، مكث الإخوان يعالجونهم منها مدة طويلة.

هكذا كان إبراهيم عزت رحمه الله: شابًّا يحمل في قلبه الإسلام والإيمان، والرغبة في العمل، يلتقي بشيوخٍ دَرَّبتهم الحياة، وصقلتهم التجارب والمحن، فخرج معظمهم بفهم أكثر شمولاً، دفع بجماعة التبليغ بعد ذلك لتكون من المحركات الأساسية للصحوة الإسلامية، التي شهدتها الجامعات في منتصف سبعينيات القرن الماضي، **وكان المحرك الأساسي لهذه القفزة هو الشيخ إبراهيم عزت، خطيب جامع أنس بن مالك بعد ذلك.**

والشعر

وكان **الأمر الثاني** الذي يعتبر نقطة تحول في المعتقل هو فيضان ينبوع الشعر الكامن في قلب **عزت**، حتى إن جميع قصائد ديوانه الوحيد الذي نعرضه هنا كتبت بعد - أو خلال - عام **1965** إلا قصيدة واحدة هي قصيدة « **لحظة وصال** » التي كان قد كتبها عام **1960**م.

ونستطيع أن نرصد أن أكثر قصائده كاملة، كتبت عن فترة الاعتقال، مثل قصيدة: « **أمي** » التي تشبه في روحها وفي موسيقاها قصيدة « **رسالة في ليلة التنفيذ** » **لهاشم الرفاعي** رحمهما الله تعالى [2].

(1) ذكر الأستاذ أحمد رائف طرفاً من هذه الحكايات في كتابه « البوابة السوداء ».

(2) راجع الشيخ إبراهيم عزت حياته وشعره، ص 12 .

وفي هذه القصيدة يخاطب **عزت** أمه، داعيًا إياها إلى الصبر، واللجوء إلى الله عز وجل ودعائه، سائلاً إياها أن تعفو وتغفر له ما سببه لها من ألم وقلق، ويعدها بأنه سيتم رسالته في الدعوة إلى الله بعد انجلاء محنته، لينال رضا ربه وشفاعة الرسول ﷺ، وليحقق لأمه النذر الذي نذرته لله؛ إذ ربت ولدها على حب الله تبارك وتعالى، وحب التضحية في سبيله.

قال **عزت** مخاطباً أمه:

ماذا أقول شريكةَ الأحزانِ؟ جودي بفيض العفو والغفرانِ
الشدو آهاتٌ.. وعذبُ معانِ وُلِدَت برغم القيدِ والسجانِ
في غرفة مصفودة الجدرانِ تربو بساحتها رؤىً ومعانِ
عذرًا على الدمع الحبيب ذرفتُه فأضاء منه قصائدي وبياني
فلكم بكَت من أجلِه أغلالُنا ولكم نمَت في ظله أشجاني

وكذلك قصائد: **أبي، صغيرتي، زيارة، فلنطلق ابتسامنا في ليلة العزاء، والألم، لا تذكر الحياة، مرثيتي، اليوم عيد، وبعد**[1]، **أزفت، حبيبتي بلادي، هو ذاك**. وهذه ثلاث عشرة قصيدة من قصائد ديوانه الثمانية والعشرين، تسجل تلك المحنة تسجيلاً دقيقًا معبرًا، وتبين أثرها في انطلاق طاقة الشعر لدى عزت.

وانفرجت الشدة

وخرج إبراهيم عزت من معتقله عام 1968م بعد ثلاث سنوات قضاها بلا محاكمة، وقد أضاف إلى عزمه وإيمانه ويقينه الذي زاد بهذه التجربة صقلاً لفكرته الإسلامية بلقائه بالإخوان المسلمين، وتلقيه عنهم ثلاث سنوات. وقد ظهر ذلك الأثر جليًّا من خلال قصائده التي كتبها بعد ذلك.

استمع إلى ندائه في قصيدته « **الله أكبر** »:

(1) أطلق عليها أبو مازن (ملحمة الدعوة) واشتهرت بذلك.

والخـطبُ أكـبر مِـنْ لهـوٍ نُقارفـه ... والأمـرُ أكـبر مـن دعـوى نناديهـا
جِـدُّوا لأقـدارها؛ فـالهزلُ مقـبرةٌ ... بهـا سـندفن أحـياناً ونبكـيها
أنـتم وقـودٌ لحـرب ضـلّ صـانعها ... يُجَمِّـع الكيـدَ كـي يطـوي غوافيهـا
أبناؤنـا طُعمـة لليـأس نُـسْلمهم ... ضـلت معـالُهم: مـن ذا سـيجلوها؟
مـاذا نقـول لـربي حـين يـسألُنا ... عن الـشريعة لم (نحمـي) معاليـها؟
ومـن يجيـب إذا قـال الحبيـب لنـا ... أذهبتمـو سـنتي.. والله محيـيها؟
إن لم نردهـا لـدين الله عاصـفةً ... سيَذهب العرضُ بعدَ الأرض نعطيها
سيذهب الـدين والـدنيا بـلا ثمـن ... إن لم نقـدم دمانـا.. كـي نزكيهـا
إنَّـا عـلى عهـدنا لله.. نحفظـه ... حتـى نقـدم أرواحًـا.. ونَـشريها

وراجع أيضاً قصائده « **يا رسول الله** » و« **حبيبتي بلادي** » وغيرها.

مسجد أنس بن مالك

وقد ظهر هذا الشمول في فكرته أيضًا في خطبه التي تناول فيها تفسير القرآن الكريم. يقول في تمهيده للحديث عن سورة المطففين، وهي سورة مكية:

« القرآن في مكة قضاياه الأساسية هي قضايا التوحيد واليوم الآخر، والإصرار على صدق الرسول ﷺ، فما بال قرآن مكة يتكلم عن المعاملات، وعما يكون بين الناس من أحوال اقتصادية؟

وكأن هذا الدين العظيم المبارك يُعلم الدنيا كلها أنه ما جاء ليحبس الناس في المساجد، وإنما هذا الدين المبارك جاء ليعلن كلمة الله جل وعلا في كل أمر، وليعلن سيادة الله جل وعلا على أرضه في كل قضية من قضاياها.

الله له أوامر في نواحي الحياة في كل معادلة وفي كل معاملة.

لله سبحانه أمر، وينبغي عليك أن تبحث عن أمر الله في كل شيء من أحوال حياتك؛ حتى تتأسى برسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

كان الإسلام – وهو في مكة، مستضعفًا في أهله – يعلن أن له السيادة على الدنيا بكل أحوالها؛ فهو يحدث المطففين، ويحدث المتجبرين، ويحدث أصحاب الأموال، ويهدم صروح الظلم، ويبين للناس أن لهذا الدين منهجًا كاملاً ينتظم الحياة من بدايتها إلى نهايتها »[1].

وهكذا انطلق الشيخ إبراهيم عزت يعلن دعوته من فوق منبر الجمعة بخطب تناولت تفسير القرآن الكريم، وقد قص عليَّ من حضر ذلك اليوم من عام 1975 عندما قدم الشيخ صلاح أبو إسماعيل عزت ليخطب الجمعة مكانه في مسجد أنس بن مالك في حي المهندسين فبدأ الشيخ الذي كان سنه حينها 36 سنة خطبته بمقدمته المشهورة التي استمرت معه حتى نهاية حياته[2] ثم انطلق يتحدث عن القرآن ليبدأ أول خطبة من خطبه بتفسير سورة النور بدءاً من قوله تعالى:

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾ [النور].

فأخذ بقلوب الناس وعقولهم، وأسرهم بأسلوبه المتدفق الفياض، واستيعابه للقرآن الكريم – حفظاً وفهمًا وتفسيرًا – وشاعريته الرقراقة التي تصدر عنها الكلمات والعبارات. واستمر – يرحمه الله – يخطب في مسجد أنس بن مالك، مفسرًا للقرآن الكريم بالترتيب – بعد سورة النور، حتى سورة الناس – ثم بدأ في تفسير جديد من الفاتحة عملاً؛ بقوله ﷺ، عندما سأله رَجُلٌ: **يَا رَسُولَ اللهَّ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهَّ؟ قَالَ: [الحالُّ المرْتَحِلُ] قَالَ: وَمَا الحالُّ المرْتَحِلُ؟ قَالَ: [الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ]**[3].

---

(1) الشيخ إبراهيم عزت حياته، ص26.

(2) بدأنا بها هذا الكتاب.

(3) رواه الترمذي، كتاب (القراءات)، باب (ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

واستمر في تفسيره حتى حدثت أحداث أكتوبر 1981 والتي أوقفت هذا الفيض العظيم عند نهايات سورة النساء. وكم أحزننا – ضمن ما أحزننا وقتها – أن الشيخ عزت لم يتم تفسير القرآن ما بين سورة النساء إلى سورة النور.

وأسأل الله أن يوفقني إلى إخراج هذا العمل الجليل إلى النور، مكتوبًا محققًا موثقًا، حيث أمتلك ثلاثة أرباع هذا التفسير، مسجلاً على شرائط كاسيت [1].

* * *

(1) وأهيب بكل من يمتلك شيئاً من تراث الشيخ أن يتصل بي على بريدي الإليكتروني ليخرج العمل كاملاً إن شاء الله. akramreda@yahoo.com .

خطيب الدعوة

استطاع الرئيس محمد أنور السادات الذي حكم مصر من عام 1970 إلى عام 1981 أن يبني لنفسه مكانة في قلوب المصريين بقيادته لحرب رمضان المجيدة، والتي تمت في 6 أكتوبر 1973م، والتي كانت أول نصر على اليهود، بعد أن جرتنا النظم السابقة سواء الملكية منها والثورية إلى هزائم متتالية ونكسات ونكبات.

وعقب هذا الانتصار استشعر المجتمع كله فضل الله عليه، وبدأت عودة جديدة إلى الإيمان؛ بل بدأ الإيمان يصحو في القلوب، متواكبًا مع صحوة إسلامية كبرى اجتاحت العالم الإسلامي؛ لتخرج من جديد تلك المفردات التي كان المسلم ممنوعاً أن يتفوه بها في ظل استعمار عسكري ثم فكري. وامتلأت المساجد بالمصلين، وارتفعت أعلام الكثير من الأئمة.

كنا نجلس عقب صلاة فجر الجمعة في حيرة شديدة: أين نذهب اليوم لصلاة الجمعة؟ فيجيب أحدنا: الشيخ عبد الحميد كشك، ويرد الآخر: الشيخ محمد الغزالي، ويرد ثالث: الشيخ عبد الرشيد صقر.. الشيخ يوسف البدري..الشيخ عبد الصبور شاهين.. والشيخ إبراهيم عزت.. وكان المجتمع كله متوجهًا إلى الخير.

ولازم هذا مرور أكثر من عشرين عامًا على سجن الإخوان المسلمين ، وخروج آخرهم بعد أن أمضى بعض سنوات الاعتقال، بعد انتهاء مدة الحكم عليه. وكانت الصحوة تتميز بإقبال الشباب عليها - وخاصة شباب الجامعات - فانطلق هؤلاء الدعاة كأنهم بالأمس كانوا يرتقون منابر الدعوة، وكأنهم لم تمر عليهم أهوال السنين والسجون. انطلقوا يرشدون الصحوة، ويضبطون الإيقاع على الفهم الشامل للإسلام، وانطلق المجاهد إبراهيم عزت، وكأنه طائر قد لاقى سربه لينضم إليه، فكان الناس لا يفرقون بين دعوة التبليغ ودعوة الإخوان؛ بل كان هو لا يفرق بينهما. وكان له كلمات جميلة استمعنا إليها في محاضراته في جامعة القاهرة، حيث سئل عن الإخوان والتبليغ فقال في بلاغة: التبليغ يوصل الأسلاك إلى البيوت، والإخوان يطلقون

الكهرباء فيها. وكان عزت – رحمه الله – خطيب الدعوة بين عامي 1975م و 1981م.

أحداث مؤسفة

وساقت السياسة السادات – يرحمه الله – إلى عقد معاهدة الصلح والسلام مع إسرائيل. تلك التي اعترض عليها الكثير من فصائل المجتمع، بل معظم الدول العربية وقد أثبتت الأيام صدق اعتراض هؤلاء؛ بما جرته علينا هذه المعاهدة من ويلات. وللأسف لم يستطع السادات أن يستوعب الخلاف، فقد ساهم الإعلام العالمي الموجه من اليهود – إلى جانب صفات الرئيس الشخصية – في أن يتوهم أن مستقبله السياسي كله متوقف على نجاح هذه المؤامرة الاستسلامية.. برغم أن رصيده في قلوب المسلمين كان عاليًا بسبب انتصار رمضان / 6 أكتوبر 1973.

فاستشعر السادات أن من يعارض المعاهدة إنما يعارضه هو شخصيًّا ويهدم كل ماضيه ومستقبله السياسي؛ فهاج وماج، وارتكب بعض الفظائع التي لم يقو الشعب على تحمل عودتها من جديد؛ ففتح المعتقلات التي كان قد أغلقها أول حكمه، وداس على الجرح القديم الذي كاد الشعب أن ينساه.. جرح الاعتقال بلا جريمة، وسب العلماء، حتى قال عن أحدهم « **أهو مرمي في السجن زي الكلب** »، فأثار ذلك حفيظة مجموعة من الشباب، فاغتالته رصاصات يعلم الله من أين أتت! فلا يزال سر اغتيال السادات –رحمه الله– مجهولاً، وقد يكشفه التاريخ يوماً ما.

واضطربت الأحوال، وفرضت الأحكام العرفية، وصدرت قرارات سريعة بإسكات الأصوات جميعًا، حتى أصبحنا نجلس عقب صلاة الفجر نسأل: أين نذهب اليوم لصلاة الجمعة؟ فلا يجيب أحد!

ق والقرآن المجيد

وكان الشيخ إبراهيم عزت مستمرًّا في خُطَبِه في تفسير القرآن، لا يقطعها بأي موضوع آخر، لكنه – ولأول مرة خلال هذه الأحداث – يقطع تفسيره للقرآن بخطب ثلاث خطب متوالية، هي من أروع ما تسمع من خطب الجمعة، أما الأولى

فكانت عقب الاغتيال مباشرة، حيث احتشد الناس في المسجد، يودون سماع إمامهم يعلق على الأحداث، فكان - يرحمه الله - من الذكاء بحيث استطاع ألا يضيف على الفتنة فتنًا، ولا على النار وقودًا؛ فإذا به، وبعد انتهاء مقدمته المشهورة يستفتح باسم الله الرحمن الرحيم، وتنطلق حنجرته الراقية: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١ ﴾ [سورة ق].

وانطلق يتلو سورة « ق » حتى أنهاها، والناس في سكون وخشوع، وكأنما يتنزل عليهم القرآن لأول مرة؛ فإذا انتهى من السورة، ووصل إلى آياتها الأخيرة - وقد بدأ خنين البكاء من الحاضرين تأثراً بالقرآن - فإذا به يردد آياتها الأخيرة، ويكررها: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾[سورة ق] [1].

ويهز البكاء الشديد جنبات المسجد، معبرًا عن أسى قلوب يعتصرها الهم والكمد، على ما يصيب الأمة التي كلما استيقظت ظهر لها من يحاول أن يكتم فمها، ويحولها إلى أطياف عبيد.

وفي الخطبة الثانية لم يزد الشيخ على أن دعا دعاء لم يدعه من قبل، تناول فيه كل الأدعية التي وردت في القرآن والسنة المأثورة، وختمه وهو يرفع صوته يشكو إلى الله بدعاء العز بن عبد السلام سلطان العلماء: **اللهم هيئ لأمر أمة حبيبك أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.**

(1) ورد عن أسماء بنت عميس أنها حفظت سورة (ق) من فم رسول الله ﷺ من كثرة ترديده إياها على المنبر.

آخر خطبة

ثم خطب خطبة ثانية قرأ فيها سورة الواقعة، بمثل ما فعل في سورة ق، ثم كانت آخر خطبة ذكر فيها حديث رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان في حواره ﷺ مع جبريل عليه السلام، وكرر فيها أكثر من مرة: « **الإسلام غير متهم في أي قضية** » ذلك عندما كثر الحديث عن الإرهاب والاغتيالات وغيرها، وتسللت بعض الأقلام الحاقدة لتصيب الإسلام نفسه، وتتهمه بما يتهم به بعض أفراده الذين قد يكونون مخطئين.

وأنّ المنبر

وصدر قرار بمنع عزت من الخطابة ضمن من منعوا.. وذلك عام 1981، وقيدت حركته عدة شهور، ثم سمح له بالحركة المحدودة، ولكنه استمر يلقي كلمة يومية عقب صلاة الفجر، يتبعها بقراءة للقرآن الكريم حتى شروق الشمس، في مسجد قريب من بيته في حي المهندسين، فكانت أروع ما استمعنا إليه من رقائق ومواعظ.

الموتة الحسنة.. والخاتمة الصالحة

كان رحمه الله يدعو الله كثيرًا: « **اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتة في بلد حبيبك** ﷺ ».

وأثناء اعتكافنا في أحد المساجد، وفي صلاة التهجد في ليلة من الليالي العشر من شهر رمضان عام 1404 هـ 1983م صاح صائح خلال سكتة من سكتات الإمام: « **لقد مات الشيخ إبراهيم عزت** »..

لم تستطع أرجلنا أن تحملنا، ولم يقو الإمام أن يطيل في صلاته؛ فقد انفجرت القلوب قبل العيون بالبكاء. لقد ملأ هذا الرجل قلوبنا حبًّا من فيض قلبه المحب على طول المدى.

وانتهت الصلاة.. وهدأ البكاء.. وجلسنا نستوضح الأمر.

فقد عقد الشيخ نيته على السفر لأداء العمرة في هذا العام، وليعتكف العشر الأواخر من رمضان في بيت الله الحرام.. وكان ينوي السفر إلى بعض الدول خروجاً للدعوة في سبيل الله.

واتجه الشيخ إلى رحلته عن طريق البحر، وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة، وفي إحدى ليالي الوتر من الثلث الأخير من رمضان، وبعد انقضاء يوم من الصيام، أفطر الشيخ إبراهيم عزت، وصلى المغرب مع مرافقيه، ثم استأذنهم للراحة فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها، وقد بلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا، وتم دفنه في مكة المكرمة، بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين في الحرم الشريف، مكفناً في رداء إحرامه.

وبهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة، حقق الله لعبده إحدى أمنياته، موتة في بلد الحبيب ﷺ، فهل حقق له الأمنية الثانية!!

أسأل الله أن ينزله منازل الشهداء؛ بما قدمه من دعوة وفداء.

د.أكرم رضا

* * *

الفصل الثاني
دراسات حول شعره

- إبراهيم عزت الذي لم أعرفه

الشيخ / عبد السلام البسيوني

- شعر إبراهيم عزت (دراسة وتقويم)

د. حسن عبد السلام

- إبراهيم عزت – شاعر الدعوة والوطن.

الشاعر/ عبد الله رمضان.

- مع إبراهيم عزت وطيف الملحمة

حوار أجراه د. أكرم رضا مع المنشد (أبو مازن).

* * *

إبراهيم عزت الذي لم أعرفه

الشيخ عبد السلام البسيوني

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيبي سيد الأولين والآخرين، وآله وصحبه:

(1)

وكنت مخطئًا !

قبل أكثر من ثلاثين سنة كانت الساحة الدعوية المصرية تمور بالجماعات والتيارات التي حملت أفكارًا متلاطمة، وأحدثت نوعًا من الحراك الديني الفكري والاجتماعي والسياسي - سلبًا و إيجابًا - لا نزال نجد آثاره، ليس في مصر وحدها، بل في العالم كله. ولم يكن بد من أن تعثر في طريقك - مهما أردت استقلالاً - بشاب من السلفيين أو الإخوان أو التبليغيين أو الجمعية الشرعية أو أنصار السنة، أو الهجرة، أو غيرهم: يكلمك، أو يفيدك، أو يستنصحك، أو يستفزك، أو حتى يكفرك.

كما حفلت الساحة أيامها بأسماء علماء كبار مؤثرين، من أمثال أساتذتنا الأجلاء: **القرضاوي، والغزالي، والشعراوي، وصلاح أبو إسماعيل، وابن باز، ومحمد قطب، ومحمد بن إسماعيل، وعبد اللطيف مشتهري، وصفوت نور الدين**، وغيرهم من الأعلام.

ومما تناهى لمسمعي آنذاك: اسم رجل، كان يتكلم عنه من يتكلم بكثير من التوقير والإعزاز، هو **الشيخ إبراهيم عزت** عليه وعليهم رحمات الله ورضوانه، فطالما لهج الشباب بلطف منهجه، وحلاوة منطقه، وتفرُّد خطبه، ورفقه، وافتتان بعضهم به، واجتماعهم عليه في جامع أنس بن مالك، رضي الله تعالى عنه.

وعلى اختلاف آراء الشباب وأنظارهم في بعض الأساتذة، وجرأتهم على تنميط

وتصنيف الدعاة، ووضعهم في زوايا حادة، لم أسمع من أحد منهم فيه قدحًا، ولا انتقاصًا، كعادة الشباب المتحمس كل زمان ومكان.

ولأنني - منذ وجهني الله تعالى وجهة الاستقامة - كنت قد اختطت لنفسي منهجَ ألا أتعصب للافتةٍ، ولا جماعةٍ، ولا لشيخ، لكثرة ما رأيت الشباب يتعالمون، ويسيؤون، ويأكلون من لحوم العلماء وأعراضهم، لم تنهزني همتي لألقى الشيخ رحمه الله تعالى، أو لأتعرف إليه، ولم يدر بخلدي قط أنه سكنني، وتربع في قلبي، ورزقني الله حبه، من حيث لا أدري ولا يدري!

(2)

أبو مازن

كنت آنذاك قد أحببت منشدًا من الشام دارت حوله أقاويل كثيرة، وكنت ولا أزال أعده واحدًا ممن صنعوا - على غير توقع منه - نوعًا من الانبعاث واليقظة العجيبة في نفوس الشباب آنئذٍ، إذ جعلهم - بأناشيده - يتمثلون الكثير من المعاني الروحية والإسلامية العالية، كالعزة والبذل وحب الله تعالى، خصوصًا وأنه كان ينتقي أناشيده من كتابات كبار شعراء ومفكري الأمة، أمثال **عمر بك الأميري، وهاشم الرفاعي، ويوسف العظم، ومحمد منلا غزيل، وجمال فوزي، وعبد الحكيم عابدين، وسيد قطب، والرافعي، وإقبال، والقرضاوي، وحمام، والباقوري**، وغيرهم.

ولفت نظري حينها أن بعض القصائد التي أنشدها، كانت فريدة في صياغتها وفي لغتها، لأنها - على غير المألوف في النشيد الإسلامي - من شعر التفعيلة، وكانت قصصية الطابع، طويلة النفَس، مشحونة بالعاطفة والشجن؛ لهذا كانت أشد جذبًا لطبيعتي، التي تطرب للصورة والكلمة، من غيرها من القصائد.

وتشغلنا الأيام، ويمر أكثر من ثلاثين عامًا، وألتفت حولي لأرى أنني وجيلي لا نزال منبهرين بصوت **أبي مازن**، الذي جسّد ظاهرةً فذة في زمنه وما بعده زمنه، رغم خروج عشرات المنشدين بعده، ورغم اهتمامي بالإنشاد، وكتابتي لعدد كبير من

القصائد التي أنشدت وأذيعت، وانتشرت عبر الكاسيتات، في منطقة الخليج، دون أن يهزني منهم أحد، أو يؤثر فيّ كما أثر أبو مازن!

أكرم رضا

ولأقدار الله دوما تصاريف، وكان من قدري ألا يقَرَّ الفؤاد؛ فقد زارنا في تلفزيون قطر الأخ الجميل الباحث المتوقد المشاكس الدكتور **أكرم رضا**، وهمس في أذني بأمرين، أدخلا على نفسي بهجة عظيمة، **أولهما أن أبا مازن** موجود وبخير، وأنه قابله، وحاوره، وأثار ثانيةً موهبته، حتى إننا نستطيع الاتصال به، ونستمع له، من خلال برنامجنا التلفزيوني«**تنوير**»، الذي كان آنذاك يعرض في تلفزيون قطر.

وثاني الأمرين أنه مهتم بديوان **الشيخ إبراهيم عزت** رحمه الله، الذي أنشد بعضه أبو مازن، يريد أن يخرجه للنور، ويعيد طبعه في ثوب جديد.

وسألته: وهل كان الشيخ إبراهيم عزت شاعرًا؟ معقول؟!

وألقى د. أكرم – الله يسامحه – في وجهي ما جعلني أقفز: **شاعر؟** «**إنت ما تعرفش؟ دا انت نايم بأه!** هو اللي كتب: **مصعب بن عمير / وبعد / اليوم عيد / حبيبتي بلادي / يا رسول الله جئنا / ببابك لن أغادره / الله أكبر، وغيرها من الروائع!**»

ولا أخفي سرًّا إذا قلت إنني عندها قد ثارت في نفسي غيرة من الدكتور أكرم، وأبيت إلا أن أنازعه هذا الخير، وأشاركه شيئًا من أداء الواجب، وخدمة هذا الرجل المبارك، فتصرفت بطريقة لئيمة، وهددته: فإما أن يعطيني فرصة خدمة الديوان، وضبطه، وتصحيحه، أو أشكوه للجامعة العربية، وكوفي أنان، **وحظّابط كوندوليسا** – وطبعًا النظام العالمي الجديد **بيتلكّك** – فلما رأى جدية تهديداتي، وهو يعلم من هي كوكي[1]، خاف المسكين على نفسه من « **تورا بورا وأبو غريب واللي ما يتسماش**

(1) يقصد كونداليزاريس وزيرة خارجية أمريكا.

الثالث» [1] وقال: **حلال عليك، وربنا يهنيكم ببعض**، وكانت فرصتي الماتعة، لأتعامل مع الشيخ الشاعر الداعية الرباني المربي المحلق الثابت الشفيف الرقيق المدهش الرائد السباق المتميز العاشق الفنان؛ أحسبه والله حسيبه، ولا أزكي على الله تعالى أحدًا.

(3)

وسطية المنهج

اسمح لي قارئي المبارك أن أزعم أن هذا الشيخ عليه رحمات الله قد ترك فراغًا في العقل الوسطي المتوازن للصحوة، لم يملأه غيره، وأن أزعم كذلك أن مصر كانت في حاجة شديدة له ولأمثاله، لتخرج من دوامات الدم والعنف والقهر والطوارئ والمطاردات والمعتقلات، فقد كان الشيخ رحمه الله تعالى يعتمد الرفق منهجًا، والدفع بالتي هي أحسن أسلوب دعوة، ولعل هذا هو الدواء لمثل هذا الجنون، الذي أضر بمصر وأهلها – ولا يزال – أيما إضرار.

(4)

ملامح شعره

واسمح لي قارئي المبارك أيضًا أن أزعم أنه ترك فراغًا في بنيان الشعر، يحتاجه صوت الدعوة، فقد بقي الشعراء الإسلاميون المعاصرون للشيخ – في جملتهم – دون الأحداث تعبيرًا وتكنيكًا، ولا تزال قصائد كثير من مشاهيرهم تمر على السمع، فيزلقها لا يعيرها التفاتًا؛ لأنها مرت على الأذن ألف مرة من قبل؛ ألفاظًا وصورًا وبلاغة.

أما هذا الشاعر فقد اختار لنفسه – ومن ستينيات القرن العشرين – أسلوبًا شعريًّا، يعتمد الكلمة الراقية والقريبة التي لا تحوجك لمعجم، والطرح القصصي الذي يشدك من المبتدأ للمنتهى، والصورة الفنية الجديدة على الذهنية الإسلامية، فهو الذي

(1) يقصد معتقل جوانتانامو الأمريكي في كوبا وهو أحد السجون الأمريكية لأمثالي وأمثاله.

اخترع تعبيرات أنيقة، بليغة في فنيتها ومحتواها الشعوري، مثل:

- **ونحن نرتدي الرضا.. ونصنع ابتسامَنا من ذكرهِ..**
- **حين تعصرُ اليدانِ صرخةً على القيود..**
- **النظرةُ المعقوفةُ الشعاعِ تقتل الأمانَ في العيون..**
- **شريكةُ الأسى بدا جناحُها الكسير..**
- **سترتدي الصقيعَ؛ كي تقدمَ الحياةَ للرضيع..**
- **في الليلة التي بكى بها الحصى من شهقة الدماء..**
- **الهولُ يا لقسوتِه: محافلٌ تضم ألفَ سوطْ.. والموت قادمٌ يدوس فوق موت..**
- **واهتز قلبيَ الذي قد هدهُ العذابْ / أحسستُ رعشةً بجسميَ الذي يخاف غضبةَ الكلاب / وجاء ضعفيَ الكريهُ جاء / عرفتُه في كل لحظةٍ من الضنى قد عشتُها / أتى يقدم الرجاء!**

ونحو ذلك من التعبيرات البليغة الجديدة.

ولا شك أن طرح مثل هذه المعاني سنة 65، 66، 67 لم يكن أمرًا مألوفًا في قاموس الشعراء الإسلاميين، لذا كان هذا الرجل - في زعمي - رائدًا سباقًا.

ولولا انشغاله الكثيف بالدعوة، ومُضي قدر الله تعالى فيه شابًّا، لكان له والشعر شأن آخر؛ ولاستطاع أن يصنع مدرسة أدبية إسلامية المنهج، تنافس وتتفوق في فنياتها وتطورها، بل تلغي كثيرًا من الشعراء « المنافيخ » الذين كانوا يظنون أن الإبداع لا يمكن أن يقارنه التزامٌ ولا تدين، وأنه دائمًا « حاوِدْ شمال »!

الإطار الدعوي:

لذا فإنني أتمنى عليك قارئي المبارك – لتدرك كم كان **إبراهيم عزت** إضافة حقيقية للدعوة والشعر والأدب – أن تضعه في **إطاره الدعوي** – وشعره هذا كله في الستينيات، حين كان كثير من الإسلاميين الدعاة أسارى زنازين باردة ومظلمة وكئيبة – لترى كم كان قويًّا في يقينه، وفي آماله، وكم كان يبث في قلوب السائرين الثقة بالله تعالى، والثقة بالانتصار، والثقة بالمستقبل.

المرحلة التاريخية:

ضعه في **مرحلته التاريخية**، التي خرست فيها الألسنة، واكتظت بأهل الدين السجون، وعز التعبير الحر، وقصفت الأقلام، وحوصرت العقول، ولم يكن يسمح إلا بالتسبيح بحمد اتجاه واحد لا ثاني له، وتعظيم رجل أوحد، لا شريك له، وحيث هتف بعضهم معزوفات من **الردح** والتجريس الاشتراكي من نوع: « **هانْـزَمّرْلك كِدَهُه، ونطبّلك كِدَهُه، ونقول لك: يا عديم الاشتراكية!** »! ثم تأمل كم كان قلب الشاب **إبراهيم عزت** حديدًا؟!، وكم كان جنانه ثابتًا؟!، وكم كان حرًّا لا يقبل الضيم، عزيزًا لا يرضى بالذلة، مستعصمًا بالله تعالى، مستعليًا بإيمانه، في مواجهة **تياسة وهيافة الاشتراكية، (اللي بتزمَّر كِدَهُه!)**

مرحلته الشعرية:

ضعه قارئي الكريم في **مرحلته الشعرية**، حين كان أكثر الإسلاميين يتهيبون التطوير، وينفرون من شعر التفعيلة[1]، ويرونه مروقًا على الشعر، وخروجًا على اللغة والأدب، وأنك لكي تكون شاعرًا ينبغي أن تكتب عن القليب والرشا، والليل الذي ينوء بكلكله، وعن القوام السمهري، والدعص والكثيب، وعيون المها / البقر «**ومش عارف ازاي تكون عيون البنات زي عيون البقر المعمصة، وتنحب!** » ثم يأتي هذا الشاب الإسلامي التوجه، ليتبنى أسلوبًا في التعبير الشعري، كاد يتفرد به آنذاك شعراء

(1) لم يكن الإسلاميون فقط يتهيبون هذا النوع بل كثير من الشعراء.

اليسار: **صلاح عبد الصبور وأمل دنقل والشرقاوي والخميسي وحجازي** وغيرهم. ألم يكن إبراهيم عزت - إسلاميًّا - رائدًا واعدًا، ومجددًا متفردًا؟!

(5)

منابع رؤيته الشعرية

تشكلت رؤية إبراهيم عزت الشعرية من خلال منابع كثيرة كان أهمها في رأيي أمرين:

أولهما: تنقُّله بين عدة تيارات ومدارس دعوية؛ مما أكسبه نوعًا من السماحة، واللين، والبعد عن العصبية، والرغبة في تأليف القلوب؛ فقد نهل الشيخ أول ما نهل من بيته الصعيدي المحافظ، الذي أورثه نفحة من التصوف، ومن عمله مذيعًا ومعدًّا للبرامج الدينية والأدبية في التلفزيون والإذاعة المصرية - وهذا يحتاج إلى قراءة وثقافة - ثم تنقله بين الشبان المسلمين والإخوان المسلمين والتبليغ، مما حباه رؤية متسامحة، وأفقًا متسعًا، ولسانًا مقنعًا، وانتباهًا لكثير من المزالق والمطبات التي يسقط فيها من لم يجمع مثل هذه الخبرة.

وأنا مؤمن إيمانًا جازمًا أن مَن نوَّع مصادر تلقيه، وفتح للحق عينيه، وبحث عن الصواب بإخلاص نية، دون تشنج، ولا تطاول، لا بد أن يتسع أفقُه، ويتسامح منهجُه، وأعتقد أنه ما صار **أمير المؤمنين البخاري** عظيمًا، إلا لأنه درس على ألف وثمانين شيخًا، كما ورد في تراجمه.

وثاني المنابع: تعرضه لتعذيب شرس؛ طالما تحدث عنه في أثناء ديوانه، متنقلاً بين حالات نفسية، تجعلك تنحني له إكبارًا، فلم يكن استعراضيًّا عنتري النزعة، يصنع أساطير حول نفسه أيام السجن والتعذيب، بل لم يستنكف أن يتقلب بنا في أحوال المعذَّب؛ من ضعف وقوة، ومن خور واستعلاء، لم ير بذلك بأسًا، ولم يعده منقصة، وهذا ما يكسب شعره صدقًا وواقعية مغلفة بصوره القوية.

انظر إليه، ونفسه تؤامره على نفسه، وضعفه البشري يبتزه ويضغط عليه، وآلام

التعذيب تساومه على الانحناء، وهو يقول:

واهتز قلبيَ الذي قد هدّه العذابْ / أحسست رعشةً بجسميَ الذي يخاف غضبةَ الكلاب / وجاء ضعفيَ الكريهُ جاءْ / عرفتُه في كل لحظة من الضنى قد عشتُها / أتى يقدم الرجاء / تعلقت عيناه بالجواب!

واستعِد معه ذكريات المسلمين الأوائل، الذين آدهم [1] التعذيب، وأثقلهم الاضطهاد الوحشي الأعمى، فجاؤوا يشتكون إلى رسول الله ﷺ أن يستنصر الله تعالى لهم، إنه يرفع شكواه لمولاه - مستعجلاً - لطول ما عانى وأوذي في الله:

سألت خالقي: لمن تركتنا؟ / سألت خالقي إلى متى / ستطعم الكلاب ما وهبتنا؟ / الهول؛ يا لقسوته / محافلٌ تضم ألف سوط / والموت قادمٌ يدوس فوق موت!

ثم يستعلي - وهذه أغلب حالاته - على ضعفه الإنساني وجراحاته، وعلى مصاعب الطريق، فيهتف:

عائدٌ أنا من حيث أتيت / عائدٌ أنا لمسجدي / عائدٌ إلى الصلاةِ والركوعِ والسجود / عائد إلى الطريقِ خلف أحمد الرسول / أُطلق الخطى حثيثةً في إثرِهِ / عرفت قصة الطريق كلها / وعائدٌ أنا برغمها / كالفجر، كالصباح..

لذلك فإنك ستجد تنويعات نفسية ووجدانية عديدة، مبثوثة هنا وهنالك، عن التعذيب والجلادين، وعن صبره وتماسكه، وتثبيته لوالديه وأحبته - ثقة بموعود الله تعالى، ويقينًا بالظفر - ولن تخطئ عينك الثاقبة أيها القارئ الكريم هذه الملامح، وأنت تجوس خلال الديوان الصغير الكبير.

ويكاد يغلب على الديوان أيضًا - وربما كان هذه خَصِيصة تلاحظ في القصائد -

---

(1) لم أعرف معناها أول الأمر، ولما سألت البسيوني عنها قال: وأنت مالك.. عجايب!- أكرم.
وهي على كل حال من آده الحمل إذا أكرثه، وثقل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ - البسيوني.

الروح الدينية العالية، والحب العظيم لله تبارك وتعالى، ورسوله ﷺ - في غير تكلف ولا ادعاء - ويتجلى ذلك في ألفاظه وتعابيره، في عدد من القصائد، وحسبك أن تقرأ: **ببابك/ يوم الحبيب ﷺ/ يا رسول الله جئنا / دعاء**، لتلحظ ذلك في غير ما عناء.

(6)

إحساس الشاعر بالنكسة:

من حيث التاريخ نلحظ أن أهم قصائد الشيخ رحمه الله انطلقت بين 1965، 1967، وأن أكثرها وأهمها - من وجهة نظري - كُتِبَتْ سنة 66، قبل النكسة بعام، وحين كان التعذيب وجباتٍ يومية توزع على المساجين بالحظ، أو بالهوى!

ومن حيث الموضوع نلحظ أن الشيخ رحمه الله بدأ الديوان بالأهم في وجدانه فالمهم، فوضع قصيدة (**الله أكبر**) في المقدمة، ثم قصيدة (**أمي**)، ثم (**أبي**)، ثم (**صغيرتي**)، ثم خاطبهم مجتمعين في قصيدة « **زيارة** » ثم بعد ذلك وضع القصائد بترتيب مختلف، استأثر فيه رسول الله ﷺ بقصائد حب من نوع خاص، فاقرأها لتكتشف أنه مسكون سيدنا المصطفى ﷺ، مفتون به إنسانًا ومعلمًا وقدوة، ورسولاً ﷺ، يعبر عن ذلك أحيانًا في إيماءات صوفية النزعة، لكنها صوفية راشدة، بعيدة عن التكلف والإغراب، وعن الشذوذ والادعاء.

فهو يأخذ من بعض المفاهيم رقتها، ومن بعض الألفاظ حميمتها، دون أن يجعلك تظن أنه **درويش، أو مجذوب** يلبس الخرقة، ويهذي في الشوارع، بل هو اليقظ دائمًا، المحب دائمًا، الطموح دائمًا، الراضي دائمًا، الساعي للتغيير دائمًا؛ حتى وإن استخدم ألفاظًا مثل: **المقام والأعتاب والسوى والعشق والشوق والوجد والوصال والأنس والذوب والكأس والمريد...**

وحاول إن استطعت - ولن تستطيع - أن تجد هذه الألفاظ في موطن يجرح التوحيد، أو يُغيِّب العقل، أو يُسيء للعلم والاتباع، واقرأ معي هذه المواضع:

يقول في قصيدة أمي:

يا نفسُ: كفي عن سواه لتلزمي أدبَ المقام بساحة الإيمانِ

وفي أرجوزته: **دعاء**، نراه يقول:

أنتَ الذي أسريت دفئَك في دمي
فبدت ملامحه تَرقرَقُ في فمي
فنطقت باسمك داعيًا وملبيًّا
وجرى اللسان بما أفضتَ مناجيا
فجرت دموعُ العاشقين مهابةً
وبكيت من فيض العطاء إنابةً
وعرفت طعمَ الشوق.. ذقتُ جلالَهُ
لما التقيتُ بمن مُنحت وصالَهُ
فهناك - من بين الوجوه - عرفتُهم
كالدر في بحر الحياة نثرتَهم
السر فيهم لا يراه الناظرُ
لكنما هو للبصيرة ظاهرُ

وفي قصيدته « **كلنا مسافر** » يقول:

زاد الضنى حتى شقِيتُ بغربتي ففزعت للرحمن أشكو وحشتي
فعرفت أُنْسًا لا يُنَالُ بغيرِهِ ونَعِمتُ بالشوق الحبيب لنوره
يا ليت كل الحائرين تفكروا الخير يدعونا إليه فشمِّروا

وفي قصيدة **لحظة الوصال** يقول:

بعضَ الندى أو قطرةً من المطر / تردُّ قصة الحياة / حتى يحين موعدي مع اللقاء / وعند ذاك سيدي / سينتهي السؤال / نذوب سيدي / في لحظة الوصال.

وفي قصيدته « **يوم الحبيب** ﷺ » تظهر هذه النفحة جلية، وإن خففت منها شكواه

مرارةَ الواقع، وحرد[1] الكفر، وغلبة الباطل على الإسلام والمسلمين . انظر إليه يقول :

بالبـــاب أَرْسِـــلُ آهـــاتي معذبـــةً
إنـــا بأعتـــابكم نـــشكو.. أجيبونـــا
يا أكرمَ الرُّسْـلِ: وَجْـدٌ في القلـوب سرى
فاسترســـل الـــشوق يعـــصِرنا، ويطوينـــا
يـا سـيد الخلـق: فامـسحْ غلـةً ظمئـت
والحـــب مـــن كأســـكم يـــروي ويرضـــينا
لا شيء نملـــــــكه إلا محبتُـــــــكم
نرجـــو بهـــا نـــسبًا.. بـــين المريـــدينا

لا أعتقد أن في طرح الشيخ الرقيق المفعم بالحب لله تعالى ورسوله ﷺ شيئًا مما يمجه ذوق الموحد، أو يرده طبعه، بل إنه حذا حذو علماء أجلة كابن تيمية، وابن القيم، والحافظ الذهبي وغيرهم – عليهم رحمات الله تعالى – في استخدام مثل هذه الألفاظ بمقادير متوازنة، خصوصًا أننا في زمن نشكو فيه جفاء بعض الطباع، وغلظة بعض القلوب!

(7)

خصوصيته الشعرية

لقد فاجأتني قصائد الشيخ رحمه الله تعالى، واندهشت أنها له، ولفت نظري ما يتمتع به من نفس طويل، ولغة تسبق زمنه، تغلفها البساطة والوضوح، كأنها أشبه بسهل يمتنع على من لا يملك مثل ذوقه وشاعريته، يؤطر[2] ذلك كله « رومانسية

---

(1) **حرد**: قصد، وفي قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القلم]، أي على قصد وقيل على منع، والحردُ بالتحريك: الغضب.

(2) من الإطار والإحاطة .

دعوية » معجِبة؛ إذا صح التعبير.

عش معي وانظر ما أروع الشاعرية، وما أبدع الصور، وما أرق الأداء، وما أحلى التعزي، وأجمل السلوان، في قصيدته **زيارة**:

على مشارفٍ تظل ألفَ يوم / ونحن نرتدي الرضا / ونصنع ابتسامَنا من ذكرهِ / ونرقُب الحياةَ من بعيدٍ / في جزيرةٍ ببحرهِ / تفتحت قلوبُنا على نوافذ الخلودْ / تنفست زَفْرَاتُنَا في واحةِ السجود / الكفُّ حينما يصيبُها الضنى / تمد بالرحيق / حين تعصِر اليدان صرخةً على القيود / والعينُ حينما يشدها الشرودْ / تردها عينان عائدتان من حدائق الصمود / والقلب حينما يزوره الأسى / تضمه في بُردة الأمان بسمةُ الشهيد / الصبر يعرف الجميع / رافق الخطى على الطريق / والحقُّ بيننا / وصية الصديق للصديق.

الله الله أيها الشاعر الجميل!

ولم يكن التعزي وحده هو زاده، بل لقد امتلك ما هو أقوى، وما هو أسدُّ، وما هو أشدُّ؛ لقد تحلى بالثقة المطلقة بالله، والهزءِ مما يعانيه في سجنه، وكانت فلسفته التي تهون كل شيء مما يعاني، رضاه بموعود الله تعالى:

لا تحزني مما يقال عن الجراح
وما يقال عن الذي أضناني
فالجرح يبرأ بالمساء، وفي الصبا
ح لنا من الرحمن خَلْقٌ ثانِ
لا تفزعي؛ إن رق ثوبي في الشتاء
مع الأسى.. ونحولةِ الأبدانِ
فالقلب يدفئه إلى الله انتماء
منه تذكو جَذوةُ الإيمانِ
لا تحزني إن كان زادي معدَمًا
فالجوع يقهر سطوة الشيطانِ

والـــزاد مـــا نلقـــاه في يـــوم الزحـــا
م غـــــداةَ تُزْلَـــــفُ جنـــــةُ الرضـــــوانِ

وفي قصيدته: (**فلنطلق ابتسامنا في ليلة العزاء**)، يقول في ثقة مستعلية:

لم تفلح الجدرانُ والقضبان / لم يفلح السجانُ والسلطان / فنبعُنا يُمدنا بزادنا / والواحد القهار أمنُنا.. ملاذنا / يا حسبَنا / يا حسبنا / مفاتحٌ للغيب لا تُرى تفيض بالعطاء / تقدم الغذاء والدواء والكساء / تخبئ الهناء!

وفي قصيدة (**الألم**) يقول:

فلم تزل مزاهرُ الحياة في القلوب / يصونها من الضياعِ أن ربها كبير / وأننا بركنه الشديدِ نستجير / وأننا بظله الحبيب نحتمي / وفي رياض وعدِه الوفي نرتمي / وإنه لحق / البيع رابحٌ.. ورابحُ!

ويقول في القصيدة نفسها:

غدٌ لنا.. غد لنا / ونحن في مواقع الخلود ننتظر / فلتحكموا السُّفُنْ / لأنَّ بحرنا عميقٌ / واستكثروا من زادنا الأصيل / فلم تزل بعيدةً نهايةُ الطريق / لكنّ نبعَنا الرطيبَ مغدِقٌ / ولم يزل يبلل الظما / ويطفئ الحريق!

ويرى أنه لا بد من تضحية، ومن عطاء لهذا الدين؛ حتى ينهض، ويستعيد مكانه ومكانته، يقول في قصيدة (**الألم**):

فلم تزل أقدارُنا تقول: / لا بد يا أحبتي من الألم / ليسقطَ الكسيح / لينتهي تراقصُ الذبيح / ليختفي في قسوة النيران / مرهَفُ الطلاءِ والخبث / ليهتف الجميع: / الموت للعبث / ليستبد بالمراوغ القلق / ليهدأ الشهيدُ إن صدق!

وفي قصيدته (**لا تذكر الحياة**) يقول باعثًا الأمل في النفوس:

لكن رعدةً هناك خلف حمرةِ الشفق / تُنَبِّئُ الغريب عن أمل / فلنرتقب / فلنرتقب!

(8)

الـرؤيـة

ولقد اهتم الشيخ -رحمه الله تعالى- بتنويعات في قصائده، يقدم من خلالها رؤيته للواقع وللمستقبل، ولطبيعة الدعوة؛ فقد كان ذا أمل دائم في النصر، ثقة بالله تعالى، يقول في « **زيارة** »:

سنلتقي بإذنهِ / في دارنا.. في كل دار / وسوف يُقهر الضنى / في جوفِ ليلٍ أو نهار / ونحن نرتدي الرضا / ونصنع ابتسامَنا من ذكره / ونرقب الحياةَ من بعيد.

وهو يدعو إلى اليقظة، والانتباه للشعارات الخادعة، والألفاظ الحلوة التي تحمل في أثنائها الموت، وترفض النور والطهارة؛ انظر إليه في قصيدته: (**عذابنا**)، وهو يقول في سخرية سوداء ممرورة:

متى يموت قهرنا؟! / متى يثور سيدي بركانُنا؟! / متى نلقب الأشياءَ بالذي يوافق الأسماء؟! / ونصنع الحقيقة المقدسةْ؟! / حقائقُ الحياة كلُّها مزيفة / الخير شرٌّ مطبِقٌ فمزقوا رداءهُ / والشر - في عوائه الكئيب - غادةٌ / يساق في أعقابها المديح / إياك أن تحب خضرة الزروع / ما أجمل السواد! / ما أرَقَّ بومَهُ / ينوح فوق دارنا / ولتذبحوا الحمام / ولتقتلوا الأطفال / ولتحرقوا الأزهار كلها.

ولأنه يحب بلاده وناسه « **كما يقول الصعايدة** »، ولأنه يرى أن على المسلمين أن يرفضوا ما هم فيه من انكسار وهوان، فإنك تراه **يستنخي ويستنهض أبناء الأمة**، ويحرك عزائمهم، دون تيئيس، ولا كسر للهمم:

والخطبُ أكبر مِنْ لهوٍ نُقارفه والأمرُ أكبر من دعوى نناديها

جِـدُّوا لأقـدارها؛ فـالهزلُ مقـبرةٌ بهـا سـندفن أحـيانَا ونبكيهـا
أنـتم وقـودٌ لحـرب ضـلّ صـانعها يُجَمِّـع الكيـدَ كـي يطـوي غوافيهـا
أبناؤنـا طُعمـة لليـأس نُـسْلمهم ضـلت معـالُمهم؛ مـن ذا سـيجلوها؟
مـاذا نقـول لـربي؛ حـين يـسألُنا عـن الـشريعة لم (نحمـي) معاليـها؟
ومـن يجيـب؟ إذا قـال الحبيـب لنـا أذهبتمـو سـنتي.. والله محيـيها
إن لم نردهـا لـدين الله عاصـفةً سيَذهب العرضُ.. بعدَ الأرض نعطيها

ومما يلاحَظ في الديوان بقوة: **إعلانه المتكرر استعدادَه للشهادة، وعدم مبالاته بها؛** رغم العناء والتعذيب وقساوة السجان، وبنبرة مستعلية، لتربح بيعتُه، وتُبارك تجارتُه:

ففي قصيدة « **زيارة** » يقول:

لنطلقِ الخطى على الطريق / أقولُها وأعرف الثمن / فلنرتدِ الكفن / فالموت في رحاب طاعته / أحبُّ يا أحبتي / من انحناءةٍ خفيفة بغير ساحته!

وفي قصيدة: (**فلنطلق ابتسامنا**)، يقول:

يا قرة العيون ساعةَ الجزاء / سنشترى الخلودَ بالفناء / فلنطلق ابتسامَنا في ليلة العزاء.

وفي قصيدته « **أبي** » يقول مخاطبًا أباه، مطالبًا إياه بالتجلد :

ولتقبلِ العزاء / بلا دموعْ / فالحاسدون في انتظار دمعِنا / كي يضحكوا من جُرحِنا.

وفي شهيرته « **أسبح ربي** » يقول:

أبيـعُ.. ورَبِّيَ منـي اشـترى أبيـعُ الحيـاةَ ولا أستـشير
وكنـت بأمـسِيَ أخـشى العيـون وأهـربُ مـن شرهـا المـستطير
وكنـت أخـاف حلـولَ المنايـا عـلى ظهـر عبـدٍ مُقِـلٍّ فقـير
ولمـا طلبـت الحمـى في حمـاهُ أمنـت بحـصنِ العـزيزِ المجـير

بل إنه في « **مرثيتي** » يستشرف آفاق الشهادة، وجلاده يصرف على أسنانه: كيف يموت بغير إذني؟ فيقول:

أَغمِضْ عينيَّ ولَقِّنِّي اِسم حبيبي / فأنا سأموت / سأعود إليه فلا تبكِ / واضحك حتى تملأ أصداءُ الفرحة كلَّ الكون / سأعود إليهْ / فأنا المشتاقُ إلى لقياه / والحورُ أُراها يا صاحِ / الحورُ تنادي سيدها / تخفي الطرْفَ بطرْفِ الثوب / وأشمُّ مع العطر شذاها!

ولعل الله تعالى أكرمه بميتته التي كانت في رمضان « **1404 هـ – 1983م** » بعد الإفطار وصلاة المغرب، مسافرًا معتمرًا مغتربًا، ناويًا الاعتكاف في الحرم الشريف، لعل في هذا إكرامًا من الله تعالى له، وتوفيقًا ليلقى ربه الكريم – الذي كان يحب لقاءه – على عمل صالح.

ولعل في هذا أجر شهادة يناله بتوفيق الله تعالى، ثم بنيته، وهذه الأعمال الكريمة مجتمعة، فاللهم إذا كنت حرمتنا لقاءه في الدنيا فاجمعنا به في الجنة، مع الحبيب ﷺ، أنا والدكتور أكرم وحضرتك أيها القارئ الكريم.

(9)

التراثي المبدع

لغة شعره

والشيخ – بتوفيق الله إياه ثم بثقافته – يحسن توظيف التراث، وتنويع مصادره، ليصل إلى مقصوده، فهو يناجي أمه بلغة، ويخاطب صغيرته بأخرى، وإن جمع بين الخطابين كونهما من التراث، الذي يمكن توظيفه للوصول للمقصود، انظر إليه وهو يخاطب أمه:

فِرِّي إلى المحرابِ.. بثي شَكْوَنَا ... للهِ.. في ثقةٍ.. وفي إذعانِ

صوغي الدعاءَ مدامعًا ومدامعًا ... تهفو إلى غيثٍ قريبٍ دانِ

قــولي لــه: ولــدي لــديك وديعــةٌ نــذِرَتْ لتحمــل رايــة القــرآنِ
ذو النــون في بطــن الظــلامِ حفظتَــهُ ســبحانك اللهــم، ذا الإحــسانِ
وحميــتَ موســى حــين أَلقــيَ عــاجزًا في الــيمِّ.. يحمــل آيــة الــرحمنِ

ثم ارجع البصر - حين يخاطب ابنته[1] - كرة أخرى، تجد اللغة وقد اختلفت، والمضمون وقد رق، والمرجعية وقد تبدلت، تأمله في قصيدته (زيارة)، وهو يقول:

لا زلتِ تذكرينني؟! / ولم تزل وَدودَةً ملامحُك؟! / أما أنا فلم تزل ببسمتي بقيةٌ أزفُّها لبسمتك / وحينما نُـرَدُّ يا صغيرتي لدارنا / وتـسألين عـن هـديتِك / ستسمعين يا أميرتي حكايةَ " الشَّاطِرْ حَسَنْ " / مضى ليقهـرَ الغـيلانَ في المدينـة السوداء / وحينما التقى بالأعرج الحقود هدَّهُ بطعنةٍ من خنجـره / واسـتخلص الحسناء / روَى حقولَ قمحِنا بدمعِه / وجاد بالدماء / سـتعرفين قـصةَ الحمامـةِ البيضاء / وقصةَ الطيور والغناء / وقصة الغرابِ والخراب / والأسودِ والذئابِ والكلاب / لسوف تعرفين أن إسمك الحبيب بـسمةٌ في ألـف قلـبْ / يـا بـسمةً تُـحَب.

وفي قصيدة (صغيرتي) يوظف القصص؛ في محاولة منه لتشكيل وعي طفلتـه عـلى البعد، فيقول:

كي تفهمي صغيرتي: هل تذكرين / حديقة التمساح والأسد؟ / تلك التـي ركبتِ فيها ذلك الجمل / يمضي بنشوتِك الحبيبة ناعمًا / وهو السعيد بما حمـل / هل تذكرين صاحبَ العـرين / ذاك الـذي تزيـد عنـده الخُطى / ذاك الـذي لا تَـجْسُر الوحوش أن تنال ساحتَهْ / قـد نِلْتِـهِ صـغيرتي / قـذفتِ مـن يـديك مـا أصاب هامتَـهْ / العيب يا صـغيرتي في قـسوة الأغـلال / لا عيـبَ في الرجـال / العيب فيمن يعشق انحناءةَ الرجالْ.

(1) ليست ابنته وإنما هي أخته فلم يكن قد تزوج بعد.

استلهام القرآن

وبمناسبة اللغة وطواعيتها بحسب المخاطب، فلن تخطئ عينك - بقليل من التأمل - وجود مقدار من **التناص واستلهام القرآن** في مواضع عدة: يقول في **الله أكبر**:

الله أكبرُ: بسم الله مُجريها الله أكبر.. بالتقوى سنُرسيها

وفي **أمي** يقول:

والغيثُ.. تصنعه يدٌ قدسيةٌ والحبُّ ذو عصفٍ مع الريحانِ

وفي قصيدته: **وكان ملحدًا ومات**، يقول:

والنور في إصراره العجيب / يعبر الدجى لفجرهِ / فلتخشعِ الأصواتُ للرحمن / ولتُنْصِتِ الأكوان / فالشيخ قد بدا / يرتل القرآن / يرتل القرآن.. القرآن..

وفي قصيدة **الألم** يقول:

وفي رياض وعدِه الوفي نرتمي / وإنه لحق / البيع رابحٌ.. ورابحُ!

(10)

المحب

حبه الكبير

ولعل من التأكيد وعدم التكرار أن أذكِّر هنا بحبيه الكبيرين:

- **حبه الأول** وهو الحب الجارف لله تعالى، ونبرة التوحيد التي تبدو عالية في خطابه الشعري - ولا نزكيه على الله - فتأمل قوله:

رغبت انتسابًا لرب الجلالِ يفوق الطموحَ بقلب الجسور
فأشهدت خلقَك أَنِّيَ عبدٌ أَحَبَّ المليكَ العزيز الغفور

وأَسْـلَم عنـد رضـاكَ الرحـال وألـقى لـديك عنـاءَ المـسير

وفي « **مرثيتي** » يعلن فرحته بلقاء الله تعالى:

أغمض عينيَّ ولقِّنِّي إسم حبيبي / فالطائر يعزف تغريدًا / لا يطلقه إلا في لحن رحيل!

وفي قصيدته القوية، التي تنضح حبًّا ورضًا بالله تعالى، يقول:

أنـا قـد وقفـت بـباب ربٍّ قـادرٍ يُرجـى لديـه النـفعُ والإيـواء
وكرهـت أن ألقـي لعبـدٍ حاجـةً فعبيـدُ ربي كُلَّهـمْ فـقراءُ
ولقـد سـئمت سـؤالَهم فـسألتُه وتركـتُ سـاحتَهُمْ بِيَ اسـتغناءُ
أسـلمتُه ضـعفي ليقـوى عنـده فالـضعف عنـد رحابـهِ اسـتعلاءُ
يا مـن وسِعت الكـون.. ربًّـا قـاهرًا أشـكو إليـك بأننـا سـجناء

وفي رائعته « **ببابك** » يهتف:

قلوب هـزها التـوحيدُ.. ردد حيُّها حـبَّك
ونهتف في جبين الصبح.. حين يقال: من ربُّك؟
إلهي خـالقَ الأكوان.. لا أسعـى إلى غيرك
إلهي فالق الإصباح.. أَشْرُف أنـني عبدُك

■ وأما حبه **الثاني** [1] فكان لوالديه رحمهما الله، إذ عاش الشيخ رحمه الله تعالى معاناتهما، وأحس بمشاعرهما المجروحة لبعده وحبسه، وعايش آلامهما ومواجعهما لفقده، فكتب لهما، وواساهما، وأشركهما معه بعضًا من تصوراته..

انظر إليه وهو يتحدث عن والدته في قصيدته: **لا تذكر الحياة:**

---

(1) أظن أنه الثالث حيث حبه الثاني لنبيه محمد **صلى الله عليه وسلم** وراجع قصائده: يوم الحبيب صلى الله عليه وسلم / المادحون / إسراء / يا رسول الله جئنا..من الديوان، وقصيدة: أنوار الروضة، التي قالها بعد خروج الديوان للنور.

لا تقل لي إنها تجففُ الدموعَ في السحر / تجيب للجميع باسْمِه / تقبِّـل الطيـوفَ لا ترى سواه / تسرق الخطى لموضعه / تقبل الثياب / وسمعُـها معلَّـقٌ بطرقةٍ بالبـاب / وحيدةً / وحولَها الضياع / وليلُها ويومُها التياع!

وأرجو أن يكون في هذا المقدار كفاية..

وفي الختام: أرجو ألا أكون قد آذيتك قارئي الكريم، فـما هـذه إلا قـراءة عاجلـة، التي لم توف الشيخ حقه!

وأسألك بالله أن تسامحني إن وجدت تقصيرًا، وإن أحسنت بأخيك ظنًّا، فادع لـه بظهر الغيب؛ لأنه أحوج ما يكون لدعائك، ولأن ملائكة الرحمن سترد عليـك: **ولـك بمثل**، فلا تبخل علي وعلى نفسك.

أشكر لك صبرك، وأشكر أخي المبارك الجميل المتوقد **د. أكـرم رضـا** عـلى هـذه الفرصة العظيمة، التي منحنيها من غير **كوندوليسا ولا كوفي ولا جوانتانامو**؛ لأترحم بطريقتي على داعية جليل، وشاعر نبيل، وفارس مُجَـلٍّ، ولأسـدد بعـضًا مـن دينـه في عنقي، الذي كان يستحق السداد من ثلاثة عقود.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك [1].

عبد السلام البسيوني

الدوحة القطرية في 31 / 7 / 2005م

* * *

(1) وأنا أشكر أخي الأكبر وأستاذي عبد السلام الذي زادني استقباله المنبهر بإبراهيم عزت الشاعر حبًّا لـه، وتقديراً لشعره؛ فوق تقديري وحبي. أكرم

شعر إبراهيم عزت

دراسة وتقويم

د. حسن عبد السلام

تناول الدكتور حسن عبد السلام شعر الشيخ إبراهيم عزت من خمسة جوانب، نذكرها هنا، ونلخص تحتها ما ذكره الدكتور [1].

1ـ التجربة الشعورية

التجربة الشعورية هي تفاعل الشاعر بعواطفه وأحاسيسه مع الأفكار أو المواقف والأحداث التي يريد التعبير عنها وتصويرها.

وبقدر معاناة الشاعر في معايشة أفكاره ومواقفه، وإخلاصه في الإحساس بها، وصدقه في التعبير، يكون نضج التجربة، وقدرتها على التأثير في متلقِّي الشعر.

هم واحد:

والحق أن الكلام عن أغراض للشعر أو موضوعاته عند «إبراهيم عزت» غير متاح، فليس في شعره تنوع للمادة الفكرية والمواقف التي تنبني عليها التجارب، فلقد كان الرجل داعية في شعره، كما كان شاعراً في دعوته. والهم الذي ملأ نفسه، وشغل فكره، واستحوذ على مشاعره هم واحد.

لقد أصدر الشاعر ديواناً اختار له عنوانًا هو عنوان أولى قصائده ترتيبًا، فسماه « **الله أكبر** »، والحقيقة التي يعبر عنها هذان اللفظان هي التي عاش الشاعر بها ولها، فليس له تجارب أراد التعبير عنها، أو مواقف قصد تصويرها تخرج عن دائرة هذه الحقيقة.

---

(1) مصدر هذا المقال: كتاب بنفس العنوان – طبعه المؤلف الدكتور حسن عبد السلام بدون بيانات نشر، وقد قمت بانتقاء هذه المباحث من الكتاب؛ لتشكل إن شاء الله وجهة نظر المؤلف في شعر الشيخ إبراهيم عزت رحمه الله. وقد وضعت بعض العناوين الجانبية للفقرات مساعدة القارئ في استيعاب الفكرة.، بجانب ما ذكرته مسبقاً حول نقد الدكتور حسن لبعض جوانب الديوان.

حتى قصائده التي قد توهم من عناوينها أنه جاوز دائرة « **الله أكبر** » هي في حقيقتها في قلب هذه الدائرة فقصيدة « **أمي** » وقصيدة « **أبي** » وقصيدة «**صغيرتي**» كلها أجزاء من هذا النسيج الواحد، الذي يتشكل منه ديوانه.

ماذا تقول في شعر لم يتغزل قط، ولم يهج قط، ولم يمدح أميرًا ولا ملكاً ولا رئيساً، ولم تهتز ملكة الشعر فيه لأحد من الناس تمدحه سوى رسول الله ﷺ؟!

لقد أخلص في إيمانه، وجعل حياته كلها في حدود هذا الإيمان، وصار تدينه طبعاً فيه، فلما شعر، جاء شعره أقباساً من نور إيمانه، وقطعاً من نفسه ووجدانه.

وبعد هذا الكلام النظري يحسن أن نقرأ بعض أشعاره لنرى مدى التآلف بين الطبع والتعبير، ومدى الانسجام بين ما استقر في قلبه وما جرى به قلمه.

يقول في قصيدة « **أمي** » مخاطباً ربه عز وجل:

لبيك حتى تستجيب دعاءنا
لبيك في جدب وفي إحسان
لبيك في نبض القلوب حلاوة
تهب الخلود إلى التراب الفاني
شوقاً بها.. نطوي الحياة وركبها
نستعجل اللقيا مع الرضوان

ومن فيض هذه الحقيقة جاء تعبيره في خطاب ربه عز وجل في قصيدة « **لحظة الوصال** » إذ يقول:

مشتاقة إليك سيدي جوارحي / مشتاقة إليك في القلوب لمحة / محتاجة من نورك الفياض / بعض ما يبل غلة الظمأ.

وعن الحقيقة التي استقرت بفؤاده، وملكت عليه نفسه، يصدر تبتله الخاشع في قصيدة عنوانها « **ببابك** » التي يقول فيها:

بـبـــــــابك لـــــــن أغـــــــــادره
ولـــــــن أسـعـــــــى إلي غـيـــــــرك
ســأنـــــــج بالـرضـــــــا ثـوبـــــــي
وأشـــــــــرفُ أنـنـــــــي عـنـــــــدك
وأحـمـــــــد حـينمـــــــا تـعطـــــــى
وتـجـــــــري بالـعـطـــــــا كـــفـــــــك
وأحـمـــــــد والـقـــــــضـا يـــــــبلو
وأطـمـــــع فـــــي سـنـــــا عـــفـــــوك

فإذا جاوزنا شعر المواجيد الإيمانية والأحوال القلبية في مثل هذه القصائد، ونظرنا إلى شعر الواقع في السجن الحربي والمعتقل، الشعر الذي يصور معاناة الدعاة في عهد الاستبداد والظلم، وجدنا هذا الشعر – أيضًا – فيضًا متدفقًا من نبع الإيمان في نفسه، أليس إيمانه هو الذي جلب عليه هذه المحن، أليس إيمانه هو ملاذه الوحيد الذي يستمد منه الصبر على تحملها، والأمل في تجاوزها؟

هذه قصيدة تصور المحنة عنوانها «**الألم**» يقول فيها:

ليهدأ الشهيد إن صدق / فلم تزل مزاهر الحياة في القلوب / يصونها من الضياع أن ربها كبير / وأننا بركنه الشديد نستجير / وأننا بظله الحبيب نحتمي / وفي رياض وعده الوفي نرتمي / وإنه لحق / البيع رابح ورابح / نظل في مواطن البلاء والرجا نوحده / ونذكر اسمه الحبيب حينما يضمنا السجود / وحين يبدأ الحديث بيننا وبينه نمجده / وتشرق الحياة باسمه الودود حينما نردده.

هذه هي عواطف الشاعر التي عنها صدر، وهذه هي تجربته الشعرية التي عاشها، متمثلة في الإيمان الذي عاش به وله، ومهما لاقى في سبيل إيمانه فإن حقيقة « الله أكبر » التي جعلها عنوانًا لديوانه تهون عليه الألم، وتحيي في قلبه غراس الأمل.

هذه الحقيقة التي تصون الحياة من الضياع، وفي ظلها يحتمي المؤمنون وفي رياض وعدها يرتمون، ويرددونها فتشرق الحياة.

2ـ الالتزام الإسلامي:

يدرك المرء أول ما تقع عينه على الغلاف الداخلي لـديوان « إبـراهيم عـزت » أنـه شاعر إسلامي ملتزم، وتبدو مظاهر هذا الالتزام فيما يلي:

- العنوان الذي اختاره الشاعر لديوانه « **الله أكبر** ».
- الـصورة التـي رسـمت عـلى الغـلاف متمثلـة في كفـين ترفعـان المـصحف الشريف.
- تصدير الديوان بإحدى سور القرآن الكـريم هـي سـورة الكـافرون، والتـي يقول فيها ربنا عـز وجـل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون].
- كلمة الإهداء التي كتبت على غلاف الديوان، والتي وجهها الـشاعر إلى أمـه وأبيه وإخوته، وإلى الذين شـاركوه آلام المحنـة التـي تعـرض لهـا، وإلى مـن سبقوه إلى الجنة وإلى من ينتظر، وإلى الذين تحابوا بروح الله عـلى غـير أرحـام بينهم.
- ترتيب القصائد الأولى في الديوان، حيث جاءت القصيدة الأولى « **الله أكبر** » والثانية « **أمي** » والثالثة « **أبي** » والرابعة « **صغيرتي** »، وهي موجهة إلى أخته الصغرى « **منى** » ولم يراع ترتيباً زمنياً ولا غيره، ما يدل على أن وراء هذا الترتيب قصدًا إلى الالتزام بأولويات الطاعة والبر اهتداء بقول الله عز وجل: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء:36].
- وفي تقديمه قصيدة « **أمي** » عـلى قـصيدة « **أبي** » مراعـاة لدرجـة الـبر وحـق الإحسان، فقد ورد في الحديث الشريف تقديم حق الأم على حق الأب.

ومع هذا الالتزام الإسلامي الذي تبدو مظاهرة واضحة من غلاف الديوان وعنوانه وصفحاته الأولى، فإننا عندما نقرأ شعر « **إبراهيم عزت** » نجدنا مع المُثل المنشود للشعر الإسلامي، ذلك الشعر الذي لا يجور على حقائق الدين لإرضاء مقتضيات الفن، ولا يهمل مقتضيات الفن للتعبير عن حقائق الدين.

إن بعض الذين يتحمسون لقضية الأدب الإسلامي يسيئون صنعًا عندما يتصورون أن مجرد الوعظ ونظم التعاليم هو كل ما يطلب من الشاعر المسلم.

إن شعر **إبراهيم عزت** لم يخرج قيد أنملة عن حقائق الدين، ومعاني الإسلام، بل إنه في ظلال القرآن يسير، ومن سنة الرسول ﷺ يقتبس، ومن تاريخ صحابته يستوحي ويستدعي، وهو مع هذا كله لم يتحول إلى واعظ، ولا إلى ناظم حكم.

وكل قصيدة من قصائد شعره صالحة للتدليل على التزامه الإسلامي، وصالحة كذلك للبرهنة على اقتداره الفني.

وفي هذه القصائد تلتقي قيم الفن في انسجام متقن مرده في رأيي إلى أن إبراهيم عزت رحمه الله كان شاعرًا موهوبًا عاش الإسلام، فلما شعر وعبّر عن حياته لم يخرج عن حدود حياته التي صاغها دينه.

لقد أثمر الالتزام بالدين كمنهج حياة عند الشاعر أن جاء شعره حاملاً قيم هذا الدين في كل قصيدة، بل في كل بيت وفي كل سطر.

3ـ الأطر الموسيقية:

موسيقى الشعر هي أحد الفروق الأساسية بين القصيدة وقطعة النثر، بل هي الفاصل الذي تميزه الأذن عند الاستماع لفرعي الأدب.

وكانت موسيقى الشعر مجالاً لخلاف كبير بين أجيال من النقاد والشعراء، ولا تزال آثار هذا الخلاف موجودة إلى يومنا هذا، بل إن الجدال حول موسيقى الشعر لم ينته بعد.

وجوهر الخلاف يتمثل في مدى حرية الشاعر في أن يخرج على النظام الموسيقي الموروث للقصيدة العربية.

وبالنظر إلى ديوان (الله أكبر) للشاعر «إبراهيم عزت نجد أنه حاول أن يحقق توازناً فيما يكتبه بين النمطين، الموروث والجديد، فلقد حوى الديوان ثماني وعشرين قصيدة، منها ثلاث عشرة قصيدة على النمط الموروث، وخمس عشرة قصيدة على النمط الجديد[1].

والقصائد المتحررة من وحدة القافية لم تفقد النغم الموسيقي، وحفلت بانسجام في الإيقاع وتناسق في نهايات السطور، وتناسب في الألفاظ والحروف، وروعة في التصوير، وسلاسة في التعبير جعلتها من أفضل ما كتب في الشعر الجديد[2].

ولقد سلم هذا الشعر من العيوب التي أخذت على كثير من كبرائه وحملة لوائه، هذه العيوب المتمثلة في مخالفة قواعد اللغة والنثرية، والركاكة، وحمل مضامين تصادم عقيدة الإسلام، والتشبع بالرموز الوثنية، ومقولات العقائد الباطلة، والغموض.

4ـ الصورة الشعرية:

من أهم خصائص الشعر الجيد: إيحاؤه بالمعنى دون كشف، وتأثيره في النفس عن طريق الصورة، قبل أن يؤثر في العقل عن طريق الفكرة.

فالشعر لغة العواطف، وهذه اللغة مطيتها الخيال القادر على اكتشاف العلاقات البعيدة بين الأشياء، والقادرعلى التجسيد المعنوي، وتشخيص الجماد، وبعث الحياة فيما لا حياة فيه.

---

(1) راجع قصائد: الله أكبر، أمي، دعاء، كنموذج للنمط الموروث وقصائد: أبي، وبعد، اليوم عيد، حبيبتي بلادي، كنموذج للنمط الجديد.

(2) ومن أفضل الأدلة على موسيقية تلك القصائد أنها من أروع الأناشيد التي غناها منشد الصحوة أبو مازن، من غير أن يستخدم أي أدوات موسيقية إلا صوته العذب وألحانه البسيطة المعبرة، فارجع إلى: ملحمة الدعوة، اليوم عيد، حبيبتي بلادي، في شرائطه.

وشعر إبراهيم عزت في مجال التصوير غني جدًّا، ففي أكثر قصائده يرسم لوحات، ولا يسوق أفكارًا، ولا يعدد أحداثًا، انظر إلى خطابه أمه إذ يقول:

يا واحة العمر الغريب تضمُّني
وبها أطالع في الهجير أماني
في ظلها أشكو فراغ شباكِه
وأبوح بالمكنون في خفقانِ
يا من بها فرْحي غدا أنشودةً
ولها تجدَّدُ بسمة وأغانِ
وحنانها دفءٌ يهدهدُ غربتي
ويدٌ تُكَفْكِفُ وحشةَ الأَحزانِ

تجد في هذه الأبيات الخيال الخصب، الذي بفضله تحولت صفات الأم إلى صور متحركة، وخرجت من عالم الفكر الجامد إلى عالم الحس الحي، فالأم واحة تضم ابنها في ظلها، وهذه الواحة ذات الظل حنانها دفء يهدهد غربة الشاعر، ويد تخفف وحشة أحزانه. وعمر الشاعر غريب، شباكه فارغة، لكنه في واحة أمه يرى أماناً في الهجير.

وفي قصيدة « **دعاء** » ينظر الشاعر في كون الله فيراه لوحات ناطقة بقدرة الله عز وجل، فيسبح ربه معها، وينضم إلى موكبها الحافل بالصور التي رسمتها كلمات الشاعر في قوله:

أَسَبِّحُ رَبِّي مِثْلَ الطَّيُورْ وَأَهْتِفُ بِاسْمِ إِلَهٍ كَبِيرْ
أَرَى كِبْرِيَاءً بِلَونِ السَّمَاءْ وَوَمْضِ النُّجُومِ وَبُعْدِ الْمَسِيرْ

وعندما يتحرر «عزت» من القافية تتراكم الصور في تعبيره، وتقترب من عالم الرمز الدال الموحي، وليس الرمز الغامض المغلق.

في قصيدته « **أبي** » يذكر لأبيه ما رآه من ألوان العذاب في السجن.. فكان مما قال:

النظرةُ المعقوفةُ الشعاعِ تقتل الأمانَ في العيونْ / واللفظةُ المعذَّبة /
تمزق الأستارَ في مُجون / والصرخةُ المروِّعة / في الغرفة المفزِّعة / معزوفةُ

الجِـنَّانِ في حدائق الجنون [1].

ومن الصور العجيبة أيضاً قول عزت:

والقلب حينما يزوره الأسى/ تضمه في بُردة الأمان بـسمةُ الـشهيد / الـصبر يعرف الجميع / الصبر رافق الخطى على الطريق.

فالأسى والصبر هنا شخصان يتحركان، وبسمة الشهيد كـذلك تـضم القلـب في بردة الأمان!

عزت والكيلاني والقرضاوي:

وليظهر تميز شعره في جانب التصوير، سننظر في قصيدة له وقـصيدتين لـشاعرين آخرين، والقصائد الثلاث تحدثنا عن محنة السجن التي ذاقوا مراراتها في سجون العهد الظالم، وهذه القصائد هي:

قصيدة إبراهيم عزت « **وبعد** »، وقصيدة يوسف القرضاوي « **الملحمة النونيـة** »، وقصيدة نجيب الكـيلاني « **حبيبتـي أنـا اعترفـت** »، الأولى تـصور، والثانيـة تـصف، والثالثة تقص.

الكيلاني يعترف..

فلنعرف القصة أولاً من نجيب الكيلاني:

جدران سجننا سميكة / والسقف فولاذ وصخر وقدر / حبيبتي من أجـل ذلـك اعترفت / وقلت كل شيء كان / كل شيء لم يكن

صبرت حتى الصبر قال لي « اعترف »/ الموت، والجلاد، والـسياط، والكـلاب / وأعين جواحظ تموت / تنذر بالعواصف المدمرة / لكنها تموت!

وقلت يا حبيبتي بأنني / قد خنت سيدي / وهو ولي نعمتي / ذاك الذي جـاء لي

---

(1) (الجنان: الجن، فصيحة).

بعزتي / حريتي / كرامتي / وأنني الضليع في المؤامرة / ولست أدري ما المؤامرة! / وماذا يفعل البريء حين يتهم / إذا صمت / إذا انخرس / فهذه إدانة مؤكدة!

رجلاي في سلاسل السقوف / ورأسي المدلي المحتقن / تركله الأحذية الثقيلة / وعاد سيدي المطاع والزبانية / وما استطعت ان أميز الوجوه / من البشر؟ / من الكلاب.

لا أعي / حتى السياط والأكف والإبر / وانتزاع أظفري / وهل يضير الشاةَ سلخها / إذا ذبحتها؟! / لكن قلبي خافق / لم يبق لي سوى اللهاث يحترق / سوى الفؤاد يختلج

وقال لي: أتعترف؟ / منذ ثلاث لم أنم / لكم أريد أن أنام / وقلت في مرارة: / فلتجهزوا الوثيقة / قالوا: نعدها / قلت: الورق / أريد رقعة بلا حروف / بيضاء أو صفراء لا يهم / لكي أخط عند ذيلها / اسمي واسم أسرتي / بمحض رغبتي!

وقهقه المفتش الكبير / أنحن نفتري عليكم الكذب؟ / معذرة إليك سيدي / فأنت صاحب الولاء والوفاء والأدب / إني اعترفت بالذي جرى / وكنت أنوي قتلكم / وكنت أبغي سحلكم / قررت أن أغير النظام!

وتمتم المحقق الكبيرُ وانبرى مفسرًا / فإنه انقلاب! / من الذين حرضوك؟ / من تراهم مولوك؟ / أو دربوك؟ / زودوك بالسلاح؟

حبيبتي قد اعترفت / واعترافي ناقص / وليس لي من مخرج سوى المزيد / والمزيد من الكلام / لأنهم لا يقنعون!

حبيبتي قد قلت كل شيء / ما عرفته / وما جهلته / وما يراود الفؤاد من أحلام / أو جال في سريرتي / ونزوتي من الأوهام والأحزان / أو طاف لحظة بخاطري / حتى مهازلي / نوادري! / « ونكتة » سمعتها من « الترام » / حتى رؤاي في المنام / ذكرتها لهم / وهم يفسرون كل ما أقول / وليس لي سوى المثول والقبول / أنا البريء والأثيم / والقاتل الخؤون والقتيل / وإنني الدليل / حتى وإن لم يطلبوا الدليل / جميع

ما يسطرونه من الكذب / مقدس.. بلا شكوك أو ريب / الأصل عندهم هو الإدانة / وإن تشدقوا بالعدل والأمانة / « سبحانهم... سبحانه » / وقلت في النهاية:/ «قتلته.. ذبحته.. أبدته / حتى إذا عاد إلى الوجود دسته / واغتلته ».

تبسم المحقق الرصين / وقال في قراره المكين: / قد اعترفت / إن الذي قتلتـه في حقدك المجنون لم يمت / لأنه كما تراه خالد عريق / من تحته ترقرق الأنهار / مـا أنـت إلا دودة حقيرة صرصار / ذبابة.. بعوضة.. بلا اعتبار.

هذه حكاية اعتراف الكيلاني في السجن الحربي بأنـه كـان متـآمرًا عـلى النظـام في العهد البائد؛ اعترافًا منتزعًا تحت وطأة التعذيب الجهنمي؛ لأن القـوم كـانوا يريـدون اعترافًا بأي شيء وبكل شيء.

والقصيدة طويلة جدًّا، وهـي تقـص علينـا أطرافًـا ممـا كـان يحـدث في غياهـب السجون التي امتهنت فيها قيم الحق والعدل، واغتيلت فيها كرامة الإنسان.

القرضاوي والملحمة النونية:

وهذه المأساة نفسها يصفها الدكتور **يوسف القرضاوي** فيقول في الملحمة النونية:

في ساحة « الحربي » حسبك باسمه ... من باعثٍ للرعب قد طرحوني
ما كدت أدخل بابه حتى رأت ... عيناي ما لم تحتسبه ظنوني
في كل شبرٍ للعذاب مناظرٌ ... ينـدى لها – والله – كل جبين
هذا هو « الحربي » معقل ثورة ... تدعو إلى التحرير والتكوين
فيه زبانية أَعدوا للأذى ... وتخصصوا في فنه الملعون
متبلدون.. عقولهم بأكفهم ... وأكفهم للشر ذات حنين
لا فرق بينهمُ وبين سياطهم ... كلٌّ أداةٌ في يدي مأفون
يتلقفون القادمين كأنهم ... عثروا على كنزٍ لديك ثمين
بالرجل، بالكرباج، باليد، بالعصا ... وبكل أسلوبٍ خسيسٍ دون

تـــالله أيـــن الآدميـــة منهمـــو ... مـــن مثـــل محمـــودٍ ومـــن ياســـين
مـن جـودةٍ،أو مـن ديـاب، ومـصطفى ... وحمـــادةٍ وعطيـــةٍ وأمـــين [1]
لا تحـسبوهم مـسلمين مـن اسـمهم ... لا ديـن فـيهم غـير سـب الـدين
لا ديـن يـردع.. لا ضـمير محاسـبًا ... لا خـوف شـعب.. لا حمـى قـانون
مـن ظـن قانونـاً هنـاك فـإنما ... قانوننـا هـو « حمـزةُ البـسيوني »
جـلاد ثـورتهم.. وسـوط عـذابهم ... سـموه زورًا قائـدًا لـسجون
أسـمعت بالإنـسان يـنفخ بطنـه ... حتـى يـرى في هيئـة البـالون؟
أسـمعت بالإنـسان يـضغط رأسـه ... بـالطوق حتـى ينتهـي لجنـون؟
أسـمعت بالإنـسان يـشعل جـسمه ... نـارًا وقـد صـبغوه « بـالفزلين »؟
أسمعـت مـا يلقـى الـبريء ويـصطلى ... حتـى يقـول: أنـا المـسيء خـذوني؟
أسـمعت بالآهـات تخـترق الـدجى ... ربـاه عـدلك.. إنهـم قتلـوني؟!
إن كنـت لم تـسمع فـسل عـما جـرى ... مـثلي.. ولا ينبئـك مثـل سـجين
وأسـأل ثـرى « الحـربي » أو جدرانـه ... كـم مـن كـسير فيـه أو مطعـون
وسـل الـسياط الـسود كـم شربـت دمًـا ... حتـى غـدت حمـرًا بـلا تلـوين
وسل « العروسة[2] » قُبحـت مـن عـاهرٍ ... كـم مـن جـريح عنـدها وطعـينِ!
كـم فتيـة زفـوا إليهـا عنـوة ... سـقطوا مـن التعـذيب والتـوهين
واسـأل زنـازين الجليـد تجبـك عـن ... فـن العـذاب.. وصـنعة التلقـين
بالنـار أو بـالزمهرير.. فتلـك في ... حـين، وهـذا الزمهريـر بحـين
يُلقـى الفتـى فيـه ليـاليَ عاريًـا ... أو شـبه عـارٍ في شـتا كـانون
وهنـاك يمـلي بـالاعتراف كـما اشـتهوا ... وإلا، فويـلُ مخـالفٍ وحـرون

وهذه الملحمة أيضًا طويلة جدًّا، وهذا القدر منها يكفي للدلالة على أسلوب

(1) أسماء جلادين في السجن الحربي.

(2) من أدوات التعذيب.

صاحبها في وصف مآسي التعذيب في السجن الحربي. وقد وردت فيها أسماء بعض الضباط والجنود، وأسماء بعض آلات التعذيب، ووصف طرائقه. وهو أسلوب يختلف عن أسلوب الكيلاني الذي قص به قصة اعترافه.

عزت وملحمة الدعوة « وبعد »:

أما إبراهيم عزت فعندما أراد أن يحدثنا عن هذه المأساة فقد سلك سبيله الذي تجده في سائر شعره؛ سبيل التصوير الذي يوحي ولا يصرح، وينقل الأثر النفسي دون أن يسرد أحداثًا ، أو يذكر أسماء، أو يصف وقائع في قصيدته « وبعد » [1] يقول إبراهيم عزت مصوراً ما قصه الكيلاني، وما وصفه القرضاوي:

وَبَعْدَمَا رَأَيْتُ مَا رَأَيْتْ/ وَبَعْدَمَا عَرَفْتُ مَا عَرَفْتْ / الْمَوتُ حِينَمَا دَنَتْ مَخَالِبُهْ / وَاللَّيلُ حِينَمَا اعْتَدَى عَلَى الصَّبَاحِ ضَارِيًا يُغَالِبُهْ / الْمَوتُ كَانَ أُمْنِيةْ / وَالْمَوتُ كَانَ لِلْجِرَاحِ أُغْنِيَةْ / وَاخْتَارَ مِنْ صُفُوفِنَا / أَحَبَّ مَنْ رَأَتْ عُيُونُنَا.

ويقول:

عَيْنَاي تَسْبَحَانِ فِي الشُّرُودِ مِنْ يَومِهَا / مِنْ يَومِ أَنْ تَحَرَّكَ الفَنَاءُ فَوقَ كُلِّ أَخْضَرِ / يَا وَاحَةَ الأَمَانِ أَقْفِرِي / قَدِ اسْتُبِيحَتِ الحُرَمْ / وَسِيقَتِ النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ لِلْحُمَمْ / لِيُطْعَمُوا لِوَحْشَةِ الظُّلَمْ / لِيطْفِئُوا ابْتِسَامَةَ الصَّغِيرْ / لِيَهْتِكُوا قَدَاسَةَ الحَرَمْ.

ويقول:

تَكَسَّرِي سَنَابِلَ العَطَاءِ وَاسْجُدِي / وَمَرِّغِي تِيجَانَكِ الشَّمَّاءَ فِي الثَّرَى / يَا خُضْرَةَ الزَّيْتُونْ / فَلْتَرْتَدِي السَّوَادَ فَوْقَ كُلِّ عُودٍ أَثْمَرَا / وَيَا مَدَامِعَ السَّحَابِ طُوفِي عَلَى الدِّيَارْ / وَأَوْدِعِي بِكُلِّ شِبْرٍ دَمْعَةً مِنَ السَّمَاءْ / وَأَكْثِرِي عَلَى الْمَحَارِمِ

(1) سماها أبو مازن في شريطه السابع (ملحمة الدعوة) وهو اسم أكثر تعبيرًا مما وضعه الشاعر.

البُكَاءَ ... أَكْثِرِي البُكَاءْ.

وفي نهايتها يقول:

وَبَعْدَمَا رَأَيْتَ مَا رَأَيْتْ.. هَلْ تَعُودُ للطَّرِيق؟ هَلْ تَعُودْ؟ / وَقَبْلَ أَنْ أُجِيبْ / تَحَرَّكَتْ مَدَامِعِي هَدِيَّةً لِمَنْ مَضَى / وأُرْهِفَتْ مَسَامِعِي / لأستعيد مِنْ مَوَاطِنِ الغُيُوبْ / وَصِيَّةً سَمِعْتُهَا فِي لَحْظَةٍ مِنَ الرِّضَا..

وَاهْتَزَّ قَلْبِيَ الَّذِي قَدْ هَدَّهُ العَذَابْ / أَحْسَسْتُ رَعْشَةً بِجِسْمِيَ الَّذِي يَخَافُ غَضْبَةَ الذِّئَابْ / وَجَاءَ ضَعْفِي الكَئِيبُ جَاءْ / عَرَفْتُهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنَ الضَّنَى قَدْ عِشْتُهَا / أَتَى يُقَدِّمُ الرَّجَاءْ ... / تَعَلَّقَتْ عَيناهُ بِالجَوَابْ [1].

نحن هنا بإزاء شعر يصور، لا يصف، ولا يسرد، تطالعنا فيه لوحات تفجر في نفوسنا أحاسيس غامضة ومشاعر فياضة، إلى حالة من الحزن الشفيف، والتعاطف الرهيف مع هؤلاء الذين عاشوا الأهوال التي تصورها هذه اللوحات.

أرأيت إلى هذه الصور التي حشدها الشاعر حاملة نبض قلبه ووساوس نفسه ودقائق حسه، حافلة بالعواصف والرعود، والمآسي السود، التي حزنت لها الأرض واهتزت السماء. هذا هو الفرق بين التصوير وبين الوصف والسرد، وهكذا كان «إبراهيم عزت» مصوراً في أكثر شعره.

5ـ النزعة الدرامية والوحدة العضوية:

المقصود بالنزعة الدرامية في الشعر، أن تشتمل القصيدة على صراع وحركة، وتصوير لتناقضات الحياة، وعناصر هذه النزعة تتمثل في: الحدث، والحوار، ورؤية الشاعر الخاصة.

وبالنظر في شعر « **إبراهيم عزت** » نجد هذه النزعة واضحة جدًّا عنده، ويرجع

(1) راجع القصيدة كاملة في الديوان، واسمعها مغناة في الشريط السابع من شرائط أبي مازن.

وجودها على نحو مكثف عنده إلى أن أكثر شعره تصوير لتجربته في الدعوة وما تحمله في سبيلها، وهذه التجربة تتشكل من أحداث مثيرة، وصراع بين الخير والشر، ومواجهة بين كثير من المتناقضات.

ولقد استوعب شعره عناصر هذه النزعة جميعاً: الحوار الداخلي، والحوار الخارجي، والأسلوب القصصي.

ومن المواضع التي يمكن استكشاف الخيط الدرامي فيها قوله من قصيدة «**أبي**»:

فلتوقد النيران / وليسقط الإنسان بين شِقَّي الرحى / كي تنتهي معالمُه / وليرقصِ الشيطانُ في أيامِه الحمراءْ / يأيها الطيورُ: لا غِناء / فمن له تغردين قد قُتل / ولتقبلِ الزهورُ عذرَنا / فعرسُنا من قبل بَدئِه انتهى / والصاحبُ الحبيب دون موعدٍ رحلْ.

ولعل أدل قصيدة على الصراع « صراع الشاعر مع ضعفه ومحنته »، وعلى الحركة، وتصوير التناقضات، قصيدة «**عذابنا**» والتي يقول فيها:

أغالب النحيبَ والعويل والصراخ / أغالب الكلامَ والدموع / أغالب النظْراتْ / فكل ما نقوله من الكلام عاجزٌ / مهدمٌ / مقيدُ / وكل ما نراه مرهِقٌ معذِّبُ.

وقصائده: **الألم، فلنطلق ابتسامنا في ليلة العزاء، وبعد،** كلها غنية بالصراع والأحداث، حافلة بتصوير المتناقضات.

ومن القصائد التي استعان الشاعر فيها بأسلوب الحوار: «**أمي، أبي، صغيرتي، مرثيتي، حبيبتي بلادي**» ويستدعي إبراهيم عزت بعض قصص الموروث الشعبي فيضمنه بعض قصائده فيقول مخاطباً أخته الصغرى:

وحينما نُرَدُّ يا صغيرتي لدارنا / وتسألين عن هديتِك / ستسمعين يا أميرتي / حكايةَ «الشَّاطِرْ حَسَنْ» / مضى ليقهرَ الغيلانَ في المدينة السوداء / وحينما التقى بالأعرج الحقود هدَّهُ / بطعنةٍ من خنجره / واستخلص الحسناء / روَى

حقولَ قمحِنا بدمعِه / وجاد بالدماء.

وقد تستقل القصة بقصيدة، فتأتي القصيدة كلها مثل قصة قصيرة، لكنها لا تفقد روح الشعر، وذلك كما في قصيدة **وكان ملحداً ومات**، وقصيدة **مصعب بن عمير** التي يقول في مطلعها:

وَكَانَ مُصْعَبٌ مُعَطَّرًا بِأَنْدَرِ العُطُورْ / وَكَانَ يَلْبِسُ الحَرِيرْ / وَكَانَ شَامَةً أَحَبَّتِ الحُيَاهْ / وَزَهْرَةً تَنَفَّسَتْ رَوَائِحَ النَّعِيمْ / وَفَجْأَةً تَغَيَّرَتْ مَلامِحُهْ / وَحِينَمَا رَأَتْهُ أُمُّهُ تَجَهَّمَتْ / نَادَتْ أَبَاهُ: يَا عُمَيْرْ / صَغِيرُنَا الحَبِيبْ / مُثَقَّلٌ بِسِرِّهِ / لا بُدَّ أَنَّهُ أَحَبَّ [1].

وتتمثل في هذه القصيدة عناصر القصة كلها، الأحداث والحوار والشخوص، والحبكة، وهي مع ذلك شاعرية اللغة والتصوير.

ومن حسنات هذه النزعة أنها تحقق قدرًا كبيرًا من الوحدة العضوية للقصيدة، فترابط الأحداث وانتقال الشاعر من موقف إلى موقف مترتب عليه، وتنامي المواقف لتصل في نهاية القصيدة إلى ما يشبه انفراج الأزمة في القصة، كل ذلك يؤدي إلى قدر من الوحدة العضوية، يعصم القصيدة من أن تكون أفكارًا مبعثرة أو خواطر متفرقة.

* * *

(1) راجع القصيدة كاملة في الديوان، واستمع إليها مغناة في الشريط التاسع من شرائط أبي مازن.

إبراهيم عزت شاعر الدعوة والوطن

عبد الله رمضان[1]

حفلت فترة الستينيات بالعديد من الشعراء المبدعين، والذين استمر أثرهم الشعري إلى الآن، ينهل منه عشاق الأدب، ويتتلمذ عليه ناشئة الشعراء، ويتغنى به المثقفون والبسطاء، ولا يفوتنا أن نشير إلى **أمل دنقل ومحمد عفيفي مطر وفاروق شوشة** وغيرهم الكثير؛ غير أن كل هؤلاء نالوا حظًّا من الدراسات الأكاديمية أو المقالات النقدية أو غيرها، والتي تدرس شعرهم، وتضعه في إطاره المناسب في تطور حركة الإبدع العربي، لكن هناك الكثير من الشعراء الذين أغفلهم نقادنا وإعلامنا – أو تغافلهم – ربما لاعتبارات بعيدة عن الأدب والنقد، ومن هؤلاء الشاعر الشيخ إبراهيم عزت، الذي لا يقل إبداعه الشعري روعة عن إبداع الفحول المحدثين من أبناء جيله – جيل الستينيات – وربما تميز شعر إبراهيم عزت بميزات خاصة،هو أنه كان نابعًا في أكثره من معاناة حقيقية اصطلى بويلاتها في السجون.

كانت معاناة إبراهيم عزت وإخوانه في السجون مبعثًا لتفجر شاعريته الفياضة، والتي ارتقت إلى مستوى فني متميز في لغته وأسلوبه وتصويره وخياله وتعبيره عن المأساة تعبيرًا فنيًّا راقيًا، لا ينزل به إلى مستوى العديد من شعراء الحركة الإسلامية أو الوطنية الذي تعلو فيه – في جانب منه – النبرة العالية، والتي يمكن أن نسميها بالخطابية، والتي تزحزح ما يقولونه من نطاق الشعر، إلى نطاقات أخرى بعيدة عنه.

شعره:

وشعر إبراهيم عزت من الشعر الرائق المتدفق، الذي تنساب فيه الكلمات أحاسيس، والأبيات مشاعر، والحروف صورًا، وتتخلله التجربة والمعاناة كما تتخلل الروح الجسد، لا تستطيع أن تفصل فيه الكلمة عن الفكرة، أو الفكرة عن العاطفة؛

(1) شاعر وباحث مصري في الدراسات الأدبية.

لأنه مزيج من كل هذا، نفث فيه الشاعر من روحه، وسقاه من قطرات نفسه التي اعتصرتها المأساة:

يقول:

على مشارفٍ تظل ألف يوم / ونحن نرتدي الرضا / ونصنع ابتسامنا من ذكره / ونرقب الحياة من بعيد / في جزيرةٍ ببحرهِ / تفتحت قلوبنا على نوافذ الخلود / تنفست زَفْرَاتُنَا في واحة السجود / الكف حينما يصيبها الضنى / تمد بالرحيق حين تعصر اليدان / صرخة على القيود / والعين حينما يشدها الشرود / تردها عينان / عائدتان من حدائق الصمود.

الرضا بما قسمه الله من معاناة والصمود في المحنة مقومان من مقومات الشاعر وأصدقائه في هذه المحنة، يزيدهم صبرًا وعنادًا لاحتمال المأساة.

ويمتعنا الشاعر بصورة هذا الرضا الذي شمل كل حياتهم، فهم يرتدونه وكأنه ثياب، ويصنعون منه ابتسامهم وكأنه مادة حلوة المذاق تجلب الابتسام، وهو بحر واسع ينتظرون أن تطل منه الحياة الحقيقية التي يفتقدونها، وهي الحرية والانطلاق.

وفي هذا الموقف الروحي السامي تتفتح القلوب على نوافذ الخلود، فترى ما لا يراه الآخرون، وتتنفس الزفرات في واحة السجود؛ لأنها تكون في جنة الله بالحياة الدنيا؛ الصلاة!

وحينما يتسرب إليهم شيء من الضنى أو الشرود في المصير القاتم يجدون من حالهم ما يرجع بهم إلى جادة الطريق. الذي لم يكل الشاعر من الهتاف الدائم فيه.

الله أكبر.. بسم الله مجريها
الله أكبر بالتقوى سنرسيها
الله أكبر.. قولوها بلا وجل
وحققوا القلب من مغزى معانيها
بها ستعلو على أفق الزمان لنا
راياتُ عزٍّ نسينا كيف نفديها

بهـــا سُـــتبْعَثُ أمجـــادٌ مبعثـــرة
في التيـــه.. حتـــى يـــرد الركـــبَ حاديهـــا

أدوات شعره:

وتتسرب الأدوات الحديثة التي ميزت شعر الستينيات من تقنيات شعرية – استخدمت بكثرة وما يزال لها رونقها – تتسرب في شعر إبراهيم عزت بشكل فني متميز، لا يظهر فيه عناء صنعة، أو جهد كلفة، ومن هذه التقنيات تقنية المفارقة التصويرية، حيث يستدعي الشاعر أحداثًا من التراث، أو نماذج إنسانية يسقط عليها ملامح الواقع المعيش؛ مبرزًا التناقضات التي كان من المفترض أن تتوافق. ومن ذلك ما قاله في قصيدة زيارة يخاطب صغيرته قائلاً:

وحينما نرد يا صغيرتي لدارنا / وتسألين عن هديتك / ستسمعين يا أميرتي / حكايةَ «الشَّاطِرْ حَسَنْ» / مضى ليقهر الغيلان في المدينة الخضراء / وحينما التقى بالأعرج الحقود هدَّه / بطعنة من خنجره / واستخلص الحسناء / روى حقول قمحنا بدمعه / وجاد بالدماء / ستعرفين قصة الحمامة البيضاء / وقصة الطيور والغناء / وقصة الغراب والخراب../ والأسود والذئاب والكلاب / لسوف تعرفين أن اسمك الحبيب / بسمة في ألف قلب / يا بسمة تحب!

هنا استدعى الشاعر حكاية الشاطر حسن – القصة الشعبية التي تُحكى للأطفال – استدعاها بملامحها الخيرة الطيبة التي تحارب الشر، والشاطر حسن ما هو إلا الشاعر **إبراهيم عزت** الذي تعرض لما تعرض له بسبب محاربته للغيلان في المدينة الخضراء التي استولوا عليها آملاً في تحريرها. ولا يخفى الإسقاط السياسي في: الغيلان، المدينة، الخضراء، الحسناء.

ويمعن الشاعر في إنشاء معادلات للمفارقة السابقة بقصص سيحكيها لصغيرته لا تخلو كلها من الإسقاطات التي تصور حال الشاعر وأصدقائه، مع من سلبوه حريته، وسلبوا شعبه أحلامه وآماله، فيعدها أنها سَتعرف « قصة الحمامة البيضاء، وقصة الطيور والغناء » وهي كلها رموز للسلام والأمان والحرية والانطلاق يقابلها

«قصة الغراب والخراب والأسود والذئاب والكلاب » وهي كلها رموز للدمار والفقر والقسوة والقهر والاحتيال والنهب.

وكل هذه المفارقات تعمق المعنى، وتبرز ملامح الصورة، وتجسد المشاعر وتقيم التجربة كائنًا حيًّا دونما ثرثرة أو صراخ، فهي أشبه بالبحر العميق الذي لا تسمع لأمواجه صوتًا، لكنها تجرف ما يعترضها بقوة.

شاعر الدعوة.. الوطن.. الحرية:

لا نعرف لإبراهيم عزت سوى ديوان واحد طبع في بيروت عام 1970 بعنوان: « الله أكبر »، وأنشد شباب الحركة الإسلامية العديد من قصائد هذا الديوان، ومن أبرزها ما غناه المنشد السوري أبو مازن، والديوان يتناول قضايا الدعوة والوطن والحرية، والحرية بالذات هي قضية كل إنسان لا سيما الشعراء، خاصة من كان منهم مثل **إبراهيم عزت** يحمل من المبادئ والهموم ما يفرض عليه أن يناضل من أجلها.

وبعد قراءة ديوان إبراهيم عزت مرات ومرات يمكننا القول باطمئنان إنه شاعر متميز، وإن غلبت الدعوة على مجهوده ونشاطه، فقد كان ما وصلنا من شعره من ذلك الصنف من الشعراء الذين يعبرون عن تجربة حقيقية اصطلوا بويلاتها، فجاء شعره صادقًا في تعبيره عن واقعه، صادقًا في أدائه الفني، لا يعمد - في أكثره - إلى الثرثرة التي نراها لدى الكثيرين من شعراء الأيديولوجيا؛ سواء من كان منهم ينتمي إلى الحركة الإسلامية، أو الحركات القومية، أو غيرها.

نماذج تحليلية من شعره:

كانت لمعاناة إبراهيم عزت في المعتقل - الذي لبث فيه بضع سنين - أثرها في تجربته الشعرية؛ لذلك جاءت أكثر قصائد ديوانه تعبيرًا عن هذه المأساة في صورها المتعددة، سواء معاناته الشخصية أم معاناة إخوانه من شباب الحركة الإسلامية، أو معاناة الوطن ذاته؛ لأن هذا الوطن سجين هو الآخر تحت قهر أولئك الجبابرة. يقول إبراهيم عزت في قصيدة بعنوان: **حبيبتي بلادي**:

حبيبتي / قد كنت أصنع الكلام من دمي / وكنت أعزف النشيد هامسًا / لعله إلى الفؤاد ينتمي / وكنت أكتب الحروف واحدًا فواحدًا / لتقرئي، لتفهمي.

وكنت يا حبيبتي وكنت / والآن يا حبيبتي / لن أكمل الحديث / وإن بدا مشوِّقًا / فليس ما أريده إثارة الطرب / أو أن تحركي الشفاه من دلائلِ العجب/ ولن أتمَّ يا حبيبتي النغم / فقد رأيتُ ما يحرِّمُ النشيد ألف عام / فصرت كلما بدأتُ في الغناء / أجهشتُ بالبكاء / لن أُمسك القلم / فالرعشة التي سرت في قلبيَ المنهوك / أصابت المواقع الخضراء بالعقم / فلم تعد تجيد غير نبضة الألم / لن أكمل الحديث يا حبيبتي / فشمعتي في ليلة الجفاء أُطفئت / وأكذب الأصوات في هواك قد علت/ وقصة الكلام كلها / قد انتهت.

أي حب هذا الذي حمله الشاعر لهذا الوطن؟! لقد كان يصنع الكلام من دمه، ويصوغ الحروف من قطرات نفسه وروحه من أجل هذا الوطن الحبيب، لكن يحدث ما يمنع أهازيج الشاعر وأغاريده حيث يرى ما يحرم الغناء، وما هذا الغناء إلا الحرية الطليقة التي كان ينعم بها الشاعر مع هذا الوطن، فأصبح هذا الغناء محرمًا بقدرة خارجة عن إرادة الشاعر والوطن، إنها قدرة العسكر الذين يمتلكون السلاح، أما الشاعر فلا يمتلك إلا أشعاره. وكلما عاود أن يستجمع قواه ومشاعره ليبدأ الغناء من جديد إلا ويغلبه البكاء، فالمواقع الخضراء أصابها العقم، والشمعة التي تضيء أطفئت في ليلة الجفاء، لقد تلاشى النور لتحل محله الظلمة، وتراجع الحق ليحتل مكانه الزيف الذي يدعي حب الوطن، والوطن منه بريء:

حبيبتي / وكلهم بالأمس كان في الهوى متيما / حبيبتي / وأين هم؟! / في ليلك الحزين / وأين يا حبيبتي الأمير زائرًا؟ / في الموكب الكبير / يملأ الطريق بالعطور والزهور / يختال فوق صهوة الجواد / وأين يا حبيبتي غناء شاعرك؟ / قد سال بحره منغمًا من بسمتك / وأين يا حبيبتي يمين عاشق / أتاك يسبق الرياح كي يُرَى بجانبك.

ويسأل الشاعر عن الأمير الحلم والأمل الزائر في موكب كبير يملأ الطريق بالعطور والزهور، ويختال فوق صهوة الجواد، ويسأل كذلك عن غناء الشاعر الذي تلاشى بسبب القهر، ويسأل عن عاشق أو يمين عاشق أقسم بحب الوطن، كل هذه المفردات تكوِّن صورة حالمة يتمناها الشاعر لوطنه؛ لكن انقلبت هذه الصورة المشرقة إلى النقيض، فكان الخداع والبكاء:

خُدعت يا حبيبتي / بكت بكفك الجراح / وارتوت بدمعك السفوح والجبال / ناحت رمالها / في ليلة الحداد حين زارها دمك / شكت سهولها / لوطأة البغي يستبيح حرمتك / نسيت في موائد الثناء / سيدًا تعشق الفداء / الموت عنده حياة / أحب دائمًا أن ترفع الجباه / وكفة الكلام عنده نصف كفة العمل / أحب أن يراك مسجدًا / مقدسًا ثراه / لا ينال تربه / نسيته مقيدًا / شغلت عنه بالبريق / من سيطفئ الحريق غيره / ومن سيمسح الجراح إن جهلت سرَّهُ.

نحن إذن أمام صورتين متقابلتين، أو قيمتين متناقضتين: **قيمة الزيف**، وما يمتلكه من أدوات القهر والإرهاب والبطش والجبروت، **وقيمة الصدق**، وما يمتلكه من حب فياض، ومشاعر مخلصة.

وإذا جاز لنا أن نبحث عن معادلات هذه الصور في الواقع فإننا نقول: إن الثورة[1] بشَّرت بآمال عريضة تفاءل الناس بها خيرًا، لكن هذه الآمال لم تلبث أن تلاشت، بعدما انحرفت الثورة عن أهدافها، وتحكم في الوطن بعض المنتفعين، فأذاقوه من الويلات الكثير، وقد صدق الناس كثيرًا من زيف هؤلاء، وهو ما يمكن أن نفهمه من قول الشاعر:

خُدعت يا حبيبتي / بكت بكفك الجراح.....

نسيت في موائد الثناء / سيدًا تعشق الفداء

(1) يقصد حركة الضباط 23 يوليو 1952 في مصر.

وفي الجانب الآخر من المعادلة، أو الوجه الآخر من الصورة يرى الشاعر نفسه – وإخوانه من أفراد الحركة الإسلامية – محبين مخلصين لهذا الوطن، لكنه تنكر لهم أو تنكر حاكموه لهم، ورغم ذلك فإن الشاعر لا يستسلم لهذه الأهوال؛ بل يقابلها بالرجاء، والأمل الذي يراه في الأفق مطلاً باسمًا:

حبيبتي / ولم تزل في أفقنا بَقيَّةٌ من الرجاء / حطِّمي قيوده / لتحتمي بسربه / لتصنعي حياتنا به / لتسمعي دعاءه.. بكاءه / يستمطر السماء زَادَهُ / ونَصْرَهُ / ويستغيث ربَّهُ / فحطِّمي قيوده.

اليوم عيد:

وفي قصيدة أخرى بعنوان « اليوم عيد » يقيم الشاعر مفارقته بين صورتين متقابلتين، تجعلنا نتعاطف معه، ونشاركه أحزانه وآلامه، فالمناسبة المشتركة بين الصورتين هي يوم العيد، وهو يوم الفرحة والرحمة والود والتسامح والسلام والأمان، وكل هذه المعاني الجميلة المشرقة التي عاشها الشاعر في يوم من الأيام، يحكيها لنا في الصورة الأولى، فيما يشبه الارتداد أو الـ « **فلاش باك** »:

اليوم عيد / قد عشت فيه ألف قصة حبيبة السمات / أردد الأذان في البكور / أراقب الصغار يمرحون في الطريق كالزهور.

وهذه تحية الصباح / وهذه ابتسامة الصديق للصديق / والسلام / يبسط اليدين يرسل الندى / ويملأ الحياة بالأمان / وخضرة الزروع غضة الجنى / تجمعت أمام مسجد الإمام / وأطيب الثمار تطلب الكبار / هدية يحبها الصغار / تحبها صغيرتي / ما أطيب الزمان يا أحبتي / إن عانق الأمان / زماننا ربيعه الأمان.

في هذه اللوحة يستعرض الشاعر ذكريات العيد، التي كان يحياها ويعايشها؛ حيث كان الأطفال يمرحون كالزهور، ويتبادل الأصدقاء الابتسام والسلام، الذي يبسط يديه، مرسلاً الندى، ويملأ الحياة بالأمان. وخضرة الزروع التي تجمعت أمام

مسجد الإمام، كل هذه الجزئيات المختلفة تكوِّن اللوحة الأولى من المفارقة، والتي تتضام لنرى الأمان مجسدًا في هذا اليوم، يوم العيد.

لكن الوضع الحقيقي في حاضر الشاعر على خلاف هذه اللوحة الجميلة الوادعة؛ لأن:

الكل عائد بفرحة تطل مشرقة / من الشفاه والعيون / ودارنا ستنتظر / صغيرتي ستنتظر / والشرفة التي على الطريق تسمع الصدور.. / تعزف الأشواق تعصر الأسى / هشام لن ينام / قد كان نومه على ذراع والده / نهادُ لن تذوق زادها / لأنها تعودت أن تبدأ الطعام من يد الأسير / شريكة الأسى بدا جناحها الكسير / تخبّئ الدموع عن صغارها / وحينما يلفها السكون / سترتدي الصقيع / كي تقدم الحياة للرضيع.

في هذه اللوحة لا نشعر بالأمان الذي ظلل اللوحة الأولى، حيث يسيطر على هذه اللوحة عنصر الفقد والبعد، وهو ما ينعكس على دار الشاعر [1] وصغاره، الذين لن يناموا ترقبًا لعودة أبيهم الذي غَيَّبَتْه الأسوار، وينعكس كذلك على شرفة منزله التي تراقب السائرين على الطريق انتظارًا لعودته، ولا تفتأ تعزف الأشواق وتعصر الأسى. وعلى الرغم من قسوة هذه المفارقة بلوحتيها المتقابلتين إلا أن الشاعر يفتش في ذاته عما يجدد الأمل لديه، فيجد حب أهله وأولاده في قلبه، فيصر على أنه: **ما زال يومنا ويومهم / لأننا نحبهم / اليوم عيد.**

وقد لا تسمح هذه العجالة بالحديث عن شعر إبراهيم عزت بالتفصيل الذي يستحقه، لكن يمكننا أن نقول إنه بحق شاعر متميز، امتلك أدوات الشعر، ووظفها بمهارة، ما كان منها من أصيل تراثنا أو من حديث ثقافتنا، وكانت تجاربه الشعرية

(1) لم يكن إبراهيم عزت متزوجًا أثناء اعتقاله وكتابة هذه القصيدة، ولكنه عبر تعبيرًا جيدًا عن شعور ربة البيت والأبناء عند فقد الزوج الحبيب والأب الراعي.

نابعة من معاناة حقيقية أكسبت أشعاره الصدقين: الصدق الفني، والصدق الواقعي[1].

***

(1) أجزاء من مقالات نشرت في مجلة المجتمع – الكويت – العدد 1560- 19/ 7/ 2003- ص50،51، وموقع إسلام أون لاين على شبكة المعلومات (الإنترنت) بتاريخ 29/ 11/ 2003 .

مع إبراهيم عزت وطيف الملحمة

حوار مع أبي مازن منشد الصحوة [1]

سَـيَذْهَبُ الـدِّينُ وَالـدُّنْيَا.. بِـلا ثَمَـنٍ
إِنْ لَمْ نُقَـدِّمْ دِمَانَـا كَـيْ نُزَكِّيهَـا
إِنَّـا عَـلَى عَهْـدِنَا للهِ نَحْفَظُـهُ
حَتَّـى نُقَـدِّمَ أَرْوَاحًـا.. وَنَـشْرِيهَا
لَقَـدْ أَتَـى أَمْـرُ رَبِّي لا مَـرَدَّ لَـهُ
إِنِّي سَـأَقْهَرُ أَعْـدَائِي وَأفنِيهَـا [2]

ابتسم المهندس رضوان « **أبو مازن** » وأنا أردد هذه الأبيات، وأقلِّب ما بين أيدينا مِنْ كُتُبِ الشعر ودواوينه..

قلت له: الشاعر الذي سنتحدث عنه اليوم تشبه ظروف علاقته بك كثيرًا ظروف علاقتي بك؛ فقد عَرَفْتُك عن بعد من خلال إنشادك، كما عرفك كلُّ الناس، وأحببتك كما أحبك كلُّ الناس حتى التقينا...

وأنت عرفت صاحب هذه الأبيات من خلال أشعاره.. وأحببته.

قال لي في أسى ممزوج بسعادة:

- والفرق أني لَمْ ألتقِ به.

ثم تَقَدَّم إلى الأمام في جِلْسَتِه، وقال لي وعيناه تلمعان بكل معاني الحب:

- تصوَّر: لَمْ أكن أعرف أن إبراهيم عزت شيخ وخطيب في مسجد، وأنه بهذه الشهرة الواسعة. ثم قلب بين كفيه تلك الشرائط المسجلة لبعض خطب الشيخ التي أهديتها له وقال:

---

(1) تم الحوار في بيته في مدينة نصر – القاهرة – وكان الحوار الرابع من حواراتي معه، والتي نشرتها مع نصوص قصائده المغناة في الشرائط العشرة له، في كتابي (أبو مازن صوت الصحوة).

(2) قصيدة (الله أكبر) للشيخ إبراهيم عزت – الشريط السابع.

– وهذه هي المرة الأولى التي سأستمع فيها إلى خطبة له!

لَمْ أملك إلا أن أنظر له تلك النظرة التي ترجمتها عيناي إلى ذلك العَجَب المسيطر على نفسي، عندما أسمع أي مفارقة مِنْ مفارقات حياة ذلك المنشِد الأسطورة أبي مازن، وقلت:

– سبحان الله!

وبعد سكتة لطيفة قلت: أريد منك أن تحكي لي عن أول لقاء لك مع شعر إبراهيم عزت.

قال: كان ذلك بعد مدة مِنَ استغراقي في الإنشاد.

قلت له مقاطعًا في رِقَّة:

– أول قصيدة تنشدها لإبراهيم عزت كانت في الشريط الخامس: « **اليوم عيد** » فأشار برأسه دليلا على الموافقة، ثم أكمل:

– جاءني أحد الأصدقاء في المسجد – وكان أكبر مني سنًّا – وأعطاني ديوان شعر عنوانه: « **الله أكبر** » للشاعر إبراهيم عزت سليمان، وقال لي: ما رأيك في هذا الشاعر؟ إنني لم أقرأ لشاعر مثله، فأخذت منه الديوان، وبدأت أقرأ فيه.

لمعت عينا أبي مازن بشدة وهو ينظر إليَّ، وأكمل قائلاً:

– الحقيقة يا دكتور أنني أصابتني شبه عُقْدَة اسمها « **إبراهيم عزت** » كما أخبرتك مِنْ ذي قبل، وأصبح من الصعب عليَّ اختيار قصيدة للغناء مِنْ غير شعر إبراهيم عزت بعدما عرفته وتذوقتُ شِعْرَه!

لم أكن أعرفه شخصيًّا، وحتى وقت قريب لم أكن أعرفه، ولكنه كان يقول: ما لو كنت شاعرًا لقلتُه.

قلت له وأنا أقلِّب في مجموعة أناشيد أبي مازن:

– الحقيقة أن بعض القصائد التي غنيتها لإبراهيم عزت تعتبر علامات مميزة في مجموعة أناشيدك؛ فقصائد « **اليوم عيد** »، و« **ملحمة الدعوة** »، و« **حبيبتي بلادي** » مِنْ

شعر التفعيلة، واستطعت أنت باللحن المميز أن تجعلها سهلة التداول كأغنية، بل وتفجِّر طاقات الموسيقى الموجودة بها.

قال: الحقيقة كانت هناك مشكلة في هذه القصائد، وهي بعض المعاني التي تحتاج إلى شرح، فاجتهدت بعض الشيء في ترتيب الأبيات.

قلت له مبتسمًا: اجتهادك في بعض النصوص واضح، وليس هذا مع إبراهيم عزت فقط؛ فالكثير من الأناشيد مقتطفات من القصائد الكاملة، ولقد لاحظت أن توفيق الله كان معك في اختيارك.

قال: الحمد لله. ثم أكمل ...

- في « **ملحمة الدعوة** » و« **اليوم عيد** » احتجنا إلى مقدِّمة نثرية طويلة تشرح ملامح القصيدة، ثم كانت القصيدة كما جاءت في الديوان إلا سطرًا أو سطرين لأسباب فنية. وفي قصيدة « **حبيبتي بلادي** » جعلت بدلاً من المقدمة النثرية جزءًا من داخل القصيدة نفسها ...ويبدأ الإنشاد من بداية القصيدة كما جاءت في الديوان:

قلت له: أُلاحظ أنك كنت تغني لإبراهيم عزت بدون تغيير كبير.. فقط عناوين بعض القصائد؛ مثل « **ملحمة الدعوة** » اسمها في الديوان « **وبعد** »، وقصيدة « **سبحانك ربي** » التي يقول في مطلعها:

أُسَبِّحُ رَبِّي مِثْلَ الطُّيُورْ وَأَهْتِفُ بِاسْمِ إِلَهٍ كَبِيرْ
أَرَى كِبْرِيَاءً بِلَونِ السَّمَاءْ وَوَمْضِ النُّجُومِ وَبُعْدِ الْمَسِيرْ

اسمها في الديوان « **أُسَبِّح ربي** ».. وقصيدة « **ربَّاه** »

ببابك لن أغادِرَه ولن أسعى إلى غيرِك
سأنسجُ بالرِّضَا ثَوبي وَأَشْرُفُ أنني عندك

اسمها في الديوان « **ببابك** ».

وقصيدة « **إلى الرسول القدوة** » التي يقول في مطلعها:

أَسْـــفَرَ الفَجْـــرُ وَلاحَـــتْ مِـــنْ ثَنَايَـــاهُ البَـــشَائِر
وَأَتَينَـــا يـــا محمـــد وجَنَـــاحُ الـــشَّوقِ طَـــائِر

عنوانها في الديوان « **يا رسول الله جئنا** »

وقصيدة « **يا سيد الخلق** » وهي آخر ما غنيت في الشريط التاسع والأخير، ومطلعها:

يـا ربَّ أحمـدَ: جُـدْ بالمـدح متَّـصلا
لـسيدِ الخَلْـقِ.. كـي تـسمو قوافينَـا
يا أكـرمَ الرسـل وَجْـدٌ في القلـوب سَرَى
فاسترسـلَ الـشَّوقُ يَعْـصِرُنا ويَطْوِينَـا

اسمها في الديوان « **يوم الحبيب** ».

فهذه خمس قصائد غَيَّرْتَ عناوينها؛ أما البقية « **اليوم عيد** »، و« **الله أكبر** » و« **مصعب بن عمير** » و« **حبيبتي بلادي** » فعناوينها في الديوان كما هي.

ابتسم لي وقال: حتى الديوان الذي جاءني بصورة منه بعضُ الأخوة قد غيَّروا عنوانه مِنْ « **الله أكبر** » إلى « **حبيبتي بلادي** ».

قلت له: العمل جارٍ لإخراج الديوان في ثوب جيد قَشِيب، مع مقدمة عن حياته، وتعليق على مناسبات بعض قصائده [1].

قال لي: تصوَّر؛ أنا لا أعرف الكثير عن الشيخ إبراهيم عزت؛ متى ولد؟ أين كان يعيش؟ ماذا كان يعمل؟

قلت له وأنا أعطيه كتابًا صغيرًا: ستجد معلومات كافية في هذا الكتاب، وهو الكتاب الوحيد الذي خرج عنه، (**الشيخ إبراهيم عزت: حياته وشعره**).[2]

(1) وهذا الكتاب الذي بين يديك قارئي الكريم هو الوفاء بذلك الوعد.
(2) للدكتور حسن عبد السلام.

أخذ مني الكتاب مُمْتَنًّا، وبدأ يتصفحه في لَهْفَة، فابتسمت، وقلت له: أسرد لك الآن شيئًا من حياته كما عرفناها وعشناها معه، وَوَرَد بعضها في هذا الكتاب:

وبدأت أحكي له طرفًا من حياة الشيخ، التي كان يسمعها لأول مرة منذ مولده حتى صعدت روحه إلى بارئها، وله من العمر ثلاثة وأربعون عامًا، ومواراته الثرى في مكة المكرمة بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين في الحرم الشريف، مكفَّنًا في رداء إحرامه.

وقد استجاب الله دعاءه الذي كان يردده كثيرًا « **اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، وموتة في بلد حبيبك** ﷺ ».

رأيت دمعات تترقرق في عيني أبي مازن، وكأنها تعانق تلك الدموع التي سالت من عيني، وأنا أذكر ذلك الرجل الذي تعلَّمنا منه كيف يطابق قولُ الرجلِ فِعْلَه.

قال أبو مازن بصوت متهدِّج: رحمه الله ... كم أحببت شعره، والآن أحببت سيرته وشخصه حقًّا؛ إن هذا الشعر لا يخرج إلا مِنْ رجل عاشه حقَّ المعيشة.

وأردت أن أعود بالحديث إلى بعض أفراحه، فقلت له محاولا الابتسام:

– وديوان الشيخ إبراهيم عزت يحوي ثمانية وعشرين قصيدة، وقد أنشدتَ له تسع قصائد في شرائطك التسعة، ووعدت بإنشاد الديوان كله[1].

ابتسم وقال: أَضِفْ ثلاث قصائد في الشريط الجديد، وأسأل الله أن يوفقني لإتمام الباقي.

ثم قال لي مداعبًا: قلت لك: إن عندي عقدة إبراهيم عزت، فلا أستطيع الإنشاد لأحد غيره، بعد أن قرأت شعره.

---

(1) كان من تخطيطي لهذا الكتاب أن أضع نصوص القصائد كما غناها (أبو مازن) ليسهل مقارنتها بالقصائد الأصلية في الديوان ولنرى مدى تصرف أبو مازن فيها إلا أنني رأيت أن موقعها هو كتاب (أبو مازن – صوت الصحوة) فراجعها هناك في طبعته الجديدة..

قلت له: إن شاء الله نجد الكثير من القصائد التي تـشدك لإنـشادها أو تلحينهـا؛ ليعود إلينا أبو مازن منشدًا وملحِّنًا، أو حتى يختار الكلمات ليظل العطاء الذي جعلـك بحقٍّ منشدَ الصحوةِ الإسلامية، وحادي قافلتها منذ بدأت حتى اليوم إن شاء الله.

ابتسم وقال: هل انتهتِ الحوارات؟

قلت له وأنا أصافحه: ولن تنتهي اللقاءات، ولن ينتهي العطـاء، وأنـا في انتظـار الشريط العاشر الذي انتظرناه خمسة وعشرين عامًا [1].

القاهرة – أغسطس 2005 م

* * *

(1) صـدر الـشريط العـاشر عـام 2004 بإنـشاد أبي مـازن وتلحينـه محتويًـا خمـس قـصائد منهـا قـصيدة: (**صغيرتي**) و(**أزفت**) للشيخ إبراهيم عزت، حيث غنى القصيدتين كاملتين ولم يغير في بنـائهما شـيئًا ولم يحذف أي شيء.

الفصل الثالث

ديوان

الله أكبر

شعر

إبراهيم عزت سليمان

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

* * *

الإهداء

إلى أمي وأبي وإخوتي

إلى الذين عاشوا آلامًا من أجلنا في فترة

عصيبة نحتسبها جميعًا عند الله

إلى من سبقونا إلى الجنة.. وإلى من ينتظر

إلى من تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم

أهدي هذه الكلمات

إبراهيم عزت سليمان

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾
وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

[الكافرون].

* * *

الله أكبر

قصيدة مفعمة بالثقة بالله تبارك وتعالى، يحرك الشيخ فيها الهمم، ويستفز العزائم، وينبه إلى المسؤولية العقيدية والحضارية التي يلتزم بها هو وكل مسلم، يرفع فيها راية: الله أكبر؛ توحيدًا، وعزة، وإحساسًا بأمانة الاستخلاف، وحفزًا لهمم أبناء الأمة، وكأنه يذكر فيه بالصلاة، والجهاد، والاعتصام بالواحد الأحد، ويعلن لكل متكبر أنه لا يهابه؛ لأن (الله أكبر)! أنشدها أبو مازن في إيقاع سريع مليء بالحماسة والقوة [1].

الله أكـــــبرُ: بـــــسم الله مُجـــــــريها
الله أكـــــبر.. بالتقـــــــوى سنُرســـــيها
الله أكـــــبر.. قولوهـــا بـــلا وجـــلٍ
وحققـــوا القلـــبَ مـــن معـــزى معانيهـــا
بهـــا ســـتعلو عـــلى أفـــق الزمـــان لنـــا
رايـــاتُ عـــزٍّ.. نـــسينا كيـــف نفـــديها
بهـــــا سُـــــتبْعَثُ أمجـــــادٌ مبعثـــرةٌ
في التيـــهِ.. حتـــى يـــردَّ الركـــبَ حاديهـــا
الله أكـــبر.. مـــا أحـــلى النـــداءَ بهـــا
كأنـــــه الـــــرِّيُّ.. في الأرواح يحييهـــــا
كأنـــه النـــورُ في الـــدنيا يلألئهـــا
فيـــشرقُ الكـــونُ مـــن أنـــوار باريهـــا
كأنـــه دوحـــةٌ يُطـــوى الهجـــيرُ بهـــا
وهـــا هـــو الظـــل.. آيـــاتٌ يُجَلِّـــيها
كأنـــه القـــصدُ أدركنـــا معالِمـــه

(1) التعليق على القصيدة و مقدمات القصائد التالية كلها، للأستاذ عبد السلام البسيوني.

بعـــد الـــذي كـــان لا تُحكـــى مـــساويها
الله أكـــبر.. كـــم عـــادٍ يعانـــدها
يفنـــى؛ وتبقـــى عـــلى الأفـــواه تنـــزيها
وكـــم حـــسودٍ أتـــى بـــالوهم يهـــدمها
دُكَّـــت معالمـــه.. والحـــق مُبقيـــها
وكـــم خـــؤونٍ يظـــن الـــبطشَ يقهرهـــا
يـــا ســـوءَ مـــا ظـــن حُـــسبانًا وتـــشويها
وكـــم غَـــرورٍ أراد العـــز في نـــسب
أوصـــالُه قُطِّعـــت زورًا وتمويـــها
الله أكـــبر.. أهـــلُ الكفـــر تعرفهـــا
يـــدرون أسرارهـــا.. هـــلاّ ســـندريها
هـــذى جـــراحٌ تبـــدّت لا دواء لهـــا
إلا عـــزائمُ.. كالأقـــدار تَبريهـــا
هـــذى ســـهامٌ تـــرومُ النيـــلَ مـــن كبـــدٍ
آهاتُـــه عزفـــت ألحـــان شـــاكيها
والخـــطبُ أكـــبر مِـــنْ لهـــوٍ نُقارفـــه
والأمـــرُ أكـــبر مـــن دعـــوى نناديهـــا
جِـــدُّوا لأقـــدارها؛ فـــالهزلُ مقـــبرةٌ
بهـــا ســـندفن أحـــياءً ونبكيهـــا
أنـــتم وقـــودٌ لحـــرب ضـــلّ صـــانعها
يُجَمِّـــع الكيـــدَ كـــي يطـــوي غوافيهـــا
أبناؤنـــا طُعمـــة لليـــأس نُـــسْلمهم
ضـــلت معـــالمهم؛ مـــن ذا ســـيجلوها؟

مـــاذا نقـــول لـــربي حـــين يـــسألُنا

عـــن الـــشريعة لم نحمـــي [1]معاليـــها؟

ومـــن يجيـــب إذا قـــال الحبيـــب لنـــا

أذهبتمـــــو ســـــنتي.. والله محيـــــيها؟

إن لم نردهـــــا لـــــدين الله عاصـــــفةً

ســـيَذهب العـــرضُ بعـــدَ الأرض نعطيهـــا

ســـيذهب الـــدين والـــدنيا بـــلا ثمـــن

إن لم نقـــــدم دمانـــــا.. كـــــي نزكيهـــــا

إنَّـــــا عـــــلى عهـــــدنا لله.. نحفظـــــه

حتـــــى نقـــــدم أرواحًـــــا.. ونَـــــشريها

طابـــت نفـــوسٌ تـــروم البـــذل في ثقـــة

مـــن العطـــاء.. لـــربٍّ ســـوف يرضـــيها

لله عـــــزٌّ.. لـــــه ســـــترٌ سيحفـــــظنا

مـــــن كـــــل غـــــائلةٍ تبـــــدو عواديهـــــا

وللرســـول سبـــيلٌ.. لا هـــوان بـــه

فيـــــه المكـــــارم.. للأحبـــــاب يُهـــــديها

لقـــد أتـــى أمـــر ربي.. لا مـــردّ لـــه

إني سأقـــــهر أعـــــدائي.. وأُفنيهـــــا

***

(1) الضرورة الشعرية اضطرت الشاعر ألا يحذف حرف العلة لإقامة الوزن ، وصحتها (لم نحمِ)، ويرى د.حسن عبد السلام أن تكون (لم نحفظ) الكتاب ص88.

أمـــي

نونية مليئة بالوجع والتجلد والبر، يُطمئْن فيها والدته على حاله ، ويستهين آخر الأمر بسجنه وأغلاله، ويرى ذلك كله هينًا في جنب الله، ويسألها الدعاء بجوف الليل؛ عسى الله تعالى أن يكشف عن المسلمين البلاء، ويؤكد لها أنه عائد إلى الدعوة – ساحته التي هو فارسها – معتزًّا بإيمانه، مواصلاً ما بدأه؛ لا يثنيه الكيد، ولا التربص والإرصاد، ويذكرنا بـ " أَحد، أحد " مقولة بلال رضي الله عنه حين كان تحت سياط الظلمة، ويكرر لبيك، كأنه يَعجَل إلى الله تعالى، على بينة من ربه ويقين:

مـــــاذا أقـــــول شـــــريكةَ الأحـــــزانِ؟
جـــــودي بفـــــيض العفـــــو والغفـــــرانِ
الـــــشدو آهـــــاتٌ.. وعـــــذبُ معـــــانِ
وُلِـــــدَت بـــــرغم القيـــــدِ والـــــسجانِ
في غرفـــــــة مـــــــصفودة الجـــــــدرانِ
تربـــــو بـــــساحتها رؤىً ومعـــــانِ
عـــــذرًا عـــــلى الـــــدمع الحبيـــــب ذرفتُـــــه
فأضـــــاء منـــــه قـــــصائدي وبيـــــاني
فلكـــــم بكَـــــت مـــــن أجلِـــــه أغلالُنـــــا
ولكـــــم نمَـــــت في ظـــــله أشـــــجاني
يـــــا واحـــــة العمـــــر الغريـــــب تـــــضمُّني
وبهـــــا أطـــــالع في الهـــــجير أمـــــاني
في ظلهـــــا أشـــــكو فـــــراغ شـــــباكِه
وأبـــــوح بالمكنـــــون في خفقـــــانِ
يـــــا مـــــن بهـــــا فرْحـــــي غـــــدا أنـــــشودةً
ولهـــــا تُجـــــدَّدُ بـــــسمة وأغـــــانِ
وحنانهـــــا دفءٌ يهدهـــــدُ غربتـــــي
ويـــــدٌ تُكَفْكِـــــفُ وحـــــشةَ الأَحـــــزانِ

إني بخيـــــر يـــــا حبيـــــبةُ فاســـــلمي
عـــــينُ الإلـــــهِ تحـــــوطني.. ترعـــــاني
وبذكر من يهب السلامة للورى
أســـــعى إلى الحـــــصن الـــــذي آواني
علمتِنـــــي التوحيـــــدَ في لحـــــن الـــــصبا
ردّدتِـــــه عذبًـــــا سَرى بِجَنـــــاني
والآن جـــــاء الوقـــــت حتـــــى نجتـــــبي
صـــــبرًا.. لنبلـــــغ آيـــــةَ الإحـــــسانِ
اللحـــــنُ نـــــبضٌ في الفـــــؤاد حفِظتُـــــه
وســـــمعتُه في كربتـــــي.. أشـــــجاني
يـــــا نفـــــسُ : كفـــــي عـــــن ســـــواه لتلزمـــــي
أدبَ المقـــــام بـــــساحة الإيـــــمانِ
إني بخـــــير يـــــا حبيبـــــةُ.. فاهـــــدئي
أشـــــكو إليـــــهِ نبـــــرةَ الكتـــــمانِ
وغـــــدًا نجلجـــــل بالحيـــــاة بمرفئـــــي
ونُـــــرَدُّ في ثـــــوبِ كـــــريم هـــــاني
ولـــــسوف يـــــأذن - إن أراد - بعـــــودتي
وتجـــــود كـــــفُّ اليـــــسر للظمـــــآنِ
فـــــأرُدُّ بـــــسمَتك التـــــي مـــــن بـــــسمتي
وأبَـــــرُّ نبـــــعَ الخـــــير بالعرفـــــانِ
لنـــــصوغ في عـــــين الـــــضياء حياتَنـــــا
بالأمـــــن.. والتوحيـــــد للـــــديانِ
وبفرحـــــة اللقـــــيا نجفـــــف دمعَنـــــا
طيبًـــــا يفـــــوح بزهرنـــــا النـــــشوانِ
ولـــــسوف تـــــشرق شمـــــسُنا فـــــوق الربـــــا
أقـــــوى مـــــن التكـــــذيب والنكـــــرانِ
وبكـــــل دارٍ نلتـــــقي بمُرَحِّـــــبٍ
يُهـــــدي المـــــودةَ.. زاخـــــرِ الوجـــــدانِ

لا تحـــــزني ممـــا يقـــال عـــن الجـــرا
ح (1) ومـــا يقـــال عـــن الـــذي أضـــناني
فـــالجرح يـــبرأ بالمـــساء.. وبالـــصبا
ح لنـــا مـــن الرحمـــن خَلْـــقٌ ثـــانِ
لا تفزعـــي إن رق ثـــوبي في الـــشتا
ءِ.. مـــع الأســـى ونحولـــةِ الأبـــدانِ
فالقلـــب يدفئـــه إلى الله انـــتما
ء.. منـــه تـــذكو جَـــذوةُ الإيـــمانِ
لا تحـــزني إن كـــان زادي معـــدَمًا
فـــالجوع يقهـــر ســـطوة الـــشيطانِ
والـــزاد مـــا نلقـــاه في يـــوم الزحـــا
م غـــداةَ تُزْلَـــفُ جنـــةُ الرضـــوانِ
فِـــرِّي إلى المحـــرابِ بثـــي شَـــكْوَنَا
لله.. في ثقـــةٍ.. وفي إذعـــانِ
صـــوغي الـــدعاءَ مـــدامعًا ومـــدامعًا
تهفـــو إلى غيـــثٍ قريـــبِ دانِ
قـــولي لـــه: ولـــدي لـــديك وديعـــةٌ
نُـــذِرَتْ لتحمـــل رايـــة القـــرآنِ
ذو النـــون في بطـــن الظـــلام حفظتَـــهُ
ســـبحانك اللهـــم، ذا الإحـــسانِ
وحميـــتَ موســـى حـــين أُلقـــيَ عـــاجزًا
في الـــيمِّ يحمـــل آيـــة الـــرحمنِ (2)

---

(1) كنت أرى أن تبقي الكلمة كاملة كما كتبها الشاعر في الديوان ولكن الشاعر عبد الله رمضان أصر على ضبط البحر هكذا.. ووافقه عليه الأستاذ عبد السلام، فلم أجد بداً من موافقتهما.

(2) أشار بعض الدارسين إلى اقتياس الشاعر هذين البيتين من نونية القرضاوي .. وبعض المعاني من (رسالة في ليلة التنفيذ لهاشم الرفاعي) مثل قوله في البيت الثالث (في غرفة مصفودة الجدران) ولكن لا أظن ذلك، وهذا غير بعيد لأن الرفاعي والقرضاوي كتبا عمليهما في الخمسينيات، أي قبل هذه القصيدة بعشر سنين، وانتشرت القصيدتان في الإسلاميين . والموضوع يحتاج إلى تحقيق.

كـــــفٌّ العـــــدو تحـــــار في إشـــــراقه

والله يحفظـــــــه ببـــــــعض حنـــــــانِ

لا الكيـــــدُ يجـــــدي لا ولا جنـــــدُ الـــــذي

تغتـــــــال سطوتـــــــه ذُرا الطـــــــوفانِ

ســـــأعود موفـــــورَ الـــــنماء لـــــساحتي

أزهـــــو بعـــــز الواحـــــد الـــــديانِ

وأَتـــــم إن شـــــاء الإلـــــهُ رســـــالتي

حتـــــى أنـــــال شفـــــاعةَ العـــــدناني (1)

أدعـــــو الحيـــــارى المتعَبـــــين لـــــربهم

للواحـــــد القـــــهار.. للمـــــنانِ

يهـــــب الحيـــــاة لمـــــن أراد حياتـــــه

ســـــعيًا لنـــــورِ الله بالإيـــــمانِ

شـــــهدت بوحدتـــــه الـــــسماءُ ونجمُهـــــا

والـــــشمس تجـــــري في حُـــــلى الألـــــوانِ

والبـــــدر ينـــــشر في الظـــــلام ضـــــياءه

هـــــبةً تُزيِّـــــن غُـــــرةَ الأكـــــوانِ

والـــــريح تـــــذكرُه ومُـــــزْنُ ســـــحائبٍ

والطـــــيرُ ســـــبَّحَهُ عـــــلى الأغـــــصانِ (2)

---

(1) كان البيت وأتم إن شاء الله رسالتي.. وبين د. حسن عبد السلام والبسيوني أنه مكسور.. وصحته استبدال لفظ الجلالة (الله) بلفظ (الإله) ليستقيم الوزن وهذا ما أثبته هنا. وكذا العدناني بإثبات ياء النسبة.

(2) كان البيت (وريح تذكره..) والبيت مكسور كما بين د. حسن، وصحته (والريح..).

والغيـــــثُ.. تـــــصنعه يـــــدٌ قدســـــيةٌ

والحـــبُّ ذو عـــصفٍ مـــع الريحـــانِ [1]

في خـــــضرة الأشـــــجار في أثمارهـــــا

في البحـــــر والأمـــــواج والحيتـــــانِ

أَحَـــــدٌ، أرددهـــــا فيـــــسري نورهـــــا

رُوحًـــــا تحـــــرك مـــــوتة الأكفـــــانِ

قـــــدرٌ يحـــــرِّر عبـــــدَها وأسيـــــرَها

قـــــبسٌ يكـــــرِّم غـــــايةَ الإنـــــسانِ

لبيـــــك.. حتـــــى تـــــستجيب دعاءنـــــا

لبيـــــك.. في جـــــدب وفي إحـــــسانِ

لبيـــــك في نـــــبض القلـــــوب حـــــلاوةً

تهـــــب الخلـــــودَ إلى الـــــترابِ الفـــــاني

شـــــوقًا بهـــــا نطـــــوي الحيـــــاة وركبَهـــــا

نـــــستعجل اللقيـــــا مـــــع الرضـــــوانِ

لبيـــــك فاكـــــشف كربـــــة قـــــد أطبقـــــت

فالـــــشيبُ يعلـــــو هامـــــةَ الولـــــدانِ

والخطـــــب لا يجلـــــوه ركـــــبٌ عـــــاجزٌ

تعنـــــو الجبـــــاهُ بـــــهِ إلى الأوثـــــانِ

فَـــــأْذَنْ ببعـــــثٍ مثـــــلِ بعـــــثِ المـــــصطفى

عـــــذبِ المـــــواردِ راســـــخِ الأركـــــانِ

---

(1) قال د. حسن عبد السلام : أخطأ بإضافة (ذو) إلى (ريحان) لأن المعنى على هذا الوضع يكون وصفًا للحب بأنه ذو عصف وذو ريحان. ويبدو أنه حقق للبيت سلامة الوزن في غفلة عن صحة المعنى، ولم يتذكر أن الآية القرآنية التي اقتبس منها هذا التعبير، لم تفد أن الحب ذو ريحان، فلفظ (الريحان) في الآية الكريمة ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ [الرحمن:12]، جاء مرفوعاً ولم يأت مجروءًا. الكتاب ص89، وصححته بوضع مع بدلاً من ذو.

حبًّـــا أتينـــا خاشـــعين.. وسُـــجَّدًا
للهِ.. نـرجـــــو رحمـــــةَ الـــــرحمنِ
حبًّـــا نريـــدُ العفـــوَ مِـــنْ آلائـــهِ
يـــا طيـــبَ مـــا تعطـــي يـــدُ الغفـــرانِ

* * *

أبـــي

لحظة بوح نبيلة، يناجي فيها أباه – معلمه الأول – الذي سقاه العزة، وعلمـه الاعتـصام بالله، ولقَّنه قيم الرجولة، وغرس في أحنائه أن يستعد لدفع الثمن، وفيها يبث مـا يلاقـي مـن قساوة السجن، ونذالة السجان، ويطمئنه أنه على الطريق سائر، بل إنه مستعد أن يدفع الثمن.

ويتمنى عليه أن يواصل أسماره، ناثرًا في النفوس حديث الكبرياء:

كل الذي قد خفتَ أن أراه يا أبي
رأيتُـه.. رأيتُه
النظرةُ المعقوفةُ الشعاعِ تقتل الأمانَ في العيونْ
واللفظةُ المعذَّبة
تمـزق الأستارَ في مُـجون
والصرخةُ المروِّعة
في الغرفة المفزِّعة
معزوفةُ الجِـنَّانِ في حدائق الجنون [1].

***

فلتوقد النيران
وليسقط الإنسانُ بين شقَّي الرحى
كي تنـتهي معالـمُه
وليرقصِ الشيطانُ في أيامِه الحمراءْ
يـأيها الطيورُ: لا غِناء
فمن له تغـــردين قد قُتل
ولتقبلِ الزهورُ عذرَنا
فعرسُنا.. من قبل بَدئِه انتهى

(1) (الجنان: الجن، فصيحة) .

والصاحبُ الحبيب دون موعدٍ رحلْ

***

كُلُّ الذي قد خفتَ أن أراه يا أبي رأيته
رأيتُـهُ
أطعمتَني الحنان... والزمان
بلا حنان
سقيتنى الأمانَ من يديكْ
وطائرُ الأمانِ قد مضى بلا وداع
لما بدَت في أفْـقِـنا منائحُ الغربان
أردْتَـني والكبرياءُ شامتي
وللسماء هامتي
زمانيَ العجوزُ أحدبٌ يغار[1]
من هامتي التي تعانق الضياءْ

***

لِمْ يا أبي تلومني؟!
أنت الذي علمتني
أبي..
الدار ليست دارَنا
ليست بدار الآمنينْ
ليست بدار الوادعين

(1) كانت وزماننا: قال الشاعر عبد الله رمضان إن زماننا تخرج الأبيات من بحر الرجز إلى بحر الكامل والصح.. زمني.. وغيرها عبد السلام إلى زماني.

لم أقمت يا أبي بدارهم[1]
لم ارتضيتَ أن نعيش بينهم؟!
بين الذين يُضمرون سؤنا[2]
بين الذين يكرهون حبنا

***

قد جاءنا أبي وقتُ الحصاد
فلنجتنِ الحصاد
بكبرياءْ
ولتقبل العزاء
بلا دموع
فالحاسدون في انتظار دمعِـنا
كي يضحكوا من جُرحِـنا
غدا تُردُّ دارُنا
لنا..
لكم..
لإخوتي..
لكل من أحببتـهم
فلتسقهم يداك ما سقيتـني
وإن أتى المساء
وقد رأيتَ شوقهم[3]
يطل من عيونهم

(1) قال أعضاء الفريق أن هذا الشطر مكسور الوزن ولكن لم يقدم أحد اقتراحًا مقبول فتركتها كما هي.
(2) سؤنا فتعطي موسيقى مع الشطر التالي.. وأراد عبد الله رمضان تغييرها إلى السوء.. لتصحيح الكسر.
(3) كان البيتان سطرًا واحدًا (وإن أتى المساء، رأيت شوقهم) فقسمه رمضان هكذا، وأضاف (قد) ليستقيم الوزن.

فتلك رغبةٌ يصونها الحياء
في أن تتم يا معلمي..
حديث كبرياء

***

صغـيرتي

من روائعه التي يخاطب فيها أخته الصغيرة منى، في رمزية واضحة، يؤكـد بهـا أن جـرأة الجبناء على الحق إنما تأتت لكونه أعزل، وأن الدموع النبيلة لا تنم عن عجز، إنـما هـي آهـات القهر والتألم من أجل الخير والنقاء، ولن يجففها إلا إشراقة الصباح، وانبلاجة الحق:

لا تعجبي صغـيرتي
إذا رأيتِ دمعتي
فلستُ فارسًا تعـوّدَ الخطر
ولستُ مالكًا ذراع ماردٍ
تُفتـت الحجر
ولست عالـمًا بالغيبِ
كي أدافع الشرورَ بالحذر
أنا صغيرتي بشر
ودمعـتي قريبة من الأسى
يُذيبـني الألم
يُصيبني الجنونُ حيث يُصنعُ العدم
تُـشَلُّ نظرتي
إذا رمتها نظرةُ الخداعِ بالنِّـقم
يُصيبني الضنى
والعجزُ.. والسأم

***

لا تغضبي صغيرتي
فالنظرة التي رأيتِها مضيئةً
تصافحُ الحياة

واللفظةُ التي سمعتِـها
رنانةَ الصدى
تحرك الصدورَ والشفاه
والبسمةُ التي أهديتُـها إليك
كي تصافحي ملامحَ الإنسان حيث كان
كل الذي رأيتِـهِ
ما كنت فيه كاذبًا صغيرتي ولن أكون
لكنّ ما رأيتِـه هو الشذى
يفوح من حديقة الزهور في مواسم الربيع
هو الحياةُ في ظلال رايةٍ بيضاء
نسيجُها الضياء
وطائرُ الأمان حولَها يرتل الغناء
وخضرةُ الزيتون شارةٌ على الصدور
تزرع الطريقَ بالنماء

***

كي تفهمي صغيرتي:
هل تذكرين
حديقة التمساح والأسد؟
تلك التي ركبتِ فيها ذلك الجمل
« يمضي بنشوتِك الحبيبة ناعمًا
وهو السعيد بما حمل [1] »
هل تذكرين صاحبَ العرين
ذاك الذي تزيد عنده الخُطى

(1) القصيدة على بحر الرجز ، وخرج هذان السطران إلى بحر الكامل. رمضان.

ذاك الذي لا تَـجْسُر الوحوش أن تنال ساحتَهْ
قد نِلْتِهِ صغيرتي
قذفتِ من يديك ما أصاب هامتَـهْ
العيب يا صغيرتي في قسوة الأغلال
لا عيبَ في الرجال
العيب فيمن يعشق انحناءةَ الرجالْ

***

لا تحزني صغيرتي إذا رأيت دمعتي
فتلك قطرةٌ من الندى
تجفُّ في الصباح.. إن بدا

* * *

زيـارة

خطاب لأمه وأبيه ومنى الصغيرة – التي تعلق بها قلبـه – مفعـم بالثقـة، والأمـل في الله تبارك وتعالى، فيه يرتدي الرضا بأقدار الله سربالاً وجُنةً يقـاوم بهـا وحـدة الـسجن، وقـسوة السجَّان، وشدة الاشتياق للصغيرة التي يعدها بهدايا من الحكايا التي تصنع وجـدانها، يقـاوم الحياة القاحلة التي تخلو من الحب، ويناهض الأحقاد التي يغذوها الظلام مـن زاده المـسموم، ويعلن بجلاء أن الموت أحب إليه من انحناءة – ولو خفيفة – لغـير الواحـد القهـار، ويؤكـد واثقًا أنه عائد، وأن العاقبة للمتقين.

وتَحفل القصيدة بجملة من التعابير البليغة، التي يحتاجها معجـم صـور وأخيلـة بعـض الشعراء الإسلاميين، الذين أدمنوا التكرار في طرحهم البلاغي، وهي بـذلك تكـون رائـدة في طرحها شكلاً ومضمونًا، مع شحنها بالرمز القريب، الذي يغمز الدكتاتوريـة والاسـتبداد في جهة، وروح التحدي والوضوح الهدف من جهة أخرى:

على مشارفٍ تظل ألفَ يوم
ونحن نرتدي الرضا
ونصنع ابتسامَنا من ذكرهِ
ونرقُب الحياةَ من بعيدٍ..
في جزيرةٍ ببحرهِ
تفتحت قلوبُـنا على نوافذ الخـلودْ
تنفست زَفْرَاتُنَا في واحةِ السجود
الكفُّ حينما يصيبُـها الضنى
تمد بالرحيق
حين تعصِر اليدان صرخةً على القيود
والعينُ حينما يشدها الشرودْ
تردها عينان
عائدتان من حدائق الصمود

والقلب حينما يزوره الأسى
تضمه في بُردة الأمان بسمةُ الشهيد
الصبر يعرف الجميع
رافق الخطى على الطريق
والحقُّ بيننا
وصية الصديق للصديق

***

على مشارفٍ تظل ألف يوم
نجمع الغنائم المهداةَ من مليكنا
أمدَّنا بحبهِ
فهان خطبُـنا
أمدنا بروحهِ
فلم تزل مضيئةً قلوبُـنا
أمدنا بزادنا
ورغم وحشةِ السفر
فإننا براحةٍ ودودةٍ نصافحُ القدر [1]

***

وفجأة تردَّد النداء
من خارج الأسوار جاء حائرًا
وإنني لأعرفُه
أتى يطوف حولنا
أصابه الوهن

(1) لفظة: ودودة غير فصيحة، لأنها مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، فيقال رجل ودود وامرأة ودود ، ويمكـن أن نضع مكانها: علوية – عبد السلام.

كأنه يقول آخر الكِلْمَات
كأن من يدعوه مات
وفي ملامح الوجوه نظرةٌ تقول
بأنه من قد مضى لساحة الجحيم [1]
لا يعودْ
وأن بطنَ الحوت لا ترد غائبا

***

أمي.. أبي.. صغيرتي
شربتمو من كأسنا
وغيرت وجوهَكم ملامحُ السنين
الليل ألفَ ليلٍ عشتموه مثلَنا
نهـارُكم معـذَّبٌ لأجلنا
أماه جففي الدموعَ.. إننا بخير
وسوف تهدأ الرياحُ كلُّها
وتشرق الحقولُ بالثمر
وسوف يضحك الصباح صافيًا
لمن ظفر
وسوف يأكلُ النسيانُ قصةَ العذاب كلَّها
وكلُّ ما مضى ودائعٌ لديه
وحسبنا بأننا نمد كفَّـنا إليه
غدا ستنتهي الخطى ببابه
ويشتكي المعذَّب الحزينُ ما به

***

(1) كانت (بأنه من مضى لساحة الجحيم) وعدلها الشاعر عبد الله رمضان هكذا.

أبي..
وأنت تعشق الرجالَ..
قد غدوتُ مثلهم
أحب أولَ الصفوفْ
نستكشف البحار والجبال والكهوف
ونشعل الضياء في الحروف
هنا نصافح الخلود
ونمسك السحاب
ونلمح الذي يكون في القمم
ونفتديكمو أحبتي
نساءَنا ... أطفالنا
غدا سينشر السلامُ فوقَكم جناحَـهُ
ويهدأ الأمانُ
حينما يُزوركم [1] صباحه
دماؤنا بنورها ستخنق الظلام
طوفانُ دمعنا سيغسل الأحقاد
كي تهدأ النفوسُ عندما تنام
جراحُنا حكايةٌ معذبة
بحمرةِ الدماءِ مُشْـرَبة
حزينةٌ وصارمة
ورغم زفرةِ الأنين عارمة
وصوتها يرجِّع الصدى
لكل قلب

***

(1) أفضل للسياق والقافية أن تكون (يزيركم) بدلاً من يزوركم. عبد السلام

ما أسوأ الحياةَ يا أحبتي
بغير حب
ما أسوأ الأحقادَ
حينما تُـزَفُّ للظلام
العرسُ مأتم
والبسمة الودودة العطاءِ تحرم
ذرية خبيثة الأنسابِ
تَـطعَمُ القذى
وتشتهي الخراب
جراحُنا شواهدٌ على قوائم القبور
وصرخةٌ تمور في الصدور
لعلنا نفيق
لنطلقِ الخطى على الطريق
أقولُها.. وأعرف الثمن
فلنرتدِ الكفن
فالموت في رحاب طاعته
أحبُّ يا أحبتي
من انحناءةٍ خفيفة بغير ساحته
وأنت يا منى.. يا أعذب المنى
وأنت تسألينني
لِمَا مضيت؟
لِمَا تركت بيتنا برغم أنني أحبُّـهُ [1]
ناديتِـني صغيرتي

(1) اختلف فريقنا بين من يثبت الألف للضرورة الشعرية ومن يرى حذفها في (لما)؛ فأثبتها كما أثبتها الشاعر.

وما أجبتْ
لأنني أردتُ أن تصافحي الحياة
حرةً ومشرقة
مضيتُ يا صغيرتي.. مضيت
لنفتدي بأجمل الأيام في أعمارنا
حياتَكم
لتحتمي بنبضة العروق في دمائنا
زروعُكم
لنطفئ الحريقَ شبَّ عاصفًا
وحام يا صغيرتي بدارِكم
مضيت هاربًا من القيود
كيلا نساق كلُّنا
في موكب العبيد
لا زلتِ[1] تذكرينني؟!
ولم تزل وَرودَةً ملامحُك؟!
أما أنا...
فلم تزل ببسمتي بقيةٌ
أزفُها لبسمتك
وحينما نُـرد يا صغيرتي لدارنا
وتسألين عن هديتك
ستسمعين يا أميرتي
حكايةَ « الشَّاطِرْ حَسَنْ »

(1) استعمال (لا زلت) غير قياسي، لأنها تستخدم للدعاء، لا للتفرير، فيقـال: لا زلـتَ في خـير، ولا زال الله رحيمًا بك.عبد السلام.

مضى ليقهرَ الغيلانَ في المدينة الخضراء
وحينما التقى بالأعرج الحقود هدَّهُ
بطعنةٍ من خنجره
واستخلص الحسناء
روَى حقولَ قمحِنا بدمعِه
وجاد بالدماء
ستعرفين قصةَ الحمامةِ البيضاء!
وقصةَ الطيور والغناء
وقصة الغرابِ والخرابِ..
والأسودِ والذئابِ والكلاب
لسوف تعرفين أن إسمك الحبيب
بسمةٌ في ألف قلبْ
يا بسمةً تُـحَب

***

سنلتقي بإذنهِ
في دارنا.. في كل دار
وسوف يقهر الضنى
في جوفِ ليلٍ أو نهار
ونحن نرتدي الرضا
ونصنع ابتسامَنا من ذكره
ونرقب الحياةَ من بعيد!

سنة شعبان عجلان رمضان محرم

* * *

فلنطلق ابتسامنا[1] في ليلة العزاء

بداية من العنوان نلمح التناقض الحاد، والسخرية التي تقطر مرارة، فالابتسامة في ليلة العزاء أمر غير وارد؛ وإلا كانت الجنازة – كما يقال – (حارّة، والميت كلب) أو من خلال روح استعلاء خاصة، تملأ جوانح المبتسم، الذي هو على بينة من ربه، وعلى ثقة من النصر الآتي، والذي يريد أن يعيد رسم واقعٍ أكثر إنسانية ونبلاً وعدلاً!

إنه يسخر من تفاهة الحاكم الفرد، والقيود الغبية، والسجان الأبله، ومن الظن بأن ذلك مقلل من ثقته بالنصر وبالناصر، وبحسن العاقبة وبالقادر، فإذا كان الله العظيم حسبه فماذا تضيره القيود والحائط الصفيق؟!

الباب مغلقٌ وقاتمُ
وذا الجدارُ أبكمٌ وصارمُ
يصبُّ فوقنا من قسوة الصخورِ
غلظةً مجنونةَ السماتْ
عمياءَ لا ترى
كأنها مُـعَدةٌ لرقدة الأموات
ولستَ تدرك السماء
طولَها وعرضها
ونجمَـها الذي يمد بسمةً من الضياء
هديةً للأصدقاء
وبدرَها الذي يطوف ليلَه
في موكب الأنوار
لعله يبددُ الظلام [2]

---

(1) للأسف توقف الأستاذ عبد السلام عن التقديم من هنا رغم تقدياته الجميلة.

(2) (كانت: لعله يريد أن يبدد الظلام) وواضح كسر البيت.

لكنني أقول للذي أضاءَ كونَـهُ
بأن في ديارنا عوالمًـا كثيرةً لا تعرفه
ولا تُرى بحيِّها ملامحُـه
فبينها وبينه الجدران
صماءَ ليسَ تعرفُ الكلام
إلا إذا هَذى مقدِّسًا ومادحًا
خرساءَ لا تجيد لفظةً من أعذب الحديث
غيرَ أحرفٍ ثلاثةٍ
تقولها، لكل شيء
أنا.. أنا
الخيرُ كله أنا
والعدل كله أنا
وبيننا وبينه نوافذٌ
تزاحمت بضيقِـها القضبان
وخلفَها بلاهةُ السجانْ
واحدٌ.. ثلاثةٌ.. وألف[1]
لا.. فالكل قد غدا يساند البهتان!
وفوق أرض غرفتي تكدست أجسادُنا
تراكمت إلى جوارِهَا فَضْلاتُنـَا
وكلُّ ساعةٍ تمرُّ..
تملأ المكانَ بالعفن
يا من يمر عندنا بسمعِه
تصدقوا لنا بخرقة بيضاء

(1) أضاف الشاعر (بل ألفان) فرأى الفريق أنها ركيكة فحذفها.

نُـعدها كفنْ

– هناك..

– من هنا؟

القائد العظيم حوله بطانتُـهُ؟!

لا ترهبوا عيونَـهُ

رغم كونِها تمور بالشرر

ولا تصدقوا حديثَـهُ عن أنه انتصر

فالغيب في أحشائه يكنز المعاني [1]

ويَحْمِلُ العزاء للجميعْ

للشيخ فى انحنائـِه

وللرضيع

وللتي يذوب قلبُها لِحـبِّـها الصريع

***

واليوم إننى أدعوكمو إلى زيارة لنا

في سجننا

لا تفزعوا؛ فلن تقيموا بيننا

فأقبلوا في أول النهارْ

وودعوا في آخر النهار

وبعدها تَقَـرُّ هذه العيونُ بانتصار:

وُضوؤها انتصار

صلاتُها انتصار

الله ربُها.. مليكُها

والعزةُ الشعار

(1) (كانت: **فالغيب قد يُحْمَلُ بالتأويل**، وهي ركيكة، ومكسورة) عبد السلام.

نعم هنا
نعم وهذه الوجوه
لا تعجبوا لبسمةٍ تعانق الشفاه
ريانةٍ تفجر الحياة
وتمنح الحياة
تمد ظلها على العيون
ترتوي بعزة الجباه
عريقةٍ تسبح الإله
شعاع رحمة يعانق المكان
فينتشي بسره الزمان

***

لم تفلح الجدرانُ والقضبان
لم يفلح السجانُ والسلطان
فنبعُـنا يُمدنا بزادنا
والواحد القهار أمنُنا.. ملاذنا
يا حسبَنا
يا حسبنا
مفاتحٌ للغيب - لا تُرى - تفيض بالعطاء
تقدم الغذاء والدواء والكساء
تخبئ الهناء

***

يا قرة العيون ساعةَ الجزاء
سنشترى الخلودَ بالفناء
فلنطلق ابتسامَـنا أحبتي
في ليلة العزاء!

وكان ملحداً .. ومات

هبونا قلنا إن الفأر أسد، وإن القمامة ماساتٌ فريدة فذة، فهل سيغير الكلام الحقائق؟! وما تجدي الأكاذيب والمخادعات؟

فليقل إنه مناضل، وليقل إنه ثائر، وليقل إنه حدِب على المساكين، ورفيق للجياع والمحتاجين.. ليقل ما شاء؛ فلن تخطئ الحقيقةَ القلوبُ اليقظة، والعيون المفتوحة، ولن ينطلي البهتان على رب الأرض والسماء! وما إن تشرق شمس الحق حتى ينجلي ضباب الزيف، وتنقشع غيوم التجهيل:

عرفتُــه
يحب أن يقال عنه:
إنه المناضلُ الكبير
يمجد الإنسان
ويطلق الكلام ثائرًا عن نصرةِ العمال
عن عزة الفلاح
كالفارس الذي خلا أمامَه الميدان

***

لكن قولتَـهْ
ورغم أنها تضج في المكان
فإن جرْسَها يموت في الآذان
وتنتشي الجموعُ لحظةً
في غَمْرةِ الصياح
وحينما تَـهُمُّ بالرَّواح
تشد خطوَها إلى الوراء
ويختلي الإنسان بالإنسان
في رحبةِ الخلاء

لتهمس القلوبُ للقلوب
قد كان كاذبًا
برغم ما بدا عليه من عناء

***

مذاقُ لفظِهِ يفوح بالجفاء
لأنه لا يعرف الإله
وليس في جبينه وضاءةُ السماء
ويكره الخطى إذا مشت لمسجدٍ
ويدعي بلاهـةَ الذي يـرى وجودَه
في ظل معبدِ

***

والآن هذه بقيتُـه
ترقبوا حكايةَ الختام
وصورةً تنامُ تحت أحرفِ السواد
في آخر الصَفْحَات
قد شُيعت بهذه الكِلْمَات:
« عزاؤه بمنـزله »
وصمتُـه يذوب في المكان
قد مر فوقه الزمان

***

والمأتم الـمَهيب ذاع سرهُ
والغيث لاح قطرُهُ
والنور في إصراره العجيب
يَعبر الدُّجى لفجرهِ
فلتخشعِ الأصواتُ للرحمن

ولتُنْصِتِ الأكوان
فالشيخ قد بدا
يرتل القرآن
يرتل القرآن..
القرآن..

***

الألـــم

قصيدة من مرحلة ما قبل النكسة، مرحلة التخبط في ظلمات الأيديولوجيات الملحدة الكنود، والتَّفَرْعُن البشري الحقود، ودفع السفينة – دون أشرعة – وسط الرياح الهوج..

وهي شكوى من الضعف الإنساني، والخوف من هواجس الانكسار واليأس، حين يغالبها اليقين في الله، والثقة في موعوده، والتشبث الرصين ببشريات الانتصار؛ رغم الجراحات، والغيوم والوجع..

هي إقرار واقعي بالضعف الإنساني الذي لا يلبث أن يستعلي على نفسه، متقويًا بالقوي، معتزًّا بالعزيز سبحانه، وهي إعلان صريح بالاستعداد لدفع الثمن من أجل الآخرين، من أجل الفجر والنور، والعدل والخير، والاستقامة والعدل، مهما كان الثمن ثقيلاً باهظًا..

إنه مستعد للإبحار في البحر اللجي، رغم التطام الموج، وضعف الزاد والعتاد، لكنه على بينة من ربه، وثقة من إحدى الحسنيين، فما أعظم الجزاء!

سهام ليلِهم تجمعت لقهرِنا
تثور.. تطلق الدخَانْ
لتحرق اخضرارَ عودِنا
وتنشرَ الجفافَ في المكان
تُكَسِّر الشراع للسفين
تود لو تمرِّغُ الأنوف في التراب
لو يضحك العذابُ عابثًا
بقهرِه العَبوس
يدوسُنا بهمه الثقيلِ..
كي نطأطئَ الرؤوس

***

نعم أصابنا الضنى

وهـدَّنا الحَزَنْ
نعم بكت عيونُـنا
وضجت الجراحُ بالعَفَن
والضرُّ مسنا
وعضنا بنابِـه الشجنْ

***

وفي رُغام ليلِـنا الضريرِ
شامخٌ فُتِن
نعم أحبتي نعم
ولستُ أنكرُ الألم
ورغم أن وَجْهَهُ الكئيب
قد مر في بيوتنا
وخلَّف النحيب
ورغم أنني وأنت في ديارنا غريب
ورغم أن فرحة المُنى
قد ودعت قلوبَـنا
فلم تعد تلُـوح للبعيد والقريب
ورغم أننا هنا نصارع الهموم
فلم تزل أقدارُنا تقول:
لا بد يا أحبتي من الألم
ليسقطَ الكسيح
لينتهي تراقص الذبيح
ليختفي في قسوة النيران
مرهَفُ الطلاءِ والخبث

ليهتف الجميع:
الموت للعبث
ليستبد بالمراوغ القلق
ليهدأ الشهيدُ إن صدق
فلم تزل مزاهرُ الحياة في القلوب
يصونها من الضياعِ
أنّ ربَّها كبير
وأننا بركنه الشديدِ نستجير
وأننا بظله الحبيب نحتمي
وفى رياض وعدِه الوفي نرتمي
وإنه لحق
البيع رابحٌ.. ورابحُ

***

نظل فى مواطن البلاء والرجا نُوحِّدهْ
ونذكر اسمَـه الحبيب
حينما يضمُّـنا السجود
وحين يبدأ الحديثُ بيننا وبينَـهُ
نمجـدهْ
وتشرق الحياةُ باسمه الودودِ[1]..
حينما نردده
هو الطريق
هذه سماتُـهُ..

(1) لفظة: ودود غير فصيحة، ويمكن أن نضع مكانها: علوي.. عبد السلام

وهذه ملامحُـهْ

***

وحينما دعاك للمسير في ركابِه الشهيد
تحركت يداك حُرَّةً تصافحه
وحينما وجَّهْتَ للمليك وجهتَـك
وحينما عقدت بيعتك
في الليلة العريقة النسب
نُـبِّـئتَ أن رحلةَ الرجالِ مجهِدة
تشق في الصخور دربَها
وتأكل الظما
وتشرب النَّصَب
وتشعل المصباحَ بالدماء
إن جف زيته

***

نُـبِّـئْتَ حينما تحركت خطاكَ
ترتجي منابعَ الضياء
بأن في طريقنا ابتلاء
وأننا سنقبل العناء
لنفتدي رسالة السماء
دُعيتَ كي تقدم العطاء

***

صدقتَ ربَّـنا.. وبلَّغ الرسولْ
صدقتَ ربَّـنا.. وبلَّغ الرسولْ
فهب قلوبنا الرِّضا
وثبِّـتِ الأقدامَ في مواطن القضا

وأصلحِ البقية التي لنا
واغفر لنا الذي مضى
وحطم الأغلال عن قلوبنا
وكن لنا
فأنت دائمًا تجود
هب جوادنا الصمودَ كي نواصل المسير
لندرك الكتائبَ المظفرةْ
مضت لساحة الأَمانِ تعلن السلامْ
هديةً معطرة
بنورها ستختفي مآثمُ الظلام

***

غدًا تضيءُ أحرفُ الهدى
في داخل الصدور
وتظهر المواكبُ الموحدة
على مشارف الأفق
سَيَقْطِفُ الثمارَ من سبق
ويُغرق الطوفانُ من أَبَق
ومن أوى لقمَّـةِ الجبل
يريد – واهمًا – حياة

***

ستملأ العيونَ فرحةٌ مزغردة
تقول للأسى؛ ونحن نقطع الطريق للعلا:
سننتصر
على الشفاه ذكرُها..
يزف بسمةَ القدر

الكفُّ لم تزل بخيرها
قويةً.. غنيةً
وقيدُها سينكسر
وفي العيون نبضُها
يضجُّ.. ينصهر
غدٌ لنا.. غد لنا
ونحن في مواقع الخلود ننتظر

***

فلتحكموا السُّفُنْ
لأنَّ بحرنا عميقٌ
واستكثروا من زادنا الأصيل
فلم تزل بعيدةً نهايةُ الطريق
لكنّ نبعَـنا الرطيبَ مغدِقٌ
ولم يزل
يبلل الظما
ويطفئ الحريق
ولم تزل عيونُـنا نفاذةَ البريق
تضيءُ للجموعِ
كي تسيرَ كي تسير
من بعد أن تعلمت في ليلها الكثير

جمادان جمادان رمضان محرم

* * *

لا تذكر الحياة

رغم كثافة اليأس، وشدة الحال، ورغم اللوحة السوداء المقيتة التي يسعى لتجسيدها، فإن الشاعر، يفتح كوة للنور في سدف الظلام، تُنَبِّئُ الغريب عن أمل، هاتفًا: فلنرتقب.. فلنرتقب..

لا تذكر الحياةَ
لا تقل صغيرتي
وودِّع المنى
ولا تقل لي بيتَنا
لا تذكر الحقولَ والشجر
ووقفةً هناك عند شاطئ النَّهَر
أمي؟! [1]
لا تقل لي إنها تجففُ الدموعَ في السحر
تجيب للجميع باسْمِه
تقبِّل الطيوفَ
لا ترى سواه
تسرق الخطى لموضعه
تقبل الثياب
وسمعُها معلَّقٌ بطرقةٍ بالباب
وحيدةً
وحولَها الضياع
وليلُها ويومُها التياع

* * *

(1) كانت: أماه، وهذه صيغة نداء، وليس الوضع موضع نداء بل تقريرًا.. عبد السلام.

لا تقل: صغيرتي
فقصةُ السنين بدلت سماتها
واللثغة التي عشِقْتُـها
تنكرت لها
والنظرة التي عرفتُها غريبة عليّ
ما عدت قادرًا.. وكيف
أضمها إليّ؟!
لا تقل: صديقتي
فقد طوى النسيانُ وجهَـنا القريب
فتاه في الزحام
غاب في متاهة الأيام
الخطو في المكان قاتلٌ عَبوس
والقلب بين قبضة الأغلالِ
مطرِقٌ يؤوس
ورغم كبريائنا الممزقِ الضلوع
فكلنا حزين
وكلنا يكابد الحنين

***

ويفرح السجين لحظةً
لكنّ بسمتَـهْ
يردها الأنين
وكلنا – ورغم جمعِنا – وحيد
قد أصبح الكبيرُ والصغير في الأسى سواء
الليل والنهار

بقية الوجود عندنا
علامة الحياة
لم يبق يا أحبتي لنا سوى انتظار
فأمسُنا مضى
وليس بيننا وبينَـه نسب
غدٌ معلقٌ بأفقنا المجهولِ
دونَـه حجب
لكن رعدةً هناك
خلف حمرةِ الشفق
تُنَبِّئُ الغريب عن أمل
فلنرتقب
فلنرتقب

جمادان جمادان رمضان محرم

* * *

مرثيــتي

يمكن للجلاد أن يملك الجسد، أن يجلد الجسد، أن يؤذي الجسد؛ لكن هل يمنـع أن ترفرف الروح إلى الملأ الأعلى، وتستشرف روضات الجنات، وتهفو للرحيق المختوم؟

هل يمكنه أن يمنعها أن ترى الحور العين، وتـستروح ريـاض الـصالحين، وتـسبح في ملكوت رب العالمين؟!

هل يمنع أشواق القلب، وصبوات الروح؟!

إن الموت على ذلك أحلى ملياري مرة من حياة الذل والعار التي يـدعو إليهـا الباطـل، ويقدمها للمحرومين على أنها إكسير الحياة! فدعو الروح تطير إلى بارئها الرحمن الرحيم!

أغمِضْ عينيَّ ولَقِّنِّي اسم حبيبي
فأنا سأموت
سأعود إليه فلا تبكِ
اضحك حتى تملأ أصداءُ الفرحة كلَّ الكون
سأعود إليْهْ
فأنا المشتاقُ إلى لقياه
والحورُ أُراها يا صحبي
الحور تنادي سيدها
تخفي الطرْفَ بطرْفِ الثوب
وأشمُّ مع العطر شذاها
فاتنةً من أنوار القدس
تُضيءُ ربوعَ القلب ببسمتها
والعِقْـدُ الأحمر فوق النحر
يا فاتنتي ما هذا السحر!
كلماتي لُـفّت بحيائي
والقلب يردد نبضَ القلب

والحورُ تنادي سيدها
في صوتٍ رقت نغماتُـهْ
وانسابت
تصنع في الأعماق حكايةَ حب

***

هرب المسجونُ من القضبان
عبَر الأسوارَ ولم يدركه السجان
لم يهرب
الصوت يقول:
- سيدنا
إن فلاناً قد مات
- كيف يموت
ويدوس الِغرُّ على نابه
لم نُـنْهِ مهمتَـنا بعد [1]

***

في كل مقام عذّبه كبْرٌ أحمق
- وأنـا.. وأنـا
يا حسرةَ مَن بأناه يعاندُ سطوةَ سيدهِ
قولوا للأبلهِ: لن يرجع
فاحذف رقمًا
كان يضاف إلى الأرقام
وارقب في ليل العيد دموعَ الأطفال

(1) كان السطر: (لم ننه بعد مهمتنا) وهكذا يستقيم الوزن كما أثبته عبد الله رمضان.

تتجمع في سهل الطوفان
وارقب صوتًا
كان يناغي الأسيانَ [1]
يُصم اليومَ الآذان
وارقب ساعدَ نبضٍ غضٍّ
يجتاح صروحَ الأوثان
وارقب بعثًا للأكفان
أغمض عينيَّ..
ولقِّني اسم حبيبي
فالطائر يعزف تغريدًا
لا يطلقه إلا في لحن رحيل

رجب محمد الأمين رمضان محرم

***

(1) كانت الأسى وتستقيم وزنًا ومعنىً، كما أثبت عبد الله رمضان هنا!

اليـوم عـيد

من روائع قصائد الشيخ رحمه الله، يتحدث فيها عن معانـاة أهـالي الـسجناء في يـوم العيد، الذي يفترض أن تملأه الفرحة المشرقة، والتياع الزوجات، وانكسار الأبناء، وهي أيضًا من روائع ما أنشد أبو مازن، بأداء قوي، ونبرة مؤثرة.

والقصيدة مكتوبة قبل النكسة (الغَرَّاء) بعام، ترسم صورة لمحرومين في العيـد.. طفـل وطفلة وزوج صبور تحتمل بشجاعة غياب زوجها، وتعطي حياتها لأطفالها.. وهي مع ذلـك مشحونة بالتفاؤل والأمل في الله تعـالى، وفي المـستقبل المـليء بالأمـل، المـشحون بالثقـة في الله الكريم الوهاب.. [1]

اليوم عيدْ
قد عشت فيه ألفَ قصةٍ
حبيبةِ السمات
أردُ الأذانَ في البكور
أراقبُ الصغارَ
يمرحون في الطريق كالزهور
وهذه تحيةُ الصباحْ
وهذه ابتسامةُ الصديقِ للصديق
والسلامُ يبسطُ اليدينِ
يرسلُ الندى
ويملأ الحياةَ بالأمان
وخضرةُ الزروع غضةَ الجنى
تجمعت أمامَ مسجدِ الإمام

(1) عاد الأستاذ البسيوني إلى كتابة المقدمات وراجع مقدمة هذه القصيدة في الشريط الخامس لأبي مازن فهـي رائعة.

وأطيبُ الثمارِ تطلبُ الكبار
هديةٌ يحبُّـها الصغار
تحبها صغـيرتي
ما أطيبَ الزمان يا أحبتي
إن عانق الأمانْ
زمانُـنا ربيعُـه الأمان

***

الكلُّ عائدٌ بفرحة تطل مشرقة
من الشفاه والعيون
ودارُنا ستنتظر
صغيرتي ستنتظر
والشرفةُ التي على الطريقِ
تسمع الصدور
تعزف الأشواقَ
تعصر الأسى
هشام لن ينام
قد كان نومُه على ذراعِ والده
نهادُ لن تذوق زادَها
لأنها تعودت
أن تبدأ الطعام من يد الأسير
شريكةُ الأسى بدا جناحُها الكسير
تخبّئ الدموعَ عن صغارها
وحينما يلفها السكون
سترتدي الصقيع..
كي تقدم الحياة للرضيع

ما زال يومنا ويومهم

لأننا نحبهم

اليوم عيد

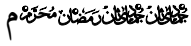

* * *

وبعـــد

درة عقد الديوان، ورائعة من روائعه، وقصيدة تضج بالمشاعر الفياضة، وتسح بالـدموع النبيلة، دموع الرجال الشم، الذين أرادت الكرابيج أن تحني هاماتهم وهممهم - رغم ضـعف الحال، وفظاعة قهر الرجال - فأبوا إلا إصرارًا على مواصلة الطريق، أو لقاء المولى عز وجـل؛ مملوئين بالأمل، والثقة بأنهم على الطريق الأخضر، الذي يحفه النور، وتكتنفه شارات الأمل.

كتبت عام ما قبل النكسة (الغَرَّاء) كأنها تقرير حالة، أو بيان لأسباب الانكسار، وتبرير مسبق لانهزام الأمة التي كانت انشغلت بأكل بعضها، واطمأن بالها من جهـة عـدوها! فـاقرأ وأعد، وأنا ضمين ألا تملّ، واسمعها أيضًا من أبي مازن؛ تحفة في الأداء، وسحرًا في النغم[1]:

وبعدما رأيت ما رأيت؟
وبعدما عرفت ما عرفت؟
الموت حينما دنت مخالبُـه
والليل حينما اعتدى على الصباحِ
ضاريًا يغالبه
الموتُ كان أمنية
والموت كان للجراح أغنية
واختار من صفوفنا
أحَبَّ من رأت عيوننا
واختار من صفوفنا الكبارْ
واختار من صفوفنا الرجالَ صانعي النهار
واختار للذرا أحبةً كرام
تحيةً لهم.. سلام

* * *

(1) مقدمة الأستاذ البسيوني.. وراجع مقدمة هذه القصيدة لأبي مازن بعنوان «ملحمة الدعوة».

عيناي تسبحان في الشرود
من يومها
من يوم أن تحرك الفَناءُ
فوق كل أخضرِ
يا واحةَ الأمان أقفري
قد استبيحت الحـُرَمْ
وسيقت النساءُ والأطفال للحُمْم
ليطعَـموا لوحشة الظُّـلَم
ليطفئوا ابتسامةَ الصغير
ليهتكوا قداسةَ الحرم!

***

وضجت الأصواتُ تستغيث ربها
في الليلة التي بكى بها الحصى [1] من شهقةِ الدماء
وحُمِّلت رياحُها بألف آه
الكون كله يقول: آه
ويا لَـذلةٍ تراد بالجباه

***

تكسَّري سنابلَ العطاء واسجدي
ومرِّغي تيجانَك الشماء في الثرى
يا خضرة الزيتون
فلترتـدي السوادَ

(1) في الديوان (الحصن) وغيرها عبد الله رمضان إلى الحصى.. وتأمل فهي أوضح للمعنى وواضح إمكانيـة الخطأ المطبعي. أكرم

فوق كل عودٍ أَثمرا
ويا مدامعِ السحابِ طَـوِّفي على الديار
وأودعي بكل شبرٍ دمعةً من السماء
وأكثري على المحارم البكاء
أكثري البكاء

***

ويا شذا الريحان
قبل أن تفوحَ بالعبير
أود أن أُذَكِّرُكِ
بأنهم في لحظةٍ من الظما تفقدوا
ولم يكن هناك ماءْ
وأنك ارتويتَ يومَها بأقدس الدماء
الحرةِ الطهور
بالحرمة الطهور
تَـعذَّب الذبولُ في ملامح الزهور

***

الحرةُ التي تداس يا لَهَـوْلِها
عويلُها يحرك الصخور في جبالها
فيصرخ الملَك
يهتز في انتظار ومضة لمن ملك

***

سألت خالقي.. وكلنا سأل
لمن لمن تركتنا؟!
سألت خالقي إلى متى..

ستطعم الكلاب ما وهبتنا؟!
الهول؛ يا لَقسوتِـهْ
محافلٌ تضم ألف سوط
والموت قادمٌ يدوس فوق موت

***

وبعد..
وبعدما رأيتُ ما رأيت
عَرفتُ كيف يُـقهر الرجالُ بالضنى
عَرفت
وفي مواقعٍ منَ الأسى بكيت

***

تحرك الشيطانُ حاملاً سلاحـه
ومضمرًا لكل بسمةٍ للنور في صدورنا نواحَـه
وأطلق الدخان غاضبًا
واستجمع القوى
بكل حقده الذي يضمُّـه هوى
رأيت كبوةَ الجواد مضنيةْ
رأيت دمعةَ الجَسور مبكية

***

وبعد...
وبعدما رأيتَ ما رأيت
هل تعود للطريق؟
هل تعود؟

وقبل أن أجيب[1]
تحركت مدامعي هديةً لمن مضى
وأُرهِفت مسامعي
لأستعيدَ من مواطن الغيوبْ
وصيةً سمعتُـها في لحظةٍ من الرضى
واهتز قلبيَ الذي قد هدّه العذابْ
أحسست رعشةً
بجسميَ الذي يخاف غضبةَ الكلاب
وجاء ضعفيَ الكئيبُ جاءْ
عَرفتُه في كل لحظة من الضنى قد عشتُها
أتى يقدم الرجاء
تعلقت عيناه بالجواب

***

يا ترى وبعد؟
عائدٌ أنا..
من حيث أتيت
عائدٌ أنا لمسجدي
عائدٌ إلى الصلاةِ والركوعِ والسجود
عائد إلى الطريقِ
خلف أحمد الرسول
أُطلق الخطى حثيثةً[2] في إثره

(1) كانت في الديوان «وقبلها أجيب» وصححها عبد الله رمضان همذا وهي أوضح في المعنى.
(2) كانت (حزينة).

عرفت قصةَ الطريق كلها
وعائدٌ أنا برغمها
كالفجر
كالصباح.. مغدقٌ وباسمُ
والخطوُ كالرياح عاصفٌ وعارم

***

لا بديل للخلودِ.. لا بديل للجنان
لا بديل غيرَ ذلةِ الرُّغام
لا بديل غيرَ خُدعةِ السراب
لا بديل غير وهدة الظلام
لا بديل للإقدام
غير سحقة الأقدام

***

عرفت قصة الطريق كلَّها
الموتُ أول المطاف
لكنّ خضرةَ الطريق
لا يصيبها الجفاف
قادمٌ وقادمٌ وقادم
إشراقةٌ مضيئةٌ تجيء في الختام
تقدموا.. تقدموا
فبعد لحظة من المسير
ينتهي الزحام

محمد بن عبدالله بن محمد بن رمضان محرم

* * *

عـذابنـا

لا عمى أشد من التزييف وإلباس الباطل ثيـاب الحـق، وكـسوة القـبح رداء الجـمال، ونعت الخير والعدل والحرية بنعوت حقيرة مبتذلة!

لا عذاب أقسى من قهر الرجال، وقطع الألسنة، وإهانة الحرائر.. والعدوان على الدين، والجهر بالإلحاد والتمرد على الله تعالى، تحت مسمى التحرير والتنوير والنخوة.

لا خيانة أشد من خيانة الوطن والتشدق و(التزمير) بالبطولة والوطنية والنخوة !

وهذا هو فن الباطل حين يحكم، والعمى حين يدعي الإبـصار، والقـبح حيـنما يتغـول، راقصًا على جثث الحق والخير والجمال..

أغالب النحيبَ والعويل والصراخ
أغالب الكلامَ والدموع
أغالب النظْراتْ
فكل ما نقوله من الكلام عاجزٌ
مهدمٌ.. مقيدُ
وكل ما نراه مرهِـقٌ معذِّبُ

***

يا خالقَ الحياةِ والممات
يا مجريَ السحاب
يا عظيم
نعوذ بالرضا من قسوة الجنون
متى نقول ما نحب أن نقول؟!
متى يموت قهرنا؟!
متى يثور سيدي بركانُـنا؟!
متى نلقب الأشياءَ
بالذي يوافق الأسماء

ونصنع الحقيقة المقدسةْ

***

حقائقُ الحياة كلُّها مزيفة
الخير شرٌّ مطبِقٌ
فمزقوا رداءه
والشر - في عوائه الكئيب - غادةٌ
يساق في أعقابها المديح
إياك أن تحب خضرة الزروع
ما أجمل السواد!
ما أرَقَّ بومَـهُ
ينوح فوق دارنا
ولتذبحوا الحمام
ولتقتلوا الأطفال
ولتحرقوا الأزهار كلها
لكي يسير ركبُهم

***

نبوءة الحبيب كلها تحققت
فلم تعد عيوننا لشدة الظلامِ مبصرة [1]
فإن رأت
فما الذي يفيد أن ترى
أو لا ترى!

شعبان عبد الله رمضان محرم

(محرّرة) كانت: تبصر، وهي هكذا أوقع وأنسب للسياق.. عبد السلام.

دعـــاء

إعلان للتوحيد على طريقة الشعراء الذين يجيدون التأمل، ويحسنون التقاط صور الجمال والإبداع في صنع الله البديع، واسترواح مجالي عظمته ووحدانيته، في تعابير رقيقة شفيفة حالمة، ثم ترفع عن القشرة الخادعة والبريق الزائف ليتحقق للفؤاد تسليمٌ للذي يعلم السر وأخفى:

أســـــبح ربيَ مثـــــلَ الطيـــــور ... وأهتـــــف باســـــم إلـــــهٍ كبـــــير
أرى كبريـــــاءً بلـــــون الـــــسماءْ ... ووومـــضِ النجـــوم وبُعـــدِ المـــسير
وفي شـــــفَقٍ مـــــشفقٍ كـــــالجراح ... يَـــذكّر مـــن أبـــصروا بالـــسعير
وأَسْـــــبَحُ في بَـــــسَمَاتِ الـــــشروقِ ... ولَـــثْمِ النـــدى لـــشفاهِ الزهـــور
ويعـــرفُ قلبـــيَ معنـــى الـــشموخ ... وصرح الـــرواسي يـــضم الـــصخور
وحـــين يـــساق الـــسحابُ الجـــوادُ ... ليُحيـــيَ في الأرض مـــوتَ القبـــور
وفي الـــشمس لُفَّـــتْ بخِـــدْر الحيـــاء ... تنـــادي الأحبـــةَ عنـــد البكـــور
وفي البـــدر طَـــوَّقَ قـــدر الهـــلال ... منـــازلَ تحكـــي خطاهـــا الـــشهور
وفي النخـــــــل دانٍ بقنوانـــــــه ... وفي النحـــل يجمـــع حلـــوَ العبـــير
بـــصوت تَرَقْـــرَقَ بـــين الحـــصى ... بكـــفِّ الحبيـــبِ البـــشيرِ النـــذير[1]
بدمعـــةِ فـــرْحِ بلـــيلٍ حـــزين ... ببـــسمةِ طفـــلٍ حبيـــبٍ صـــغير
خلائـــقُ تـــسجد طـــوعًا لـــه ... وتعنـــو لـــسطوة ربٍّ قـــدير
أفـــر إلى ســـاحة الـــساجدينَ ... أشـــارك في مِهْرَجَـــانٍ كبـــير
أبيـــعُ.. ورَبِّيَ منـــي اشـــترى ... أبيـــعُ الحيـــاةَ ولا أستـــشير
وكنـــت بأمـــنِيَ أخـــشى العيـــون ... وأهـــربُ مـــن شرهـــا المـــستطير
وكنـــت أخـــاف حلـــولَ المنايـــا ... عـــلى ظهـــر عبـــدٍ مُقِـــلٍّ فقـــير

(1) سبح الحصى في كف النبي ﷺ.

فلـــما طلبـــت الحمـــى في حمـــاهُ ... أمنـــت بحـــصنِ العـــزيزِ المجـــير
ولمـــا اطمـــأنَّ بـــصدري الحنـــانُ ... وحُلَّـــتْ لـــديك قيـــودُ الأســـير
أيـــادٍ مـــن الجـــود فـــوق الثنـــاءِ ... وفـــيضٌ مـــن النـــور للمـــستنير
رغبـــت انتـــسابًا لـــرب الجـــلالِ ... يفـــوق الطمـــوح بقلـــب الجـــسور
فأشـــهدت خلقَـــك أَنِّيَ عبـــدٌ ... أَحَـــبَّ المليـــكَ العزيـــز الغفـــور
وأَسْـــلَم عنـــد رضـــاكَ الرحـــال ... وأُلـــقي لـــديك عنـــاءَ المـــسير

محمد بن محمد بن رمضان محرم

* * *

دعـــاء[1]

ابتهالية تنضح – والله حسبنا وحسيبه – بالصدق، والنقاء، والتعلق بباب الله تعالى الذي لا يرد راجيه، ولا يخيب مؤمله. مزج فيها الشاعر المباشرة بالرمز، واللغة الواضحة بألفاظ الصوفية، لكن أجزم أنك لن تجد فيها ما يخدش توحيدًا، أو يخل بمعنًى، أو يوحي بدروشة بلهاء، بل هي الصحو كله، والتعلق كله، والأمل كله، بلا إخلال ولا حيف، فما أروع الوعي، وما أحوج الدين للصاحين!

الطف بنا عند القضا يا سيدي ... واستر إذا كَشف المعايبَ معتدِ
نحن العبيد، وفي البلاء ضعافُ ... العين تَهمي.. والقلوبُ تخافُ
أنت المهيمنُ.. لا سواكَ يعيننا ... بالله يا رباه لا تمكرْ بنا
الأرض أرضُك، والسماء، وما يُرَى ... والغيبُ غيبُك، لو تكشَّفَ للورى
والأمر أمرك؛ إن أردت رحِمْتَنَا ... وإذا قهرت[2] فقد عدلت بقهرنا
فلمن سيهرب من أردت عذابهُ؟ ... وبمن سيجأر من أهنْت حسابَه؟
من لا يكونُ له بحصنك موطنُ ... يا ليته ما كان.. ذلك أهونُ
إن جُدت جاد الخير في أرجائنا ... وإذا غضبت فيالَطول شقائنا
يا من إليه المنتهى لمن ارتجى ... لا زاد عندي تستباح به النجا
والعين تبكي من ذنوب قدمت ... والنفس تخشى ما يداها قد جنت
أنا قد فَرَرْت إليك منك لأحتمي ... برضاك من هول الشديد الناقمِ
أخشاك؛ جبارًا عزيزًا قاهرا ... رحماك؛ غفارًا كريمًا قادرا
ألقيت عندك حاجتي وسؤالي ... أشكو إليك الهم؛ غيرَ مبالِ
وأبثك الأحزان في ثوب الرضا ... حمدًا لمن بقضائه يجري القضا
إن كان عجزي مثقلاً بذنوبي ... فبظل عفوك قد سترتَ عيوبي

---

(1) في هذه القصيدة والتي بعدها (كلنا مسافر) لم يلتزم الشاعر قافية واحدة واكتفى بتوحيد مصارع الأبيات.
(2) كانت (وإذا أردت) فغيرها عبد السلام هكذا.

إن كـان ضـعفي في الـشدائد قـد بـدا ... فبجـاه نـورك أستجـير عـلى المـدى
إني إليـه قـد شـددت رحـالي ... قبـل النـدامة سـاعةَ الترحـالِ
أنـا قـد أتيتـك واثقًـا مـن نُـصْرَتِي ... ثقتـي بـما أحكمـتُه في قبـضتي
والعبـد يرفـع للمـليك دعـاهُ ... خـذ بالزمـام إليـك؛ يـا ربـاه
أنـت الـذي أسريـت دفئـَك في دمـي ... فبـدت ملامحـه تَرقـرَقُ في فمـي
فنطقـت باسـمك داعيًـا وملبيـا ... وجـرى اللسان بـما أفـضتَ مناجيـا
فجـرت دمـوعُ العاشـقين مهابـةً ... وبكيـت مـن فـيض العطـاء إنابـةً
وعرفـت طعـمَ الـشوق ذقـتُ جلالـهُ ... لمـا التقيـتُ بمـن مُنحـت وصـالَهُ
فهنـاك مـن بـين الوجـوه عرفتُـهم ... كالـدُّر في بحـر الحيـاة نثـرتَهم
الـسر فيهـم لا يـراه النـاظرُ ... لكنـما هـو للبـصيرة ظـاهرُ
فـازداد لهـفي رغـم قلـة حـالي ... جـدْ يـا كـريمَ الفـيض لي بوصـالِ
يـا مـن بـدأتَ فجـدت إذ أكرمتنـي ... فعرفـتُ بابـك عنـدما نـاديتني
أتممـ عطـاءك بـسمةً عنـد اللقـاء ... تُـنبي الأحبـةَ أنـه طـاب الجـزاءْ
وائـذن لنـا بـورود حـوض المـصطفى ... يـا طيـب مـن يلقـاه إن صـدق الوفـا
الـدمع زادي.. والـشفاعة مـأمني ... والعفـو ركنـي.. والـسماحة مـوطني
فـأفض عزيـز الجـاه منـك تفـضلا ... فأنـا لغـيرك مـا سعـيت مـؤملا

صلى الله على محمد بن عبد الله بن رمضان محمد

* * *

كلنا مسافر

النـــاس كلـــهمُ إليـــه مـــسافرُ ... والــزاد - يــا نــدَماهُ - زادٌ خــاسرُ
والعمـــر يمـــضي غفلـــةً لا تـــستحي ... والقلـــب أُشْرِبَ قـــسوةً لا تنمحـــي
الطـــير سَـــبَّحَ.. والملائـــكُ سُـــجَّدُ ... وبُنَـــيُّ آدمَ للهـــــوى مُـــسْتَعْبَدُ
الرعـــدُ - في جبروتـــه - يخـــشاهُ ... فـــبمن تـــلوذ؛ إذا أتـــاك قـــضاه
أدركـــتُ أَنَّـــا للـــعناء نـــسيرْ ... فالكـــل أصبـــح للـــشقاء أســـيرْ
زاد الـــضنى حتـــى شـــقِيتُ بغربتـــي ... ففزعـــت للـــرحمن أشـــكو وحـــشتي
فعرفـــت أَنْـــسًا لا يُنَـــالُ بغـــيرِهِ ... ونعِمـــتُ بالـــشوق الحبيـــب لنـــوره
يـــا ليـــت كـــل الحـــائرين تفكـــروا ... الخـــير يدعونـــا إليـــه فـــشمِّروا
يـــا مـــن وقفـــتَ ببابـــه ترجـــو النـــدى ... ورفعـــتَ في ليـــل الـــدموع لـــه اليـــدا
أبـــشر فـــساحة ذي الجـــلال أمـــانُ ... ولمـــن أتاهـــا الفـــضلُ والإحـــسانُ
زد في الـــسؤال يـــزدْك ربُّـــك في العطـــا ... فمليـــكنا يعطـــي عـــلى قـــدر الرجـــا [1]
واصـــبر لغـــد؟؟ قـــد يـــصيبك بالـــضنى ... فعـــزائمُ الأقـــدار ترفـــع قـــدرنا
ونبيُّـــنا.. لمـــا أتـــاه العـــاشقُ ... يخشى المشقةَ قـال: كيـف تـسابق؟
مـــن كـــان يطلـــب منتهـــى الآمـــالِ ... هانـــت عليـــه نفـــائسٌ وغـــوالِ
الله قـــدّر أن نـــرى يـــومينِ ... عـــسر [2] يـــزول بنـــشوة اليـــسرينِ
فـــإذا ابتـــدأنا العـــسر؛ يـــا بُـــشرانا ... بـــاليُمن يبـــدي خلفَـــه اســـتئذانا
فلتُعـــسري مـــا شـــئت يـــا دنيانـــا ... فـــالخير مـــا أخـــفت لنـــا أَخرانـــا
فهنـــاك تنـــسى العـــين مـــا أبكاهـــا ... كالـــشمس تُنـــسي ليلهـــا بـــضحاها

1965م

---

(1) كان البيت زد في السؤال يزيد ربك في العطا، وصححها د. حسن وفريق العمل إلى: زد في السؤال يـزدك ربك في العطا.

(2) الأقيس أن تكون (عسرًا) على البدلية. عبد السلام.

رباه

قصيدة (نكسويّة) إذا صح التعبير، تعكس حالتين: حال انكسار الأمة، وترديها، وانتكاستها، وحال الشاعر المتعلق بالله تعالى، المطمئن لموعوده الحق، فلا يزال الأمل يضيء جوانحه، ولا يزال التوفيق يقود جوارحه؛ رغم انعقاد اللسان، واضطراب الجنان، وتكاثف الظلمة؛ فمن أولى من القدير المهيمن كاشف الضر أن يلجأ إليه الشاعر المؤمن، والإنسان الرقيق، والشاعر الرهيف؟

إن شراع السفين إذا انكسر، والألسنة إذا انعقدت - فزعًا أو دهشةً أو عجزًا - والليل إذا ألقى ظلامه، فإنها كلها أعجز من أن تبدد سكينةً ينزلها الكريم على قلوب المؤمنين، يلزمون بها كلمة التقوى، ويتعلقون من خلالها بدلائل النصر القادم:

رباه إن عَزَّ المجيرُ بكربةٍ ... فلنا ببحرك مِنَّةٌ ورجاءُ
خابت بنا الآمالُ وهْيَ وليدة ... أصواتُ عجزٍ ما لها أصداءُ
كُسِر الشراعُ من السَّفِينِ فلم تعد ... تحبو لبرٍّ يُرتجى ويُشاء
صمتَ الزمان فلا حديثٌ بيننا ... ولنا أحاديثٌ مضت.. بتراءُ
لُفت بثوب الغيب في ليل له ... في كل خاطرةٍ تلوح.. عزاءُ
نصحو ونغفو لا تساؤلَ بيننا ... في كل عين نظرةٌ جدباء
والليل يأتي لا يثير قدومُه ... غير الرؤى.. ورؤى السجين عزاء
تمضي تحطم في سُراها قيدَنا ... فلنا بها - رغم الدجى - إسراءُ
ونفيق بعد الليل في ليل الضحى ... وبكل قلبٍ وَقْدَةٌ وعَناء
لا شيء ينطق غير لحنٍ صامت ... عزفته في ليل الأسى الأنواءُ
أنا قد وقفت بباب ربٍّ قادرٍ ... يُرجى لديه النفعُ والإيواء
وكرهت أن ألقي لعبدٍ حاجةً ... فعبيد ربي كُلَّهُمْ فقراءُ
ولقد سئمت سؤالَهم فسألتُه ... وتركتُ ساحتَهُمْ وبِي استغناءُ
أسلمتُه ضعفي ليقوى عنده ... فالضعف عند رحابهِ استعلاءُ

يـا مـن وسِـعْتَ الكـون ربًّـا قـاهرًا ... أشـكو إليـك بأننـا سـجناء
أُخفـي مـن الإسرار عنـدكَ ظـاهرٌ ... ولـديك أطمـع أن يجـاب دعـاءُ
أرنـو لواحـاتِ الرضـا فياضـةً ... هـي للـشريد بظلِّـها إيـواء
عـصفت بنـا ريـحٌ ومـوجٌ غاضـبٌ ... عـصفت بنـا في ليـلنا الأرزاء
قـد ضـاق صـبري واللـسان يحـار في ... رسـم البيـان فيعتريـه بكـاء
وأكـاد أصرخ أسـتغيث بمـن لـه ... في كـل نازلـةٍ تحِـلّ وِقـاء
وأحمِّـل اللـيل الطـويل بأنَّـةٍ ... لـك لا لغـيرك.. لا سـواك غَنـاء
فأنـا عرفتـك واحـدًا متـنزها ... ملكًـا تفـرد.. مـا لـه شركـاءُ
فنزعـت مـن كـل الوجـود وجـوده ... فلـه الفنـاءُ.. وللعـظيمِ بقـاء
الله أنـزل في القلـوب سـكينةً ... للهِ في كـلِّ القـلوبِ نـداءُ
الله ربُّ العـالمين.. وربُّنَـا ... ولنـا بـه في النـازلاتِ رجـاءُ
الله ذِكْـرٌ في القلـوب ينيرهـا ... فطريقهـا رغـم الظـلام ضـياءُ
وغـدا سـيأذن للغريـب بعـودة ... لـديار خلـدٍ.. أهلُهـا الغربـاء
يـا صـاحب المعـروف جـودك سـابق ... منـك الثنـاءُ.. إليـك.. منـك عطـاء
يـا عـاليَ الأقـدارِ: جُـدْ بكرامـة ... سـمحاءَ.. تـشهد أننـا بُـرَآءُ
يـا مـن أذنـت لنـا بـذكرٍ طـاهرٍ ... آياتُـه تُـجلى بهـا الظلـماء
وجعلتنـا مـن أهـل أكـرم مرسَـل ... بـين الأنـام وأهـلُه الكرمـاء
العفـو عنـدك حـصن أمـنٍ يُرْتَجَـى ... العفـو عنـدك واحـةٌ خـضراء
أهفـو إلى الغفـرانِ.. أطلـبُ توبـة ... تـرضى بهـا.. وبقلبـيَ اسـتحياء
إحـسانك الفيـاضُ غيـثٌ غـامرٌ ... والكـفُّ خاليـةٌ فكيـف وفـاء؟!

رجب محمد طالب رمضان محرم

* * *

ببـــابك

خفيفةٌ رصينةٌ، رائقة شائقة، قديمة عصرية، آملة متفائلة، منطلقة متدفقة، راجية آملة، راغبة راهبة، سياسية ربانية، راصدة مُرصِدة، مؤرخة موثِّقة، معاتبة مؤنبة، منبهة موقظة، أداها أبو مازن في إيقاع سريع جميل مناسب زاد جمالها جمالها، ومعانيها إشراقًا:

ببابـــك لـــن أغـــادره.. ولـــن أسعـــى إلى غـــيرك
سأنـــسج بالرضـــا ثـــوبي.. وأشرف أننـــي عنـــدك
وأحمَـــدُ حيـــنما تعطـــي.. وتُجـــري بالعطـــا كفَّـــك
وأحمد والقـضا يبلو .. وأطمـــع في ســـنا عفـــوك
أراك بكل مـثمرة .. يـــسبح صنعُـــها باســـمك
ويـــروي القلـــبَ في ليـــل.. دعـــاءٌ.. فيـــضُه ذكـــرُك
أنـــا بالبـــاب أنفـــاسٌ.. يـــردد نبـــضَها حمـــدُك
أنـــا حـــسانُ لا مـــأوى.. وقـــد آوى إلى ظلـــك
أَجـــرْتَ الـــدين في أمـــسٍ.. وضـــاءَ الكـــونُ مـــن وجهـــك
رفعـــتَ لـــواءَه عـــزًّا.. يـــضم الأمـــنَ في ركنـــك
ويحمـــي قـــصة التوحيـــد يـــا ديَّـــانُ في أرضـــك
ويـــرجم هاتـــكَ الأعـــراض يـــستعدي عـــلى صـــبحك
وألمـــح جنـــدَك المأســـور يـــستجدي نـــدى قطـــرِك
وقـــد عثَـــرت قـــوافلُهم.. بـــوادِي التيـــهِ في بحـــرك
تطاردنـــا ريـــاحُ المـــوت.. صـــاغ ســـمومَها مُـــشرك
يُجمِّـــع كيـــدَهم بطـــشًا.. يـــروم النيـــلَ مـــن رَكبِـــك
ويغزل للـمنى كفنًا .. لمـــن يرتـــاح في بُـــرْدِك
وقـــد مكـــروا بنـــا فـــامكرْ .. وكـــلُّ الخـــير في مكـــرك
إلهـــي منـــحةً تجلـــو.. ظـــلامَ الليـــل مـــن ليلـــك
وجُـــد بـــسحائب الغفـــران يعـــصرُ مزنَهـــا فيـــضُك

وبَـــدَّل ســـــوءنا حُـــسنًا.. فقـــد تُبنـــا.. وذا وعـــدُك
ودَثِّـــر عيبنـــا الفـــضاحَ يـــا منّـــاحُ في ســـترك
أذقنـــا شربـــةَ الإحـــسان يحلـــو همَّنـــا عفـــوُك
جراحـــاتٌ لنـــا تبكـــي.. يبـــدد دمعَهـــا فجـــرُك
وليـــلٌ حالـــكُ الإظـــلامِ.. يـــستهدي لنـــا نجمـــك
يزمِّـــل خوفَنـــا المطـــرودَ في بُـــردٍ بـــه أمنُـــك
ويُـــذهب غيظَنـــا المـــدفون في أعماقنـــا غوثُـــك
ويـــشفي صـــدرَنا المكلـــوم رَوْحُ العـــدل في حكمـــك
وثبتنـــا بـــرغم الهـــول.. كـــي ننجـــو إلى بـــرك
وأيـــدنا بـــرُوحٍ منـــك.. واصـــنعنا عـــلى عينـــك
وعَمِّـــر واحـــةَ الإيـــمان.. بـــالموفور مـــن فـــضلك
وحطـــم كـــل جبـــارٍ.. هـــوى الإفـــسادَ في حرثـــك
وأهْلَـــكَ نبتـــةَ التكـــريمِ والإشراقِ في خلقـــك
وألْزِمْنَـــا ســـبيلَ الرشـــدِ.. واحفظنـــا عـــلى عهـــدك
وأفـــرغ يـــا عظـــيمَ الجـــاه.. في الأعـــماق مـــن صـــبرك
ودَمِّرْ كـل خَتَّارٍ .. كفـــــورٍ غـــــرَّه حلمـــــك
فـــولى ظهـــره للنـــور.. واســـتعلى عـــلى أمـــرك
وأودع خطوَنـــا قـــدرًا.. يُحِـــق الحـــقَّ في أرضـــك
ومر للرعـب يسبقنا.. ويهـــــــدم في ذرا خَـــــــصمِك
ومكـــن دينَنـــا الإســـلامَ.. دينُـــك مـــن لـــه غـــيرك؟!
وروِّ [1] غُلَّـــةَ الظمـــآن.. واللهفـــان.. مـــن نبعـــك
وســـدد ســـعينا للنـــور.. واجمعنـــا عـــلى هـــديك

(1) كانت: روَّي – بإثبات الياء المحذوفة – التي اقتضت الضرورة الشاعر أن يثبتها ليستقيم الوزن فعدلها الأستاذ عبد السلام إلى (وأنقِع) وأثبتا ما كتبه الشاعر، مع حفظ القاعدة النحوية.

وبـــدِّل ضـــعفنا عـــزمًا.. يـــردُّ الـــشرَّ عـــن أهلـــك
أقِمنا حيثما ترضى .. وثبتنـــــا عـــــلى نهجـــــك
لتُـــشرقَ كـــلُّ يابـــسةٍ.. يثـــير غبارَهـــا جنـــدُك
وتربـوَ كـلُّ سنبلة .. يبلـــــل عودَهـــــا غَوثُـــــك
ليحيـــيَ موتـــةَ الأجيـــال سِرٌّ ضَـــمَّهُ وحيـــك
نُكَـــبِّر باســـمك الأســـنى.. ويعلـــو الـــصوتُ في كونـــك
نلبـــي داعـــيَ الـــرحمن.. نزهـــو في ضـــحى نـــصرك
إلهـــي حـــسبُنا أنّـــا.. نـــسبح في الـــدجى باســـمك
قلـــوب هزهـــا التوحيـــدُ.. ردد حيُّهـــا [1] حبَّـــك
ونهتـــف في جبـــين الـــصبح.. حـــين يقـــال: مـــن ربُّـــك
إلهـــي خـــالقَ الأكـــوان.. لا أســـعى إلى غـــيرك
إلهـــي فـــالق الإصـــباح.. أَشْرُف أننـــي عبـــدُك [2]

شعبان عبد الله رمضان محرم

* * *

(1) كانت في الديوان (حققها) والتصحيف الشديد واضح مع كسر الوزن واقترح عبد الله رمضان هذا التغيير « حيَّها » وأراه أفضل. أظنها (حقها) وهي صحيحة وزنًا وتنسجم مع لغة الشيخ وإضافاته الصوفية.. يعني سيادتك غلطان..

(2) أثبتنا هذه القصيدة على هيئة أسطر هكذا، وحيث إن هناك أبياتًا موصولة الشطر ات، وهي التي لم نضع النقطتين فيها (..) حتى لانقسم حروف الكلمة بين الشطرين.

خطبة مسلم

رغم شاعريته المحلقة، وشفافية نفسه، وعشقه - شأن الشعراء - للجمال، ورغم رغبته فيها، فقد خوفوها منه، لأنه ليس كغيره من الرجال الحالمين؛ بل هو نسيج وحده بين الناس، وإيضاحًا للحقيقة يستعلي على نزوعه للحسن، وعلى مطالب شاعريته، ويذكر لها حيثياته[1]:

نعم أعشق الوصل بعد الرضا ... وأسبح في روضه.. أنعمُ[2]
وأبدي الرغائبَ مشبوبة ... طواها الحياءُ.. فلا تضرَمُ
أَخَبِّئُهَا في حنايا الضلوع ... فأضحت حلالاً فلا تَحْرُم
رؤىً سابحاتٌ بخضرِ المروج ... وسحرٌ.. به العينُ لا تأثم
ولفظة وُدٍّ سرَت باللسانِ ... فيأسو ويحنو.. ولا يغرم
وكف تلملم ثوب الشتات ... وتمسح جرحًا كساه الدمُ
ولم أكتم الحب لما بدا ... فرَقّ الفؤادُ.. وباح الفمُ
ولم يبق إلا لقاءُ العيونِ ... فتبدي حديثًا بها يُفهم
مضى القلب يغزل أفراحه ... وقلبيَ في الجد لا يُحجم
أيا قلبُ رفقًا؛ لأن المنى ... ضريرًا تُعنِّرُ إذ يُقْدِم
وفي الدرب همسٌ بـ« لا تقبلي » ... لأن الغريب هنا يحرم
لأنا بسطنا شراعَ الضياء ... فصاح الجبابرُ أنْ أَظْلِمُوا
طريدٌ أنا في ظلال السجون ... كأنِّيَ في شرعهم مجرم
غريبٌ يلاقي صنوف العذاب ... ويشرب كأسًا بها العلقم
شريدٌ تجوب خطاه الديارَ ... فمن يمنع البطش أو يعصِمُ

---

(1) مقدمة الأستاذ عبد السلام البسيوني.

(2) كان شطر البيت الثاني: (وأسبح في روضة وأنعم) يقول د. حسن البيت مكسور ويسلم بحذف واو العطف فيكون (وأسبح في روضة..أنعم) وأثبتنا التصحيح هنا.

ولم يـــرض للنـــاس أهـــواءهم ... وأن يلبـــسوا الـــشر أو يطعمـــوا
ومـــا فيـــه تـــسرف أحلامُهـــم ... ومـــا زيّـــنوه ومـــا نغَّـــموا
ويهتـــف أَنْ باطـــلٌ سَـــعْيُكُمْ ... فَتَـــصْرُخُ أَصْـــوَاتُهُمْ: حَطِّمُـــوا
فمالـــكِ هِمْـــتِ بهـــذا الغريـــب ... وهـــل تحملـــين الـــذي يعـــزم؟
وأنـــت الرهيـــفةُ لا للفنـــاءِ ... تـــزف.. ولكـــن لمـــا يـــنعم
لطيـــب الحيـــاة وهفـــهافها ... لرغـــدٍ مـــن العـــيش يُـــستطعَمُ
ألـــيْلايَ قـــد صـــدَقوك المقـــال ... ولكـــنَّ لي قَـــوْلَةً تـــسهم
بأشـــواقها الخـــضر صـــدقُ الحـــديث ... يـــروِّي الجوانـــحَ لا تفطـــم
نعـــم للـــسجون وبطـــن الكهـــوف ... وقلـــب الـــصحاري أنـــا أطعـــم
لـــسوطٍ يمـــزق نـــسج العـــروق ... ويغتـــالني ســـكرُه المبهـــمُ
ولكننـــي رغـــمَ كـــلِّ العـــذابِ ... أحـــس الأمـــانَ وأستلـــهمُ
لأن القلـــوب بهـــا فيـــضُها ... لأن الـــسماء لنـــا تعـــصم
ونبـــصرُ حـــين يَـــضِلَّ القطيـــعُ ... وإن يجهلـــوا رشـــدَهم نعلـــمُ [1]
ونـــصبر إن أضرمـــوا بطـــشهم ... وحـــين نُـــشَرَّدُ أو نُـــظْلَم
وحـــين نُقَـــتَّلُ أو نُـــستباحُ ... فـــنحن الأماجـــدُ والأكـــرم
ونحـــن الرجـــال إذا أطبقـــت ... عـــوادي الزمـــانِ فـــلا تـــرحم
وإن ناحـــت البـــومُ في دارهـــم ... فأضـــحَوْا هبـــاءً فلـــم يعزِمـــوا
لأنـــا وُعِـــدْنَا بطيـــبِ الجِنَـــانِ ... تطـــوف بهـــا الـــروحُ إذ تُحـــرَم
لنـــا زُيِّـــنت حورُهـــا الحانيـــات ... فتمـــسح عـــن رأســـنا.. تلـــثِمُ
وفي الليـــل إذ نرتـــوي بالـــسجود ... تُطـــل بأفراحـــها.. تبـــسِمُ
تنـــادي بهمـــسٍ كلحـــن الطيـــور ... أنـــا الـــشوق والـــدفء والمغـــنم
نعـــم أعـــشق الوصـــل بعـــد الرضـــا ... لأن المـــشاعر لا تُـــرغَمُ

(1) ليتها تكون: إذا جهلوا رشدهم نعلم، لتصح نحوًا. عبد السلام.

كلانـــــا ســـــيدركُ في عمـــــر قـــضاءً جـــرى سرُّهُ المحكـــم
ختامًـــا لـــك الخـــير تجـــري بـــه يـــد الله تعـــطي ولا تَحـــرم
وَكَلْـــتُ لـــه الأمـــر لا أبتغـــي بـــديلاً إذا اختـــار مـــا يقـــسم

شَعبان ١٤٠٦هـ رَمضان مُحَرَّم

* * *

أزفــت

ضراعة لله تعالى وشكوى من عسف الباطل وعنفه، ومن شدته وصلفه، وفيها تثبيت للمؤمنين، وبث للأمل في نفوس المستضعفين، وبشارة بأن الفجر - الكامن في الجراح - تبدو طلائعه..

وقد أنشد أبو مازن هذا النشيد منذ شهور قليلة، بعد انقطاع دام ثلاثة عقود' في شريطه العاشر الذي يحمل اسم القصيدة!

أزفــت.. ولــيس لردِّهــا أحــدٌ ســواك
وبــــدت تطـــل برأســـها نـــذرُ الهـــلاك
الــنفسُ (1) حــيرى.. والظــلامُ يخــيم
والنـــار تـــسري في الهـــشيم تُحطِّـــمُ
والغمــةُ الحمــراء تكــشف وجهَهــا
وتُبِـــينُ في اللـــيلِ المجلِّـــل كيـــدَها
وبيـــوتُ ذكـــرِك فُزِّعَـــتْ أسرابهـــا
ومـــضى عـــدوُّك - نـــاقمًا - لخرابهـــا
ومــضى دعاتُــك في القيــود لأسرهــم
والأمـــرُ يـــسبق للعبـــيد بقهـــرهم
فلتغلقــوا الأبــواب ولْتُعلــوا الجــدارْ
حتـــى تقـــام مـــآتمٌ في كـــل دار
ولتعــصِفوا بالــشِّيبِ مــن قبــل الــشباب

(1) كانت: الناس حيرى.. وهو لا يصح.

فالـــشيخ يخفـــي بـــين شيبـــته الحـــراب

وليـسخط الـسوطُ المحمـل بالعـذاب

ولتجمعـــوا شـــذاذكم مـــن كـــل غـــاب

ولتهتكـــوا حرمـــاتِ أشرافِ النـــساء

ولتـــضحكوا ممـــا يغـــارُ لـــه الحيـــاء (1)

ولتعـصروا الأحقـادَ في الليـل الحـزين

تنـــزو ســـوادًا يـــستزيد مـــن الأنـــين

فالـــدين ديـــن الله.. نحـــن عبيـــدُه

فلـــيُحكمِ الطـــاغي عليـــنا قيـــدَهُ

فعـلى الطريـق طلائـعٌ خلـفَ القبـور

أبنـاءُ مـن سـقطوا.. أَنَـوْهم بـالزهور

فالركـــب لا يُـــضنيه جـــرحٌ غـــائرُ

والركـــب لا يُفنـــيه ليـــلٌ جـــائرُ

الركـــب أكـــبر مـــن شـــهيدٍ راحـــل

والركـــب أبقـــى مـــن شـــقي زائـــل

والواهمـــون سيـــسقطون إلى الـــضياع

فـــالوهم لا يقـــوى عـــلى طـــول الـــصراع

(1) يرى د. حسن أن هذا البيت مكسور.. واقترح لتصحيحه أن يكون الشطر الأول هكذا (ولتهتكوا الحرمات في خير النساء) ويرى الشاعر عبد الله رمضان أن يكون أشراف بدلاً من أشرف ورأينا تركه هكذا كما أورده الشاعر حيث لا يوجد خلاف كبير في المعنى وإن انكسر البيت فالتصرف الكبير في النصوص غير مستحب ما دام باستطاعتنا الاقتراب من الأصل و(أشراف) خطأ لغوي يا دكتور.. لأنه وصف للمذكر، عبد السلام)

لم تــبكهم [1] أرض تــروَّت بالــدماء

لــن يحتفــي بلقائــهم أهــلُ الــسماء

لا مــرحبًا بهــمُ.. بكــلِّ الظــالمين

يــا ســوءَ مــا يخفــيه لَــيلُهُمُ الحــزين

قــسمًا بــربٍّ لــن تهــون شرائعُــه

الفجــر تكمــن في الجــراح طلائعُــه

وغــدًا يجيــب لنــا المجــيرُ دعاءَنــا

ودموعَنــا وصــلاتَنا ورجــاءنا

وغــدًا نــرى مــن يمكــرون بــديننا

يــستنجدون مــن اللهيــب بغيثنــا

وغــدًا سنضحك مــلء كــلِّ قلوبنــا [2]

في دار خــلد زُينــت بحبيبنــا

* * *

(1) كان البيت يبدأ بـ (لن تبكهم) حيث جزم الفعل المضارع المسبوق بـ (لن) وحقه النصب (لن تبكيهم).. ولكن النصب يكسر البيت.. واقترح د. حسن أن تكون (لن يحزنوا أرضًا)..ولكن الشاعر استلهم قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ فقصد كلمة (تبكيهم) وعدل الأستاذ عبد السلام البيت كما هو مثبت هنا (لم تبكهم) فاستقام الوزن والنحو.

(2) لم تكن (كل) موجودة، فرأى فريق العمل كله أنه لا بد من إضافتها لهذا الشطر ليستقيم الوزن فيصبح (وغدا سنضحك ملء كل قلوبنا) ولعلها سقطت أثناء الطباعة في المرة الأولى .

يوم الحبيب صلى الله عليه وسلم

احتفاء بالنبي ﷺ بطريقة إبراهيم عزت رحمه الله، مشحون بالشوق والحب، والإدارك لجوهر رسالة الحبيب محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، فبقدر ما رآه بابًا للشفاعة والرضا، وأهلاً للحب والإجلال، وذا خصائص يتفرد بها دون العالمين، لم يهمل شد الفهوم إلى الواقع المزري، وأن يضع اليد على جراحات الأمة ومعاناتها، وتحدَّى رياح الشر أن تعصف، وحنجرة الباطل أن تزأر، فما كان ليبالي بهذا كله، وأضعافه، فإن الشهادة في سبيل الله شرف، وإن الدماء المطهرة التي تسيل، هي ثمن بخس؛ إذا كانت العقبى الجنة:

يـوم الحبيـبِ الـذي تُـرجى شـفاعته
مـن نـور سنـته تـزهو مَراعينـا
يتلـو الكتـابَ الـذي يهـدي القلـوب إلى
مـن أبـدع الكـون.. إذ ذكـراه تزكينـا
يـوم الحبيـب الـذي يعفـو الإلـه بـه
ويمنـح الـصفحَ عـن كـل المُعـانينا
يـوم الحبيـب الـذي يُطـوى الرجـاء بـه
حتـى يجـاب دعـاءٌ.. قبـلَ آميـنا
يـوم الحبيـب الـذي مـن جـاءه وجِـلاً
مـستغفرًا ربّـه.. يـرضى ويرضـينا [1]
صـلوا عليـه حبيـبَ الله مـا ظهـرت
ملامـحُ النـور في داجـي ليالينـا
صـلوا عـلى مـن دعـا لله محتـسبًا
ومـن لـساحته يهـفو المحبونـا
ومـن جـرى المـاء نهـرًا مـن أصـابعه
فهْـوَ الغـمامُ الـذي نُـعماه تـسقينا
صَلّوا عليهِ.. صِلُوا حبلَ القلوبِ بِهِ

(1) يريد قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾ [النساء].

وعطـــروا الكـــون مـــن ذكـــراه تـــشجينا
صـــلوا عليـــه صـــلاةَ الحـــب.. نـــاضرةً
بمـــــا يليـــق بقـــــدرٍ شـــامخِ فيـــــنا
صـــلوا عليـــه؛ فقـــد عمـــت بـــشائرُه
منـــاصي[1] الـــروح فاســـتهدت بهـــادينا
إن الملائـــك قـــد صـــلت مـــواكبُهم
لَبَّـــوْا لأمـــرٍ مـــن الرحمـــن باريـــــنا
صـــلوا عليـــه فـــرب العـــرش يـــسبقنا
إلى الـــــصلاة.. وطـــــوبى للمـــــصلينا
إن الـــصلاة عـــلى المختـــار مكرمـــةٌ
مـــن نالهـــا نالـــه ســـعدٌ يـــوافينا
وهْـــيَ المـــودة.. إذ تبـــدي دلائلهـــا
والحـــب يظهـــر معنـــىً.. في مآقينـــا
يـــا ربَّ أحمـــدَ: جُـــدْ بالمـــدحِ متـــصلاً[2]
بـــسيد الخلـــق.. كـــي تـــسمو قوافينـــا
بالبـــاب أَرْسِـــلُ آهـــاتي معذبـــةً
إنـــا بأعتـــابكم نـــشكو.. أجيبونـــا
يا أكرمَ الرُّسْلِ وَجْدٌ في القلوب سرى
فاسترســـل الـــشوق يعـــصِرنا ويطوينـــا
يـــا ســـيد الخلـــق فامـــسحْ غلـــةً ظمئـــت
والحـــبُّ مـــن كأســـكم يـــروي ويرضـــينا
لا شيء نملـــــــكه إلا محبتُـــــــكم
نرجـــو بهـــا نـــسبًا.. بـــين المريـــدينا
يـــا ســـيد الخلـــق إن العـــجز يحرمنـــي

(1) لم يفهم الأستاذ عبد السلام (مناصي)كما أخبرني فبدلها إلى (نواحي) وأظن منـاصي قـصد بهـا الـشاعر جمع ناصية.. وأبلغ منها (نواصي).
(2) من هنا بدأ (أبو مازن) الإنشاد في نشيده (سيد الخلق).

مـــن عذبـــة القـــول في الـــذكرى لراعينـــا
يـــا ســـيد الخلـــق.. لا فـــرحٌ يـــداعبنا
والـــريح تـــزأر حمقـــى في صـــحارينا
والعـــين تلمـــح أعـــداءً لنـــا مكـــروا
وأشـــعلوا النـــــار في ريَّـــا روابينـــا
يُهَـــدِّمُونَ صُرُوحَ الخـــيرِ مـــا وَسِـــعَت
يَـــدُ الـــدمار.. ليـــدنو مـــن مغانينـــا
يـــا منـــة الله للـــــدنيا ورحمـــــتَهُ
للعـــــالمين.. أتينـــــاكم فزورونـــــا
فلتعـــصفي يـــا ريـــاح الـــشر إن لنـــا
جبـــالَ شـــهْبٍ عـــلى الـــساحات تنجينـــا
هـــذي الدمـــاءُ التـــي تجـــري مطهـــرة
ســـتنبت الـــشوك في الأحـــشاء غِـــسلينا
إن الـــــشهادة في أمجادنـــــا شرف
وجنـــة الخلـــد حُـــسنى ســـوف تغنينـــا
فـــأكثرِ الـــذكر للرحمـــن في ســـحر
فالليـــل يـــشهد مـــا يتـــلو المناجونـــا
والفجـــر يعـــرف للقـــرآن منزلـــة
شـــهدت برفعـــتها آيـــات مُنـــشينا (1)
الله أكـــبر.. مـــا صلـــت مـــواكبُكم
وضـــج ساجدكُـــم بالـــدمع.. راجينـــا
الله أكـــــــبر.. إن الله منتـــــــصر
للحـــق في أرضـــنا.. فامـــضوا ملبينـــا

شوال رجب رمضان محرم

(1) في وزن هذا الشطر كسر لم نشأ تصحيحه حفاظاً على المعنى، وإن رأى الشاعر عبد الله رمضان غير ذلك كما بينا في المقدمة وغيره أبو مازن (مشينا) عند إنشاده إلى (بارينا)..

المادحون

في ذكرى الإسراء والمعراج، تقليديةٌ، ركزت على المعاني المتداولة في مثل هذه المناسبة العظيمة، استلهم فيها أحداث السيرة النبوية الغراء؛ لكنه - كعادته - لا ينسى التبشير بالفجر القادم، والصحوة التي ستعيد قيادة الدين للحياة، ويقظة العملاق الذي سيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جورًا:

المادحـــــون تـــشرفوا بمديحـــه
والعاشـــــقون تنـــــعموا بهـــــداهُ
والمخلـــــصون تـــــأدبوا بمقامـــــه
والمخلـــــصون تـــــشفعوا بحـــــماه
والجنـــة الخـــضراء أبـــدت لهفـــةً
وتحركـــــت أشـــــواقُها للِقـــــاهُ
وسرت إلى الأمـــلاك عـــذب بـــشائرٍ
إن الحبيـــــب يحـــــين وقـــــت سُراه
يـــا خـــير خلـــقِ الله ذكـــرُك مـــؤنسٌ
حـــــسبي بهـــــذا الـــــذكر أن ترعـــــاه
أسرى بـــك الـــرحمنُ أســـعدَ مرسَـــلٍ
لتـــــنال قربًـــــا جـــــلّ في معنـــــاه
صـــليت بالرســـل الكـــرام جميعِهم
أنـــــت الإمـــــام.. وكلَّهـــــم يرضـــــاه
جُـزْتَ الـسماءَ وجـزت مـا بعـد الـسما
شرُفَ الفـــــؤادُ وكُرِّمـــــت عينـــــاه
كـــل لـــه حـــدٌّ.. ويرجـــع عنـــدهُ
والمـــصطفى فـــوقَ الحـــدود مـــداه
جبـــريل قدمـــه لحـــضرة ربِّـــهِ

والـــسرُّ فـــوق الـــسر مـــا أوحـــاه
أقـــلامُ غيـــبِ الحـــق أنـــت سمعتَـــها
وصريفُهـــا يجـــري بفَـــصْل قـــضاه
ورأيـــت آدم فاستـــنار جبينُـــه
يـــا قـــرة العـــين التـــي تغـــشاه
أنـــت المقـــدَّم.. والمقـــدِّم غـــيره
والكـــل يـــستهدي بنـــور هـــداه
يحيـــى وعيـــسي رحَّـــبا بمحمـــدٍ
بـــشرى المـــسيحِ.. تحققـــت بـــشراه
ورأيـــت يوســـفَ والجـــمالُ يحوطـــه
والحـــسنُ أنـــت جلالُـــه وبهَـــاهُ
وعرفـــتَ مـــن رُفعـــت لـــه درجاتـــه
إدريـــسَ صـــديقًا.. وصَـــدّقناه (1)
هـــارون.. موســـى.. والـــدعاءُ معطـــر
نعـــم الإخـــاء.. إذا التقـــى مرمـــاه
ومـــن الخليـــل حملـــت حُلـــوَ ســـلامه
للمـــسلمين.. ونعـــم مـــا أهـــداه
والبيـــت معمـــورٌ بـــأشرف طـــائف
وملائـــكُ الرحمـــن في مـــسعاه
والـــسيد المختـــار يـــشرق ظـــاهرًا
جـــلَّ المـــديحُ بـــذكره ودعـــاه
جـــاز الخـــوارقَ كلَّهـــا متفـــردًا
لا الكـــونُ يحجـــبُه ولا مبنـــاه
صـــلوا عليـــه.. تعلقـــوا برحابـــهِ
يـــا طيـــب هـــذا الجـــاه؛ مـــا أعـــلاه

(1) يرى الشاعر عبد الله رمضان أن هنا سقطًا، ولكن سمعتها من فم الشيخ يرحمه الله هكذا.

الله أكـــــبر.. إن رَكْـــــبَ محمـــــدٍ
ظهـــــرت بـــــشائرُه.. وعـــــمَّ ســـــناه
والـــشِّرعةُ الـــسمحاء يبـــدو نورُهـــا
يجلـــو ظـــلام الليـــل.. مـــا أقـــساه
والـــدينُ عـــاد إلى الحيـــاة يقودهـــا
أكـــــرِم بـــــه مـــــن قائـــــدٍ نلقـــــاه
ومـــساجد الـــرحمن يعمرُهـــا التقـــى
واســـــتيقظ العمـــــلاق مـــــا أقـــــواه
فاستمـــــسكوا بـــــالله واحمـــــوا دينـــــه
وغـــــدًا ســـــنفرح بالحبيـــــب.. نـــــراه

مُحَرَّمٌ رَجَبٌ رَمَضَانُ مُحَرَّمٌ

* * *

مصعب بن عمير رضي الله عنه (□)

مشهد مسرحي شعري - على قصره - مُكَثَّف، ولفت الأنظار في السبعينيات لروح جديدة في أشرطة أبي مازن؛ لأنها نحت منحىً مختلفًا عن جمهرة قصائد الأشرطة.. لكن من هو مصعب هنا؟

هل هو ذلك الصحابي الشاب الناعم المدلل، الذي ترك الدنيا خلف ظهره، عَجَلاً إلى الله تعالى ليرضى عنه؟ أم هو تنبيهٌ لرمز سيقوم، يريد وجه الله تعالى – رغم الدنيا وزخرفها؟ أم هو الشاعر نفسه، الذي بحث عن الحق حتى وجده فلم يلتفت، وجعل الدعوة إليه هجيراه وهدفه الأسمى؟:

وكان مصعبٌ معطرًا
بأندرِ العطور
وكان يلبس الحريرْ
وكان شامةً أحبت الحياة
وزهرةً تنفَّست روائحَ النعيم

***

وفجأةً تغيرت ملامحُه
وحينما رأته أمُّه تجهمت
نادت أباه:
- يا عمير:
صغيرُنا الحبيبُ مُثْقَلٌ بسرِّهِ
لا بد أنه أحب!

***

- هوِّنْ عليك يا فتى
لو أن من أردتَها تقيم في القمرْ

---

* في هذه القصيدة نوَّع الشاعر بين تفاعيل بحري الكامل والرجز كما بين. عبد الله رمضان.

لو أن دارَها بعيدة
عصيَّـةُ السفر
لو أنها تقيم في جناح طائرٍ
أو بين أنفس الدرر
لأتت إليك – إن أمرتَ – دون لمحة البصر

***

ضَحِكَ الجميع حولهُ
لكنه لم يبتسم
وسرى الوجومُ قاسيًا
على مشارفِ النغم
وطال صمتُـهُ
حتى انتهى مطافُ صبرهم

***

فتحركت في البيت صيحةُ الغضب
لا بد من نهايةٍ لذلك العجب
ولم تطل إجابتُـهْ
في لفظتين قالها:
– لا إله إلا الله، محمد رسول الله
وتحرك الطوفانُ نحوهُ
لكن سرَّه المنيعَ صـدَّهُ

***

– أمي.. أبي
لقد عشقت نوره[1]

(1) يعني الحبيب النبي ﷺ وآله وصحبه وسلم.

عيناي تبصران حينما أراه
وحينما يردد الحديث مشرقًا
أحِسُّ أنه يقدِّمُ الحياة
يحرر القلوبَ؛ كي تسبح الإله

***

- أمي.. أبي:
قد عاود النداءَ صوتُـهُ
وإنني أدعوكما؛
فلتذهبا معي إليه

***

- يا للأسى
لن أنتظر
دعانيَ الحبيبُ أن أجيب
لبيك يا حبيب
لبيك يا حبيب

***

وحينما تحركت خطى الوداع في الطريق
لم تكتم العيونُ دمعها
لأنه أحبهم
لأنه إذا ابتدا المسيرَ
لن يعود!

* * *

إســـراء

آيـــاتُ ربي - عـــلى الأيـــام - باقيـــةٌ
وللليـــالي بهـــا حَـــجْبٌ وإفـــضاءُ
ثمارُهـــا في ظـــلال الغيـــب دانيـــةٌ
والغيـــب في سِـــتره سرٌّ وأضـــواء
يعطـي لمـن شـاءَ.. والإعطـاءُ منحتُـه
أقـدارُه فـوق مـن شـاؤوا.. ومـا شـاؤوا
وهْـوَ الـذي كونُـه يُطـوى بقبـضته
الله أكـــبر.. للقهـــار أســـماء
لـولا رجـائيَ مـا فاضـت منابعُـنا
بمـدح مَـنْ ذكـرُه فـضلٌ وإيـواء
قـد ينفَـدُ البحـر.. والآيـاتُ زاخـرةٌ
وللقـــلوب بهـــا رِيٌّ وإظـــماءُ
ألقيـتُ بـالروح في أمواجـه فرِحًـا
سَـــبْحُ المـــسبّحِ ترجيـــعٌ وإصـــغاء
أرجِّـــع الـــشوقَ في الـــدنيا.. أردِّدُه
لحنًـــا.. يطيـــب بـــه مـــدحٌ وإطـــراء
أسرى فكـان لـه بالفـضل معجـزةً
آيـــاتِ حـــق.. لهـــا خفـــقٌ وأصـــداء
يـا قـدسُ.. يـا حرمًـا ديـست مهابتـه
وحـــلَّ فيـــه لهـــذا الـــشرع أعـــداءُ
أنَّـــى تعـــود إلى المحـــراب حرمتُـــه؟!
والمـــسلمون بكـــل الأرض أشـــلاءُ

حادوا عن النهج؛ فاستعلت خصومهمُ
فليس يعلو سوى وهمٌ.. وأهواء [1]
سِرٌّ سرى من حبيبِ الله نعرفه
ولا يكونُ له وصفٌ وإفشاء
أمَّ الكريمُ كرامَ الخلقِ كلِّهمُ
وإذ أتى المصطفى أبصرتَهم جاؤوا
شرابُه لبنٌ.. طابت منابعه
لا الخمرُ في زاده يحلو.. ولا الماءُ
ولا الزمانُ هنا ندري حكايتَه
ولا المكانُ له وزنٌ وإغراء
الله أكبر من في الكون غيرُهمُ؟
ربٌّ.. وحبٌّ.. وتكريمٌ.. وإعلاءُ
رحماك بالنفس دون الغيب غايتُها
فالأمر وحيٌ.. وتشريفٌ.. وإسراءُ
يا حاديَ الروح: طابت كلَّ خاطرةٍ
بالحب يدفعُها شوقٌ وإعياءُ
تهفو لبابك كي تحمي ضراعتها
فالدين يبكي.. وكم في الليل بكَّاء [2]
نوافذ الغيب لا تفنى عجائبُها
وكم لنا أملٍ في الله وضَّاء

(1) قال الأستاذ عبد السلام: قوله (فليس يعلو سوى وهمٌ وأهواء) خطأ، ولحن جلي، و إقواء عروضي، واقترح ان تكون (فكل هم الورى وهم وأهواء)..

(2) من حق (بكاء) و (وضاء) أن تكون مجرورة لا مرفوعة، وهذا لحن نحوي واضح.. عبد السلام.

والمـــسلمون كثـــيرٌ غـــيرَ أنهـــمُ
لنـــور هـــديك مـــا عـــادوا ولا فـــاؤوا
والعاديـــاتُ خطـــوبٌ.. أنـــت تعرفُهـــا
عـــزَّ الـــدواءُ لهـــا.. واســـتفحل الـــداءُ
هـــذا الفـــؤاد[1] إلى الـــرحمن أطلقـــه
والمرتجـــى عنـــده صـــفحٌ وإعطـــاء
وهْـوَ الهـوى في حنايـا القلـب نظهـره
فالحـــب في شرعنـــا ديـــن وإحيـــاء

* * *

(1) كان البيت (هذي يداي إلى الرحمن أطلقها) ولا يوصف المثنى بالمفرد.. فهذا خلاف القاعدة.. عبد السلام.

يا رسول الله جئنا

لعل هذه القصيدة كانت في إحدى رحلاته للعمرة [1]، قالها باثًّا أشواقه لرسول الله ﷺ وللحرم المدني الشريف، يتأمل وديانه وجباله، ويتحدث عن الشوق الذي ينتاب حتى الحجارة، فيحيلها قلوبًا ذات مشاعر رقراقة. والقصيدة من أحلى ما أنشد أبو مازن:

أسفر الفجرُ ولاحت ... من ثنايا البشائرْ
وأتينا يا حبيبي ... وجناحُ الشوقِ طائرْ
ما ركبناها مطايا ... بل قلوبًا ومشاعر
كلما أطرب حادٍ ... جدَّ في السيرِ المهاجر
يا رسول الله جئنا ... تسبق الخطوَ الضمائر
رحمةَ الله أتينا ... يا شفيعًا للعشائر
هذه كلَّ منانا ... ونسيمُ القرب عاطر
جئتُ للنور لأجلو ... كلَّ ساحاتِ الخواطر
أطلب البُرءَ لسقم ... لا يراه غيرُ قادر
أطلب الفضل عطاءً ... تحتمي فيه السرائر
أطلب الزاد لقصدٍ ... لا يدانيهِ مسافر
أطلب الجودَ بدارٍ ... جودُها كالبحرِ زاخر
هذه الوديانُ تروي ... عزَّها بين الحواضر
والجبالُ الشمُّ تدري ... كلَّ مشتاقٍ وزائر
ولها حبٌّ شكَتْهُ ... فحكته.. لم تحاذر
فإذا بالصخرِ قلبٌ ... حنَّ فاهتزَّ كشاعر
يسمع الأمرَ فيصغي ... ويلبي خيرَ آمرِ

(1) بيَّن الشيخ – في حديث للتليفزيون الإماراتي – أنها كانت في رحلة حج. والمقدمة لعبد السلام.

ذاب مـــن وجـــدٍ طروبًـــا ورســـــولُ اللهِ حـــــاضر
يـــا نبيِّـــي يـــا حبيـــبي غيثُـــك المحمـــودُ غـــامر
كفَّـــك العـــذب يُـــروِّي كـــلَّ مغفـــورٍ وحـــاسر [1]
كفَّـــك العـــذبُ عيـــونٌ أشـــبعت يـــومَ المخـــاطر
ماؤهـــا يـــشفي علـــيلاً داؤُهُ خـــافٍ وظـــاهر
جئـــت يـــا عينـــي وقلبـــي ذاك ربحـــي إذْ أتـــاجر
مـــا بقلبـــي لا يُبَـــدَّى؟ فاكـــشف الحجْـــبَ لنـــاظر [2]

* * *

(1) المغفور عكس الحاسر، وهو المغطي رأسه.

(2) كتب لي الأستاذ عبد السلام: يا د. أكرم: لم أفهم المراد بالبيت الأخير، فأرجو مراجعة الأصل، وعلق الشاعر عبد الله رمضان عليها قال: « ربما كانت بيدي » فيرى مراجعة الأصل.. وهي هكذا في الأصل «لا يبدَّى ».. ومعناها: (لا يظهر)، **ومعنى البيت** إن كل ما في قلبي من مشاعر هذه اللحظات لا أقوى على إبدائه، أو لا تقوى الكلمات على وصفه، فأسألك يا رب أن تكشف لي الحجب؛ لأرى بعين قلبي ما ينفعل داخله. وهي لحظة وجد وحب. وأظن أن الشيخ رحمه الله يصدق على قول علماء الصوفية مثل الجنيد والغزالي أن كثيرًا مما في قلوبهم، لا يستطيعون الإفصاح عنه.. ومن يفصح عنه منهم فقد يخلط في الكلام.. فهو يقف عند حد الأدب، ويطلب من الله الكشف لما حجب عنه.

حبيبتي.. بلادي[1]

بكائية دامية على الوطن، و(نكسويةٌ) من إفرازات الهزيمة المرة التي منيت بها الأمة التي ركضت وراء السراب، وصفقت للنمور الورقية، وانخدعت بالمواكب الاستعراضية الزائفة، التي أعشت عيونها عن الوطني الحقيقي، الذي كان مستعدًا - بمنتهى الحب والطواعية - أن يعطيها دمه وماله، وكل ما يستطيع؛ ببساطة لأنه صادق في حبها إياها، ولأنه يراها تستحق هذا العطاء والسخاء!

وهي إضراب إبراهيميٌّ عن الكلام، والكتابة، بعد أن عي اللسان، وانقصف القلم، وذَهِل اللب، فلا يستطيع - لهول ما علم ورأى - أن يصدق أو يقبل! ثم يتراجع في النهاية - لما يرى من بقايا الرجاء - ويطلب من بلاده الحبيبة أن تزيل قيوده، ليستعيد لها عزها، ويسترد كرامتها.. فهل من سميع؟!

حبيبتي
قد كنتُ أصنعُ الكلامَ من دمي
وكنتُ أعزفُ النشيدَ هامسًا
لعله إلى الفؤاد ينتمي
وكنت أكتبُ الحروفَ واحدًا فواحدًا
لتقرئي.. لتفهمي
وكنتُ يا حبيبتي وكنت

***

والآن يا حبيبتي
لن أكْملَ الحديث
وإن بدا مشوِّقًا
فليس ما أريدهُ إثارةَ الطربْ
أو أن تحركي الشفاهَ من دلائلِ العجب

(1) هذه القصيدة من أروع ما قرأت في الشعر الحديث وواضح حبي لها أني رددتها في هذا الكتاب في أكثر من موضع. أكرم

ولن أُتـمَّ يا حبيـبي النغم
فقد رأيتُ ما يحرِّمُ النشيد ألف عام
فصرتُ كلما
بدأتُ في الغناء
أجهشتُ بالبكاء

***

لن أُمسك القلم
فالرعشةُ التي سرَت في قلبيَ المنهوكْ
أصابت المواقعَ الخضراء بالعقَم
فلم تعد تجيدُ غيرَ نبضةِ الألم

***

لن أكملَ الحديثَ يا حبيـبتي
فشمعتي في ليلة الجفاءِ أُطفئـت
وأكذَبُ الأصواتِ في هواك
قد علت
وقصة الكلام كلُّها
قد انتهت

***

حبيبتي
وكلُّهم بالأمسِ كان في الهوى متيمًا
حبيبتي
وأين هم؟

في ليلك الحزين
وأين يا حبيبتي الأمير زائرًا
في الموكب الكبير
يملأ الطريقَ بالعطورِ والزهور
يختال فوق صهوةِ الجواد؟!
وأين يا حبيبتي غناءُ شاعرِك؟
قد سال بحرُه منغمًا من بسمتِك
وأين يا حبيبتي يمينُ عاشقٍ
أتاك يسبق الرياحَ كي يُرَى بجانبك

***

خُدعت يا حبيبتي
بكت بكفِّك الجراحْ
وارتوت بدمعكِ السفوحُ والجبال
ناحت رمالُها
في ليلة الحداد حين زارها دمُك
شكت سهولُها
لوطأة البغي يستبيحُ حرمتَك

***

حبيبتي بلادي[1]
نسيتِ في موائد الثناء
سيدًا تعشّقَ الفداء

(1) أضفت هذه الجملة لاستكمال الموسيقى..وأضافها أبو مازن عند إنشاده القصيدة وجعل هذا الشطر كله مقدمة لها بل ونهاية.

الموت عنده حياة
أحب دائمًا أن ترفع الجباه
وكِـفةُ الكلام عندَه
نصف كفة العمل
أحب أن يراك مسجدًا
مقـدسًا ثراه
لا يُـنال تربُه
نسيـتهِ مقيدًا
شُغلت عنه بالبريق
من سيطفئ الحريق غيرُهُ
ومن سيمسح الجراحَ
إن جهلت سرَّهُ

***

الرعبُ يسبق الخطى لَخصمه
وألفُ سهمٍ للصدور
تقـتدي بسهمه
وحفنة الرمال من يديه
تملأ العيون بالعمى
وسيفه بريقـُه صواعقٌ
ستحفظ الحمى

***

حبيـبتي
ولم تزل في أفْـقنا بَقيَّةٌ من الرجاء
حطِّمي قيوده
لتحتمي بسربه

لتصنعي حياتنا به
لتسمعي دعاءَه.. بكاءَه
يستمطر السماءَ زَادَهُ.. ونَصْرَهُ
ويستغيث ربَّــهُ
فحطِّمي قيوده

رجب شعبان رمضان محرم

* * *

لحظة الوصال

في الحادية والعشرين من عمره القصير كتب الشيخ هذه القصيدة المفعمة بالحب الإلهي، التي يمتزج فيها الرمز الصوفي، بالطبيعة الموحِّدة، بالهمة العالية، والصدق العقيدي الذي يملأ جوانح شابٍ بلا صبوات، يحسن التعبير عن تدينه وحبه لله، بطريقة غريبة - في هذه المرحلة - على الأزهر، والشعر الإسلامي، والتيارات الصوفية، والجيل، والمرحلة! بل هي خطاب استشرافي، وقراءة من الشيخ لمستقبلٍ سيعيش حلاوته ومرارته، محبًّا لله، راضيًا عن الله، طامعًا في الله، متعجلاً لقاء الله!

سنذوب سيدي في لحظة الوصال
سَنَمَّحِي
سينتهي السؤال
ستهدأ الودائعُ التي في داخل الصدور
ستستقر في مرافئ الأمان
بعد رحلة الضنى
ستكشف الستور
سيظهر المخبوءُ عن شواهد العيون
وعند ذاك سيدي
وعند ذاك
تمضي بنا الرياحُ في كلِّ اتجاه [1]
ونركب النجوم في تَجوالها الغريب
في مسيرةِ الضياء
وتختلي مع الذي لم يعرفِ الملل

(1) يرى الشاعر عبد الله رمضان أن الوزن هكذا مكسور وصحته استبدال (كل) بـ (كلما).. وأبقيت ما سجله الشيخ رحمه الله.

ورغم قسوة الظـلام حولَـهُ اكتمل
نطير في سحابةٍ مسافرة
في رحلةٍ لم تعرف البشر
ونرقب الغِرِّيدَ حالمًـا مسبحًا
في قمةِ الشجر
ونستريحُ عند شاطئِ الجليد
في مغارةٍ بيضاء
تذيبها حرارة النظر

***

مشتاقـةٌ إليك سيدي جوارحي
مشتاقةٌ إليك في القلوب لمحةٌ
محتاجةٌ من نورك الفياضِ
بعضَ ما يَبُـلُّ غُلـةَ الظما
تشققت في الصدر سيدي مواطنُ الزروع
بعضَ الندى
أو قطرةً من المطر
تردُّ قصة الحياة
حتى يحين موعدي مع اللقاء
وعند ذاك سيدي
وعند ذاك
سينتهي السؤال
نذوب سيدي
في لحظة الوصال

هُـوَ ذاك

مشهد مسرحي قصير، يدين الأوامر الفوقية بالقمع، وقطع لسان كل من يفكر أن يكون حرًّا، ولا يعفي المستترين وراء نعالهم من المسؤولية!

- هو ذاك سيدي
- ذاك النحيل؟

فلتقتلوه

لا.. الموت راحةٌ.. فعذبوه

ومزقوا بشهوة السياط عزتَـهْ

وحرِّقوه

لا ترحموه

وراقبوا الطبيب

والشارةَ الحمراء والسوداء في يده

يـأيها الطبيب

يا دُمْيةً تهشَّمت

فلتُحْضِرِ الدواء

ولتختفِ الجراحُ بالجراح

يـأيها المسوخُ مزقوه

ذاك الذي أراد أن يكون سيدًا

في حانة العبيد

* * *

أنوار الروضة (1)

أنــوارُ الروضــةِ تغــشى العــينَ.. وتــــــسكب في قلبـــــي سرا
وكـــأن الجنـــةَ قـــد فُتِحَـــتْ فـــإذا الأنفـــاسُ بَـــدَتْ عطـــرا
والـــــروح تحلـــــق طـــــائرةً فالليـــل هنـــا يغـــدو فجـــرا

***

الجنـــــة غيـــــبٌ نـــــشهده والقلـــب يمـــد لنـــا بـــصرا
يـــا خـــير الأرض: لـــك البـــشرى أمجـــادك لم (تُغْفِـــل) فخـــرا

***

فهنـــــا آثـــــارُ معلمِنـــــا كـــم صـــعد المنـــبرَ كـــم مـــرَّا
وهنـــا قـــد ســـار.. وقـــد صـــلى وهنـــا قـــد ســـجد.. وقـــد نظـــرا
كـــم رتـــل آيـــاتِ القـــرآنِ وأهـــدى مـــن فَمِـــه عِـــبَرا؟!
لم يـــزل الـــصوتُ يعلمنـــا والروضـــة قـــد حفظـــت أثـــرا
وثـــمار الهَـــديِ بهـــا تزكـــو مـــا أحـــلى الدوحـــة والثمـــرا!

***

ويحـــن القلـــبُ حنـــين الجـــزعِ أبـــان الحـــبَّ ومـــا ســـترا
ورســـــولُ الله يـــــسكِّنهُ مـــا احتمـــل الجـــزعُ ومـــا صـــبرَا
قـــد سَـــعِدَ الجـــزعُ بـــضمته واحتمـــل البعـــد إذا قُـــدِراَ

***

(1) نقلتها من إلقائه عن أحد برامج التليفزيون في الإمارات، وقد وضعت (تغفل)، مكان كلمة : (تبقى) لأنها لحن جلي، ولا تصح نحوًا.. وكذا غيرت (ما زال) إلى (لم يزل) لتصح لغة ، والله أعلم عبد السلام.

يـــا روضـــةُ: أيقظـــتِ الأشـــواق فأضـــــحت في فمنـــــا ذِكَـــــرا
فبكـــــل مكـــــان فيـــــك هـــــوىً يبعثـــــــــه الحـــــــــب إذا أسرى
كـــم عـــينٍ فيـــك بكـــت شـــوقاً وقلـــوبٍ قـــد هتكـــت سِـــتْرا
وهنـــــا الأحبـــــاب مـــــواكبهم تتـــــابع أمـــــواج تـــــترى
قـــد جـــدوا الـــسير.. ومـــا وهنـــوا مـــن ســـفرِ طـــال ومـــا قَـــصُرَا
فـــالحزن هنـــا يعْـــدو فرحًـــا والـــــــسُقْمُ بأعتابـــــــك أَسِرا
واللحظـــة في تلـــك الروضـــات تـــساوى عمـــرًا بـــل دهـــرا

* * *

الملاحق

1- خبر وفاة الشيخ (المانشيت الرئيسي) لجريدة النور الإسلامية (الأربعاء 26 رمضان 1403هـ، 6 يوليو 1983م) بقلم الحمزة دعبس رئيس التحرير، ينعي الشيخ إبراهيم عزت.

2- كلمة بقلم الحمزة دعبس بعنوان (وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

3- تحقيق لجريدة النور حول الشيخ بعنوان: (جوانب من حياة الداعية الإسلامي الكبير إبراهيم عزت يرويها والده ورفاقه في الدعوة الإسلامية وزملاءه في العمل).

4- قصيدة في رثاء الشيخ بعنوان: (وداعاً حادي الركب) للشاعر «ياسر إبراهيم» عضو رابطة الأدب الإسلامي وكان من تلامذة الشيخ رحمه الله تعالى.

5- من روائع البسيوني قصيدة عن الشيخ رحمه الله كتبها خصيصاً لهذا الكتاب.

* * *

مُحَرِّرُهُ - نعي جريدة النور الإسلامية:

إنا لله وإنا إليه راجعون

الشيخ إبراهيم عزت في رحاب الله[1]

ومات الشيخ وهو في طريقه للاعتكاف بالبيت الحرام كتب **الحمزة دعبس**، رئيس التحرير:

فقدت الدعوة الإسلامية في نهاية الأسبوع الماضي رجلاً فذًّا من رجالاتها، طاف أقطار الأرض في العديد من قاراتها، داعياً إلى الله سبحانه وتعالى، قضى نحبه وهو في طريقه إلى الأراضي الحجازية، قاصداً اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، في رحاب الكعبة المشرفة، وفي مسجد سيدنا رسول الله ﷺ؛ كما اعتاد ذلك طوال السنوات الأخيرة الماضية.

وكان من نيته رحمه الله الخروج في سبيل الله بعد ذلك إلى المملكة الأردنية الهاشمية، أو جمهورية لبنان الشقيقة، لإحياء الدين كله في العالم كله، وإلى أن تقوم الساعة.

صلى رحمه الله بالناس على الباخرة المتجهة إلى جدة صلاة المغرب، يوم الخميس الماضي، وبعد تناوله طعام الإفطار فاضت روحه الكريمة بين أخيه محمد سليمان وابنه الصغير محمد إبراهيم عزت، الذي لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وبين إخوته في الله الخارجين معه لعمرة شهر رمضان المعظم.

رفضت السلطات السعودية في أول الأمر - كما تحدث بذلك أخوه محمد - تليفونيًّا - إدخال جثمانه إلى الأراضي السعودية، وقد تم الاتصال بقنصل جمهورية

(1) هكذا صدرت جريدة النور الإسلامية الأسبوعية، التي كانت تصدر عن حزب الأحرار بالقاهرة، يوم الأربعاء 26 رمضان 1403 هـ الموافق 6 يوليو 1983م، وكان هذا هو المانشيت الرئيسي للجريدة.

مصر العربية في جدة، الذي بذل جهد الطاقة مع السلطات للتصريح بدخوله، ومن جدة اصطحبه رفاقه إلى مكة المكرمة حيث أدوا عليه صلاة الجنازة بعد أداء صلاة الفجر يوم السبت الماضي في المسجد الحرام لصيقًا بالكعبة.

وقد دفن رحمه الله تعالى في مكة حيث تدفن أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجة رسول الله ﷺ .

والفقيد الذي جاوز الأربعين بقليل كان من أوائل من أدخلوا دعوة التبليغ في مصر، حيث يفرغ المسلم بعض وقته للاجتهاد على المسلمين؛ حتى يذكرهم بحقائق الإيمان، والعمل لصالح دينهم ودعوتهم، ليكونوا بدورهم دعاة يخرجون دعاة إلى دين الله، واستنهاض الهمم لتتفرغ لدين الله بعض الوقت، وتبذل قصارى جهدها في القيام بالتزامها الذي غفل عنه المسلمون، وهو ألا يكونوا عبادًا فحسب بل يكون كل منهم داعية إلى الخير؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران].

وبث الفقيد الكريم - ومن تمكن بفضل الله من إيداع هذه المفاهيم الإسلامية النقية في قلوبهم - حقيقة أن كل مسلم مكلف بأن يكون داعية إلى الخير؛ تنفيذًا لأمر الله تعالى في قوله الكريم ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف] وقد تجمع حول هذه الدعوة الكريمة مئات الألوف من الرجال والشباب، يجوبون مصر والبلاد العربية والدول الآسيوية والأفريقية والأوربية والأمريكية.

وكانت تنطلق من بعد ذلك - وفي فجر الجمعة - الجماعات إلى جميع قرى وأحياء مصر لدعوة الناس؛ ليكونوا دعاة إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، مؤمنين بالله رب العالمين، متحدثين إلى الناس - بلا تفرقة - عن الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) موصين إياهم بأداء صلاة ذات خضوع وخشوع، محرضين الناس على العلم مع الذكر، مبينين مدى ما في إكرام المسلمين من خير عميم لهذه الأمة، مؤكدين أن بذل هذه الأعمال كلها لا يكون إلا بإخلاص لله رب الناس، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، طالبين منهم أن يحذو حذوهم في بذل الجهد لدين الله، والخروج في سبيله إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ دعاة إلى دينه، مبلغين سنة حبيبه ﷺ .

ونشط العمل لدين الله نشاطًا نظيفًا، خاليًا من الشوائب، في ظل المد الإسلامي الذي شهدته مصر في السبعينيات. وكان لدعوة الفقيد العزيز بالغ الأثر في هذا المد العظيم. ومن الجدير بالذكر أنه لم ينسب لهذا النشاط أي مآخذ سوى بعده عن السياسة، وامتناع القائمين به تمامًا عن الحديث في الأمور السياسية عند الدعوة.

لقد كان الشيخ إبراهيم عزت - الذي تخرج من كلية التجارة، وعمل في سلك الحكومة، وتدرج فيها حتى أصبح مديرًا عامًّا بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة - مثلاً فذًّا فريدًا لمن أراد أن يعلم أن للشباب وللرجال الذين نالوا حظًّا وفيراً من التعليم المدني العلماني أن يرتبط بدين ربه، حتى يعلم منه الكثير، وأن ينشط لدينه كما ينشط لدنياه، يعمل لهما معًا، ولا يغفل أحدهما، وأن يطوع عمله وحياته في الدنيا لتعاليم ومفاهيم الإسلام؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام].

لقد مضي الشيخ إبراهيم عزت، تاركًا في قلوب أحبابه ومريديه ورفاق طريقه في الدعوة إلى الله أطيب الأثر، ولا زالت صيحته تتردد في الآذان:

احذروا التسويف؛ فإن الموت يأتي بغتة.

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب] وإنا إذ نسأل الله تعالى أن يتغمد الفقيد العزيز بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جنته، مع الأبرار والصديقين والشهداء والصالحين، ونضرع إلى الله العلي القدير أن يلحقنا به على الإيمان والإسلام والتقوى، غير خزايا، ولا مفتونين، ولا مبدلين، ولا مغيرين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(2)

وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون

ثم كتب **الحمزة دعبس** كلمة تعزية حزينة تحت عنوان: [**وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**] في جريدة النور، العدد الأسبوعي (**كلمة النور**) قال فيها:

في فتوة الرجولة، وفي ريعان الإيمان بالله، وفي طريقه إلى بيت الله الحرام، خارجًا من بيته مهاجرًا إلى الله، قضى الحاج **إبراهيم عزت** نحبه، رحمه الله، فوقع أجره على الله، وما كان لمثله بفضل الله أن يموت إلا بهذه الطريقة؛ فهو عاشق المحاريب التي طالما وقف أمامها يؤم الألوف من المصلين، يتواكبون عليه من كل حدب وصوب، يستمعون إلى صوته الرخيم يرتل آي الذكر الحكيم، فتخشع القلوب، وتهيم الأفئدة، سابحة مفكرة، متأملة متضرعة، ولا تلبث أن تنتحب باكية، فتغسل هموم الدهر كله؛ وإن علت وتراكمت.

عاشق المحاريب الذي تعلق قلبه بالمساجد، فما يخرج منها إلا وهو في لهف على العودة إليها، يذوب في المحاريب ذوب الحبيب بحبيبه، والأليف بأليفه.

عاشق المحاريب الذي طاف بمساجد العالم كله، فيتخذ من بيوت الله بيوتًا، وينطلق منها وصحبه لدعوة الناس إلى الإيمان، وصالح الأعمال.

رجل المنابر قوي الصوت، سليم النبرة، رائع الحجة، ثابت الجنان، يقوم الليل متضرعًا باكياً، داعيًا رب العزة أن يرفق بأمة حبيبه، داعيًا الله عز وجل أن يهدي الناس جميعًا، متبتلاً إلى ربه في سرية بالغة أن يجعله وصحبه هداة مهدين، لا ضالين ولا مضلين، ولا مبدلين ولا مغيرين، فكان كلامه يخرج من القلب؛ ليدخل إلى القلوب.

رجل إذا رأيته رأيت رجلاً من السلف الصالح: لين العريكة، طويل الصبر، حكيم الرأي، دائب الحزن، في غير تأفف ولا أنين، حبيب الكلام ، أليف المعشر، سائغ البيان.

رجل – لا نزكيه على الله – ولكن نشهد له بما أمرنا به رسول الله ﷺبقوله: « إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ»[1] وقد رأيناه ملازماً للمساجد، معتادًا التردد عليها، متعلقًا قلبه بها، فتشهد لك يا إبراهيم بالإيمان.

وكما فاضت العيون معك من الدمع في خطبك، وفي أحاديثك، وفي تلاوتك للقرآن، فإنها اليوم تفيض بالدمع؛ أسىً على فراقك، وتألم القلوب لوداعك، ولكنْ عزاؤنا أنك كنت تعمل دائبًا لهذا اليوم، فكم رأيتك تقرأ القرآن سرًّا وفي مصحفك، منعطفًا على محرابك، محافظًا على ختمه، لتعود وتكر عليه في لهف وشوق بالغين.

إيه يا إبراهيم: إنا لا ننعيك، ولا نتخوف على مصيرك ومآلك، فإن قلوبنا مطمئنة إلى مرقدك في مكة المكرمة، أحب بلاد الله إلى الله، ولكنا نقول كما قال نبينا صلوات الله وسلامه عليه:

إن العين لتدمع

وإن القلب ليحزن

ولا نقول إلا ما يرضي ربنا

وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون

وإنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

(1) رواه ابن ماجة، كتاب (المساجد والجماعات)، باب (لزوم المساجد وانتظار الصلاة).

(3)

جوانب من حياة الداعية الإسلامي الكبير إبراهيم عزت

يرويها والده ورفاقه في الدعوة الإسلامية وزملاؤه في العمل[1]

- تحقيق: حسين عبد القادر

أحدث خبر وفاة الداعية الإسلامي الشيخ إبراهيم عزت ردود فعل واسعة النطاق، امتدت إلى كل مكان زاره الشيخ، حاملاً دعوته ليبلغ الناس رسالة المصطفى ﷺ .

وخيمت مشاعر الحزن على رواد مسجد أنس بن مالك - ساحة جهاد الشيخ - وعلى الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة حيث كان يعمل، عرفانًا بفضل الشيخ، وجهده المتواصل في الدعوة إلى الله.

ووصولاً إلى التعرف على بعض الجوانب الشخصية لحياة الفقيد الخاصة والعامة. كانت جولة « النور » بين منزله ومسجده وعمله؛ فماذا قال أقاربه - وعلى رأسهم والده الحاج محمد سليمان - وماذا قال رفاقه في الدعوة الإسلامية، وزملاؤه في العمل الوظيفي؟

والد الشيخ

في منزل الفقيد - بشارع المدينة المنورة بمدينة المهندسين بالجيزة - كان لقاء « النور » بأسرته التي ما زالت تستقبل أفواج المعزين الذين حضروا من كل مكان. وبدأ الحديث مع والده الحاج محمد سليمان الذي تحدث في صبر وسكينه تنبئ عن إيمان راسخ قائلاً: إن النزعة الدينية لدى المرحوم كانت فطرية منذ طفولته، فكان يصلي ويصوم دون أي ضغط من أحد، كما أنه لم يرتكب ما يسمونه بنزوات الشباب، ولم يثر

(1) جريدة النور (القاهرية) 27/ 7/ 1983 م.

بي أي تعب خلال نشأته الأولى في سوهاج.

وكنا في سوهاج عندما يحضر الشهيد حسن البنا نقيم له سرادقاً للخطابة والالتقاء بالناس.. وفي جانب من السرادق كنا نخصص مكاناً منعزلاً لينام فيه الشهيد البنا ويستريح.. وكنت أحمل إليه إبراهيم وهو طفل في الخامسة من عمره فيداعبه وكنت أطلب من الإمام أن يدعو له بالصلاح والمستقبل الطيب، وفي دراسته الثانوية كان له نشاط كبير مع زملائه في النواحي السياسية والدينية.

وبعد التحاقه بكلية التجارة اعتقل لمدة ثلاثة سنوات مع الإمام الهضيبي المرشد العام، وكان معه المئات من الشباب المسلم، ورغم المعاملة « القاسية » غير الآدمية التي لقيها الشباب في تلك الفترة فقد كان المرحوم يعتبر هذه الفترة هي فترة الكسب الكبير في حياته، حيث أتم حفظ القرآن الكريم كله، وتلقى الدروس في مختلف فروع الدين والدعوة الإسلامية على يد الإمام الهضيبي.

زيارة الوالدين عقب الفجر:

أما عن حياته اليومية فكان يبدأ يومه بالذهاب إلى المسجد لصلاة الفجر، وحين يعود يطرق علينا الباب، ويتوجه إلى والدته فيحييها ويقبل يدها، ثم يأتي إلى غرفتي فيوقظني - إن كنت نائمًا - ويقبل يدي، ويطلب مني الدعاء.

وكان رحمه الله دائم الخروج طوال العام، لتبليغ رسالة النبي ﷺ، فكان يخرج كل عام لمدة أربعين يومًا متصلة، يطوف فيها بلاد العالم مثل كندا وبلجيكا والسودان والبرازيل والهند وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية، وغير ذلك.

كما كان يخرج في كل شهر ثلاثة أيام، يطوف فيها قرى ونجوع مصر، ومن هنا فقد يصح قولي إذا قلت أن أطفاله الستة لم يشعروا برحيله؛ نظرًا لأنه تعود على قضاء معظم أيام السنة بعيدًا عن بيته، خارجًا في سبيل الله.

وكان الشيخ إبراهيم قد بدأ جهاده في جماعة التبليغ منذ عام 1954 وذلك بعد أن اقتنع بأن العمل هو الطريق الصحيح.

في مسجد أنس

وفي مسجد أنس بن مالك بالمهندسين – وهو المسجد الذي شهد جهد وحركة ودعوة الفقيد، إلى أن حيل بينه وبين المسجد، في أعقاب أحداث سبتمبر 1981 – كان لقاء " النور " مع رفيق الفقيد في الدعوة، وأكثر الناس اتصالاً به، وهو الشيخ **سيد أبو السعود** الذي قال إن تصرفات الفقيد كانت من أحسن ما يرضي الله، فكان يختم القرآن كل ثلاثة أيام طوال العام. وكان ينفق كثيرًا مما يملك في سبيل الله، وكان غالب كلامه طوال الوقت: لا إله إلا الله. ولم يكن أثره الطيب مقصورًا على مصر وحدها، بل لقد وجدنا أثره الطيب في كثير من البلاد، مثل الهند وباكستان والسودان.

وكان الشيخ إبراهيم بعد أن مُنع من الخطابة بمسجد أنس بن مالك قد انتقل إلى مسجد المدينة المنورة، وكان الكثير من الإخوة دائمي السعي إليه، وكانت كلماته لهم – في فترة تجميد نشاطه – أن يعملوا الخير، وأن يهتموا بالسعي في سبيل الله تعالى لتبليغ دعوة الرسول ﷺ.

البشارة والحديث عن الموت:

وكان الشيخ دائم الحديث عن أمنيته، وهي أن يتوفاه الله في الأراضي المقدسة، وأن يدفن بمكة! وقد حقق الله له ما أراد. وفي آخر يوم له قبل سفره ذهب إلى خاله في حي الزيتون، وقال له: لقد أتتني البشارة، وإنني في أشد السعادة لها، ولم يفهم أحد وقتها ماذا يقصد. وفي نفس اليوم التقى كعادته بزملائه بمقر عمله بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة في صلاة الظهر، وبدلاً من أن يحدثهم عن فضائل شهر رمضان أخذ يتحدث عن الموت، وكيف يعد الإنسان نفسه لهذا اليوم، وعقب صلاة الفجر بمسجد المدينة المنورة تحدث إلى المصلين عن نشأة الإنسان وتكوينه ثم موته ورجوعه إلى أصله مرة أخرى.

الأزهر

ويقول د. **عبد الله سعد** بجامعة الأزهر: لقد كان الشيخ إبراهيم عزت من أعمدة

الدعوة الإسلامية، لا في مصر وحدها ولكن في العالم، وذلك من خلال المواكب النورانية، التي كانت تتحرك باسم الله، ولدين الله.

وجوانب الحديث عن الشيخ إبراهيم عزت متعددة، فهو الداعية المجدد الذي جدد الله به الدعوة لهذا الدين، وهو العالم الفذ الذي أحيا الله به القلوب بعد غفلتها، والذي عرفناه في لقاءاته العديدة، في خطب الجمعة، وفي المعسكرات الإسلامية. وهو الخطيب الذي طالما بكي خلفه الآلاف؛ فقد أعادت دعوته للعقول والقلوب سيرة الصحابة والتابعين، وأحبت منهج رسول الله ﷺ.

شقيقه

ويحدثنا شقيقه الأستاذ **فاروق سليمان** – الموظف بمطار القاهرة – أن الفقيد كان خير الأخ والصاحب والصديق، وكان دائم النشاط والحيوية. وقد عمل في إحدى مراحل حياته مذيعًا بالتليفزيون، وقدم به برنامج **(دنيا الأدب)**، فكان يقدم فيه الشعر والنثر، ثم قدم برنامج **اختبر معلوماتك** ثم برنامج **بيوت الله**.

قدوة حسنة بين زملائه:

وفي مقر عمله بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة – بمدينة نصر – التقينا بالعديد من زملائه في نواحي العمل المختلفة، وخرجنا منهم بصورة توضح أسلوب الفقيد في عمله معهم، حيث كان يتميز بالجدية، ومراعاة حقوق الزمالة، ولم يصرفه انشغاله بالدعوة الإسلامية عن أن يكون من المهتمين بواجباتهم الوظيفية بالجهاز، كباحث وكمدير إداري.

كما أنه يساهم في تقريب مفهوم الإدارة في الإسلام إلى زملائه العاملين معه. وكان من أحرص الناس على إنجاز ما يسند إليه من أعمال، كما أنه لم يحاول في أي يوم من الأيام أن يثير أي خلاف ديني أو نزاع مع زملائه؛ بل كان محبوبًا من الجميع، وكان حريصًا على أن يبدو كقدوة حسنة لزملائه.

ولا ينسى زملاؤه دوره في إنشاء مسجد داخل إدارته، وظهور أثر دعوته في

تحجب أغلبية زميلاته. وكان حريصًا على تحية الجميع بتحية الإسلام، كما كان سخيًّا على صغار العاملين حتى قبل سفره مباشرة.

رجالك يا مصر

ويقول **عادل عيد** المحامي: إنه من المؤلم ألا يحظى الشيخ إبراهيم عزت في بلده مصر بكلمة تقدير وإنصاف في صحافتنا القومية، التي تخصص المساحات الكبيرة للأمور البسيطة، وأخبار الفنانين والراقصات، فمضي الشيخ إلى ربه دون أن ينتبه لوفاته إلا قراء صفحة الوفيات؛ هذا في الوقت الذي اهتزت فيه لوفاته صحف العالم العربي والإسلامي، فأبرزت خبر وفاته في صدر صفحاتها، وأوردته في إذاعاتها، تقديرًا منها لدور الرجل، وأثره الكبير والعميق كداعية إلى الله، وكواحد من الذين أخلصوا لرسالتهم، وأدوا واجبهم نحو دينهم.

وهو الذي استطاع أن يجمع حوله الآلاف من المسلمين؛ خاصة من عناصر الشباب الجامعي، الذين وجدوا فيه الريادة والأستاذية الحقة، فراحوا ينقلون عنه، ويتحركون وفق تعاليمه في كل مكان.

حافظ سلامة

ويقول الشيخ **حافظ سلامة**، المجاهد المسلم، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية: لقد كَرَّمَ الله تبارك وتعالى أخانا المجاهد **إبراهيم عزت** الذي نشأ في عبادة الله، وظل يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو يجوب القارات يدعو الناس إلى التوحيد الخالص، ساعيًا إلى تعمير بيوت الله، بأداء رسالتها التي من أجلها أقام رسول الله ﷺ مسجده، فكان مسجد أنس بن مالك نموذجًا حيًّا لذلك الجهاد الخالص لوجه الله تعالى. وقد تحمل الفقيد الكثير في سبيل الدعوة منذ عرفته بمعتقل أبي زعبل عام 1966 مع أستاذه الشيخ **فريد العراقي** الذي حمل من بعده هذه الرسالة، فكان نعم الأخ والمربي والمجاهد. وكان من كرم الله عليه أن أسكنه في أحب البلاد إليه، وبجوار البيت الحرام، وقد صلى عليه بالحرم أكثر من مليون مسلم، فهنيئًا لك يا إبراهيم مع

الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وهنيئًا بتلك الخاتمة لكل مخلص يعمل لله ولدينه، ونرجو الله أن يثبت أقدام إخوانه وتلاميذه لمواصلة المسيرة بإذن الله تعالى.

***

وكانت جريدة النور هي الجريدة الوحيدة التي نشرت حول الشيخ رحمه الله؛ فيما عدا أخبار صغيرة في بعض الجرائد، ومقال لأحد الكتاب، نشرته جريدة الجمهورية على ما أذكر.

* * *

(4)

وداعًا حـادِيَ الركب

للشاعر: **ياسر إبراهيم** [1]

يا حـادي الركـب: مـن للركـب يزجيـهِ

نحـــو الجنـــان.. وينجيـــه مـــن التيـــهِ؟

المـسلـمون حيـارى، لا إمـــام لهـــم

مـــن بعـــد فقـــدك؛ مـــن للركـــب يهديـــهِ؟

هـذي القـــوافل ضـلت سـيرها زمـــنًا

والليـــل مـــن حولهـــا اشـــتدت دياجيـــه

لا تهتـدي لـسبيل الحـق، مـا عرفـت

كيـــف المـــسيرُ إلى أفيـــاء واديـــه!

حتـى تـــهادت إلى الأسمـــاع أغنـــيةٌ

علويـــة اللحـــن.. تُـــشجي مـــن تلاقيـــه

فأقبـل الركـب نحـــو الـصوت في لَهَـفٍ

عـــلَّ الحُـــداءَ مـــن الأوهـــام ينجـــيهِ

مزمـــار داودَ كـــان الـــشدو.. أم هزجًـــا

مـــن الـــسماء.. يجيـــب الكـــونُ داعيـــه؟

---

(1) الشاعر القاهري الدرعمي: ياسر محمد إبراهيم، من رواد الشيخ رحمه الله تعالى ومحبيه، ماجستير في الشريعة، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، شاعر رائق العبارة، رومانسي النزعة، مهموم بقضايا أمته وهويتها، مسكون بالحزن عليها والوجع، يجمع بين إتقان الكتابة بالفصحي والعامية، في أداء معجِب بديع، يعمل مدرسًا للعربية في قطر، وطربت لقصائده طربي بشعر الشعراء المميزين. البسيوني.

غيــثٌ تدفــق بالإيمــان، يرشــدنا
لعــالم النــور.. نــرقى في مجاليــه
فحلــق الركــب للآفــاقِ.. مبتهجًــا
وتحتــه الخُلْــفُ.. يهــوي في تدنِّــيهِ
كــذلك الرشــدُ.. يــسمو عاليًــا أبــدًا
ويــترك الغَــيَّ للأقــدار.. تفنــيهِ
يأيهــا الــنجم: هــذا الأفــق مكتئــب
يبكــي ضــياءً لــه، كــم كنــتَ تــهديهِ
حان الأفول.. فغـام الكـون واضـطربتْ
قــوافل الحــق في البــيداء.. والتيــهِ
أين الضياء؟ أما بالأفْق من قبسٍ؟!
يهــدي الركــابَ ودربَ الحــق يبديــه؟
وأرهف الركب أسمـاعًا.. كم امتلأت
بــصوتك العــذب يحــدوهُ.. ويرويــه
هل غـاب صـوتك؟ مـن يحـدو قوافلنـا
وغــار نبعُــك؟ أم جــفت ســواقيه؟
نبكــي فراقــك.. أم نأســى لأنفــسنا؟
وقــد تُركنــا بقــفرٍ لا هــدى فيــه!
سـبحان ربـك! كـم في المـوت مـن عـبرٍ
تلــك الكرامــةُ؛ فــضل الله يؤتــيه!
الفلــكُ تجــري لبيــت الله.. مــشرعةً
تطــوي البحــار؛ لأمــرٍ شــاء قاضــيهِ

ومالــت الــشمس - في مهــلٍ - لمغربهــا

لم تـــــدرِ أيَّ نهـــار.. ســـوف تطـــويهِ

الله أكــبر: صـــاح الكــون، في فــرحٍ

وردد الـــــشيخُ.. والأنـــــوار تُـــــشجيه

هــز الــدعاء شراع الفُلــك، وانهمــرت

مـــدامع الـــشوق، للـــرحمن تزجيـــه!

يــا قابــل التــوب: هــذي تــوبتي، فــاغفر

ذنـــوب عبـــدٍ أتـــى.. والعفـــوُ حاديـــه

هل فاضـت الـروحُ؟ أم طـارت إلى مـلأٍ

رأتـــه يـــدعوها.. همـــت تلبيـــهِ؟!

أجــل؛ أناخــت بــدار الخلــد.. راحلــةً

كـــم حثهـــا الـــشوق.. فانبعـــث أغانيـــهِ

في ليلــة القــدر، والأبــواب قــد فُتحــت

تـــستقبل الـــضيفَ، في فـــرْحٍ تحييـــهِ

طــوبى لعبـــدٍ.. أتانـــا بعـــد مخمـــصةٍ

فليطلـــب اليـــوم مـــا شـــاءت أمانيـــه

هــذا المــصير لحــادي الركــب نحــسبه

لـــسنا عـــلى الله - إجـــلالاً - نزكيـــهِ

فقــرَّ عـــينًا، بــدار الخـــلد.. راضــيةً

أمـــا الركـــابُ.. فـــإن الله حامـــيهِ

ســـيبعث الله نجـــمًا في مـــشارقنا

يهـــدي القوافـــل، ينجيهـــا مـــن التيـــهِ

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
الإهــداء	5
تقديم: نسـمــة وفـــــاء	7
كتاب خطب الشيخ إبراهيم عزت	11
وصف الديوان	13
عملي في الديوان	13
فريق العمل	19
الفصل الأول: الشيخ إبراهيم عزت.....	27
سيرة حياته وملامح شخصيته.....	27
الحياة الدينية في مصر.....	27
جماعة التبليغ	28
إبراهيم عزت والتبليغ	29
مبادئ التبليغ	30
قــدر المحــنة	31
والتقى بالإخوان المسلمين	32
والشعر.....	33
وانفرجت الشدة.....	34
مسجد أنس بن مالك	35
خطيب الدعوة.....	38
أحداث مؤسفة	39
ق والقرآن المجيد	39
آخر خطبة.....	41

الموضوع	الصفحة
وأنَّ المنبر..	41
الموتة الحسنة.. والخاتمة الصالحة	41
الفصل الثاني: دراسات حول شعره	43
إبراهيم عزت الذي لم أعرفه- عبد السلام البسيوني	44
شعر إبراهيم عزت – دراسة وتقويم: د.حسن عبد السلام	64
إبراهيم عزت شاعر الدعوة والوطن: عبد الله رمضان.....	79
مع إبراهيم عزت وطيف الملحمة – د. أكرم رضا	88
حوار مع أبي مازن منشد الصحوة.....	88
الفصل الثالث: ديوان الله أكبر.....	95
أمي	101
أبي.....	107
صغيرتي	111
زيارة	114
فلنطلق ابتسامنا في ليلة العزاء	121
وكان ملحدًا .. ومات.....	125
الألم	128
لا تذكر الحياة.....	134
مرثيتي.....	137
اليوم عيد	140
وبعد	143
عذابنا	149
دعاء (إعلان للتوحيد).....	151
دعاء التعلق بباب الله تعالى	153

الموضوع	الصفحة
كلنا مسافر	155
رباه	156
ببابك	158
خطبة مسلم	161
أزفت	164
يوم الحبيب ﷺ	167
المادحون	170
مصعب بن عمير رضي الله عنه	173
إسراء	176
يا رسول الله جئنا	179
حبيبتي .. بلادي	181
لحظة الوصال	186
هو ذاك	188
قصائد لم تنشر: أنوار الروضة	189
الملاحق	191
- خبر الوفاة كما نشرته جريدة النور	192
- كلمة الحمزة دعبس حول الشيخ رحمه الله	195
- تحقيق جريدة النور حول جوانب من حياة الشيخ	197
- قصيدة (وداعًا حادي الركب) للشاعر ياسر إبراهيم	203
الفهرس	206

* * *

هذا الكتاب

لقد نسيت بلادنا الكثير والكثير من العظماء ، الذين سجلوا على صفحات التاريخ، لا أقول حروفًا؛ بل سبلاً ومسالك يستهدي بها من سيأتي بعدهم..

وأعجب عندما أجد الشعراء يُذْكَرون ولا يُذكر فيهم إبراهيم عزت !

والخطباء يُذكَرون ولا يذكر فيهم إبراهيم عزت!

والمربِّين يُذكَرون ولا يُذكَر فيهم إبراهيم عزت!!

والدعاة يُذكَرون ولا يذكر فيهم إبراهيم عزت!!

وعزائي الوحيد أنه كان يحب ذلك، ومن أجل هذا أحببناه..

أحببناه لبساطته، وزهده، لرقته ولطفه، وللينه ووعيه، لفقهه وفهمه..

كان رحمه الله يدعو الله كثيرًا : «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتة في بلد حبيبك ﷺ» .

وفي شهر رمضان من عام ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م اتجه الشيخ إلى مكة المكرمة لأداء العمرة عن طريق البحر، وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة، وفي إحدى ليالي الوتر من الثلث الأخير من رمضان، وبعد انقضاء يوم من الصيام، أفطر الشيخ إبراهيم عزت، وصلى المغرب مع مرافقيه، ثم استأذنهم للراحة ، فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها، وقد بلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا ، وتم دفنه في مكة المكرمة، بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين في الحرم الشريف، مكفنًا في رداء إحرامه.

وبهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة، حقق الله لعبده إحدى أمنياته، موتة في بلد الحبيب ﷺ .. فهل حقق له الأمنية الثانية ؟!

أسأل الله أن ينزله منازل الشهداء بما قدمه من دعوة وفداء.

المؤلف

I.S.B.N 977-316-291-5

دار النشر للجامعات

ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨

تليفون: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ تليفاكس: ٢٦٤٤٠٠٩٤

E-mail.darannshr@link.net